مركز الدراسات والبحوث اليمني

في العربيّة السعيدة

دراسات تاريخيّة قصيرة

٢

دكتور محمد عبد القادر بافقيه


بسم الله الرحمن الرحيم


في
العربية
السعيدة
دراسات تاريخية قصيرة

في العربيّة السّعيدة

دراسات تاريخية قصيرة

٢

دكتور محمد عبد القادر بافقيه

مركز الدراسات والبحوث اليمني

الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م

مركز الدراسات والبحوث اليمني
الجمهورية اليمنية ـ صنعاء ـ شارع الزبيري ـ ص.ب ١١٢٨
هاتف ٢٠٠٤٨٥ ـ ٢٠٠٤٧٠ ـ برقياً : يمنات

تنفيذ
دار الفكر المعاصر
لبنان ـ بيروت

تصميم الغلاف والخطوط
جمال بوستان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ۝ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ۝ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾

صدق الله العظيم

سورة النمل الآيات ٣٢ - ٣٤

الإهداء

العربية السعيدة

اسم أطلقه الكتاب الكلاسيكيون الأجانب ، ضمن تقسيم ثلاثي عندهم ، على جزء مما يسميه جغرافيونا : (جزيرة العرب) وهم يقصدون به هذه الأرض التي دارت فوقها الأحداث التاريخية التي تتناولها هذه الدراسات القصيرة .

وإني .. إذ أهدي هذا الجزء من سلسلة (في العربية السعيدة) إلى الأعزاء :

فاتن وشيخ وسالي وعلوي وأحمد ، لأتوجه إلى العلي القدير أن يجعل (العربية) لهم وللداتهم وبهم جميعاً ، (سعيدة) حقاً .

محمد

المقدمة

هذا هو الجزء الثاني من مجوعة (في العربيـة السعيـدة) ، كتبت دراساته في الفترة ما بين عام ١٩٨٣ وعـام ١٩٨٨ ، وفيهـا من التـداخل والتكرار ما سبق أن أشرنا إلى مثله في مقدمة الجزء الأول وعزونـاه إلى « مقتضيات النشر في مظان متفرقة في أوقات مختلفة » ، و « الحاجـة إلى أن تكون كل مقالة وحدة مستقلة بذاتها قدر الإمكان » .

وفيها إلى جانب ما تقدم عودة إلى كثير من القضايـا التي عولجت من قبل ، وهو أمر تحتمه طبيعة هذا النوع من الـدراسـات التـاريخيـة القائمة أساساً على معطيات النقوش ، وذلك لأن كل إضافة جديدة إلى المـادة النقشيـة تقتضي مراجعـة مـا يتصل بهـا من أحكام سـابقـة بعـد عرضهـا ، إذا تيسر العرض[1] ، على المصـادر التراثيـة من أنسـاب وأخبـار ، وذلـك لأنـه « لا يمكن تنكب طريـق الأنسـاب والأخبـار وإسقاطها من الحساب عند تناول التاريخ العربي القـديم فهي تضم في ثناياها الكثير من الحقائق وإن جـاءت مشوهـة بـالحـذف والإضـافـة والتقديم والتأخير ، شأنها شـأن كل خبر قـديم تتقـاذفـه الألسن وتلعب

---

(١) إن عالماً فسيحاً يمكن أن يتفتح أمام المؤرخين لو أنه تيسر تكشيف أمهات التراث العربي ، أي فهرستها فهرسة تفصيلية ، تجعل من اليسير الإفادة ممـا هو متنـاثر في ثناياها من أخبار وفوائد تأتي أغلب الأحايين استطراداً نتيجة لأسلوب الكتـابـة العربية القديمة .

به الأهواء من وعي وغير وعي »[٢] - كل ذلك بهدف التثبت من تلك الأحكام فتثبيتها أو تعديلها[٣] .

على أن دراسات هذا الجزء تتميز أيضاً بأنها ، تدور ، في غالبيتها ، حول ملامح الدولة في اليمن وما طرأ عليها وعلى نظام الحكم فيها عبر القرون قبل الإسلام من تغييرات . وإذا كانت حصيلتنا من النقوش لا تشجع الباحث المتأني وغير المعتسف للأمور على محاولة رسم لوحة تنبض بالحياة للعلاقات الاجتماعية فإن ما تحفل به تلك الحصيلة من معطيات عن (نظام القيالة) يعدُّ مدخلاً لفهم المجتمع اليمني القديم .

هذا وقد تبدو (عودة إلى نقوش العقلة) مختلفة بعض الشيء عن غيرها من الموضوعات فهي محصورة في أوضاع مملكة حضرموت القديمة في القرن الثالث الميلادي .

ولكن لن يفوت القارئ أن يلاحظ أنها في السياق الذي جاءت فيه بين الدراسات الأخرى في الكتاب تأتي ممهدة للدراسات التي تليها والتي تتصل كلها بالقرون اللاحقة التي شهدت قيام وسقوط دولة

(٢) من مقال « الأنساب والسير اليمانية : عناصرها ومصادرها » هنا .

(٣) انظر على سبيل المثال « الرحبة وصنعاء في استراتيجية بناء الدولة السبئية » ، و « بحلف سبأ وحمير وحضرموت » هنا وتداعيات النقش (الإرياني ٩٠) التي ذكرناها في المقال .

التبابعة التي اكتسب ملوكها صفة (التباعة) نتيجة لامتداد نفوذهم إلى حضرموت بالذات[٤] .

وبعد فإننا في دراستنا التاريخية منذ عام ١٩٨٣ إنما نستند في ترتيب الأحداث والمراحل إلى ما توصلنا نحن إليه من كرونولوجيا نسبية لفترة ملوك سبأ وذي ريدان[٥] ، وهي الموضحة في الجدول الملحق بهذه المقدمة بعد تعديل طفيف لبعض أجزائها في ضوء ما استجد من مؤشرات خلال الأعوام الأخيرة .

والله نسأل أن يهدينا سواء السبيل

صنعاء في ٢٤ شعبان ١٤٠٨ هـ
و ١١ نيسان (إبريل) ١٩٨٨ م

م . ع . ب

---

(٤) انظر « بحلف سبأ وحمير وحضرموت » هنا .

(٥) بافقيه BAFAQIH

Le Yemen à la période des rois de Sabà et de dü Raydän, thèse de doctorat d Etat es lettres et Sciences humaines (Histoire), Université de Paris Sorbonne-ParisIV, (en polycopie), 1983 part1, ChIVIII et tableau1.

صدر أخيراً بعنوان :

LUnification du Yemen Antique (Bibliothèque de Raydän, Vol.1) Paris, 1990

كرونولوجيا ومراحل فترة ملوك سبأ وذي ريدان

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨		٩
أجيال	ملوك سبا	بنو ذي ريدان	بالتقويم الحميري	ملوك حضرموت	بنو معاهر وذو خولان	بتقويم ابعلي	المرحلة		سنوات تقديرية للأجيال بالتقويم الميلادي
١	ذمار علي وتر يهنعم بن سمه علي						إرساء المشروع	١	±١
٢ ٣ ٤ ٥	ذمار علي بين (؟) كرب إل وتر يهنعم (+ملك أمر إبنه) ذمار علي نرح كرب إل بين +يهاقم + نشا كرب +	عمدان بين يهقبض (شمر يهنعم)		إلعاذ يلط I يدع أب غيلان؟	دخول ردمان وخولان معاً تحت بني معاهر وذي خولان		ترسيخ المشروع فترة البريبلوس وبليني وبداية الإضطراب في سبأ	٢	٢٥ ٥٠ ٧٥ ١٠٠
	يشمس نمران + الي شرح يحضب I	ياسر يهصدق		يدع إل (بن أمينم)؟	عمدان يهحمد		سقوط الأسرة السبئية التقليدية . وحرب حمير	٣	
٦	وتار يهامن + سعد شمس أسرع + وهب إل يحوز	ذمار علي يهبر		يدع إل (؟)	وهب إل يحوز		مرحلة الحرب الشاملة. ونشوب الخلاف في سبأ	٤	١٢٥
٧ ٨ ٩	كرب إل وتر يهنعم II +انمار + يريم أيمن علهان نهفان + شعر أوتر	تاران يعب يهنعم		يدع أب غيلان يدع إل بن رب إل إلعاذ يلط II	لحيعت يرخم ناصر يهحمد عمي أنس بن عم ذكر؟	١٤٨	سقوط قتبان . والمرحلة التبعية الهمدانية . ودخول الأحباش	٥	١٥٠ ١٧٥ ٢٠٠
١٠ ١١ ١٢ ١٣	لحيعت يرخم + فارع ينهب إلي شرح يحضب II ويازل بين نشا كرب يامن يهرحب	لعزم يهنف يهصدق شمر يهحمد +كرب إل أيفع ياسر يهنعم +شمر	٢٦٣	يدع إل بين بن ريشمس الريام يدم يدع أب غيلان	لحيعت أوكن حظلين أوكن	١٩٦	مرحلة تشعب الصراع التي إنتهت بتوحيد سبأ وحمير بصفة نهائية	٦	٢٢٥ ٢٥٠ ٢٧٥

توحيد سبأ وذي ريدان

١

الحارث الرائش

ونسبه المختلف فيه

الاختلاف حول قضايا النسب عند العرب ، بغض النظر عن الأسس التي أقيمت عليها تلك الأنساب ، أمر معهود ، ويعود أحياناً إلى تجاذب بعض الكتل أو الأحلاف القبلية كتلة أو قبيلة معينة فيما بينها . ولعل أبرز الأمثلة على ذلك ما حدث في صدر الدولة الأموية من تنازع بين النزاريين والقحطانيين لقضاعة التي كانت في ذاتها كتلة كبيرة عائمة واسعة الانتشار ، والتي كان انضمامها إلى أي من الكتلتين المتنازعتين يُعَدُّ ترجيحاً لها[١] .

(١) يعالج جواد علي (المفصل ٤١٩/٤) الخلاف حول نسب قضاعة « ولا سيما في أيام معاوية وابنه يزيد اللذين بذلا أموالاً جسيمة لرؤساء قضاعة في سبيل حملهم على الانتفاء من اليمن والانتساب إلى معد لكونها قوة كبيرة في بلاد الشام في ذلك العهد ، ولا سيما أن منهم بني كلب » . ويقول : « وذكر ابن الأثير في الأنساب هذا الاختلاف ، ثم قال : ولهذا قال محمد بن سلام البصري النسابة لما سئل : أنزار أكثر أم اليمن ؟ فقال : إن تمعددت قضاعة ، فنزار أكثر ، وإن تيمنت ، فاليمن » ويضيف : « وقد صرح بعض النسابيين المعروفين أن العرب ثلاث جذايم : نزار واليمن وقضاعة ، فجعل قضاعة جذماً قائماً بذاته مما يشير إلى أهميتها قبل الإسلام وفي الإسلام » .

على أن الاختلاف حول نسب الحارث الرائش ، أحد أشهر الملوك الحميريين عند الإخباريين ، وهل هو من ولد الصوار أم هو من ولد حمير الأصغر (انظر الجدول المقارن) ، يبدو في ظاهره نزاعاً حول نسب شخص واحد ، من جهة ، ونزاعاً قحطانياً أو قُل حميرياً صرفاً ، من جهة أخرى .

وإذا رجعنا إلى أخبار عبيد بن شرية وكتاب التيجان المنسوب إلى وهب بن منبه فإنا نجد أن الاضطراب في نسب الرائش قديم . كما نلمس ، في نفس الوقت أن هناك ربطاً بين الرائش وبداية اهتمام اليمن (حمير) بالهند ، وهو العنصر الثابت في كل الأخبار المتعلقة بالرائش بغض النظر عن قضية النسب .

يقول عبيد (أخبار ٤١٤) : « فلم تزل حمير كذلك لا يعدون اليمن حتى صار الملك إلى الحارث بن ذي شدد بن عمرو بن الملطاط بن عمرو بن قطن بن زهير بن عريب بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ ـ فكان الحارث أول من غزا وأصاب الأموال وأدخل اليمن الغنائم ثم خيرها فسمي بعد ذلك الرائش » . و « أنه لما كان يؤتى للحارث وهو الرائش في بلاده من قبل السند والهند في السفينة من المسك والعنبر وغير ذلك من الأعاجيب من ياقوتها وغيره فتطلعت نفسه إلى غزوها فعبى الجنود .. » .

أما وهب بن منبه (التيجـان : ٨٨) فيقول : « وولي أمر الملـك بعـد الهمال بن عـاد ابنـه الحـارث بن الهمال وهـو الرائش الأصغر ، والرائش الأكبر عمه لقمان بن عـاد ، وهو الحـارث ذو مراثـد بن الهمال ذي شدد بن عاد بن ذي مناح (لعله منـاخ) . وكانت تـأتي هـدايـا الهند إلى التبابعة من أصنـاف الطيب والمسـك والعنبر والكافور وحب البان والينجوج والزعفران وغير ذلـك من أنواع الطيب ومرافق أرض الهند والفلفل والهيلج وغيره ، ويأتي الجوهر والعقيق والدن (هكـذا ، ولعلـه الـدر) . فلمـا أتت الهـديـة إلى الرائش الحـارث ذي مراثـد ـ وذو مراثد في لغـة حمير ذو أيـادي وذو مرثـد ذويـد ـ قـال وهب : فلما أتت الهدية من قبل الهند إلى ذي مراثد ورأى ما رأى من عجـائب الهند تطلعت نفسه إلى غزوها فعبى الجنود .. » .

ويتضـح هنـا أن المصـدرين يتفقـان في فكرة السلـع المجلـوبـة أو الهدايا التي أثارت شهية الرائش وغزو الهند والعودة منها بالغنائم .

☆ ☆ ☆

ويأتي الحديث عن الرائش عند الهمداني (ت.ح ٣٥٠ هـ) ضمن أنسـاب حمير من ولـد الهميسـع في الجـزء الثـاني من الإكليـل المخصص لذلك . ومعلوم أن الهمداني ، عنـدمـا يتعلق الأمر بـأنسـاب الهميسع فإن مرجعـه هو أبو نصر اليهري مـا لم يصرح بخلاف ذلـك (انظر مثلاً الإكليل ١/٨٩) .

ونلمس عند الهمداني ، وربما لأول مرة ، أن هناك من يجعل الرائش من ولد حمير الأصغر ، فهو يقول (الإكليل ٥٢/٢) عند حديثه عن والد الحارث الرائش : « فأولد الملطاط بن عمرو إلي شدد بن الملطاط ، وقد يخففه بعض العرب فيقولون اليشددمثل اليحمد ، ويحذفون فيقولون يشدد مثل يعمر ، ويبدلون الياء فيقولون شداد ، ويحذفون فيقولون شدد وذلك يلتبس بسدد بن زرعة بن سبأ الأصغر وهو بالسين والعالي من هذا إلي شدد . فأولد إلي شدد بن الملطاط : الحارث وهو الرائش بن إلي شدد ، وإنما سمي الرائش لأنه راش الناس بالغنائم . وقد يقال ذو رياش ، ومن يقول ذلك ينشد بيت امرئ القيس :

أزال من المصانع ذا رياش وقد ملك الحزونة والرمال

« وربما قيل ريشان في اضطرار شاعر ، وسنذكر خبره في السيرة إن شاء الله » .

ويعود الهمداني ثانية إلى الموضوع (الإكليل ١١٠/٢-١١١) عند الحديث عن صيفي بن زرعة ليقول : « ومن هذا الموضع غلط من غلط من العلماء ، قال : « أسعد أبو كرب بن ملكيكرب بن زيد تبع الرائد بن عمرو تبع الأصغر ذو الأذعار بن ذي المنار بن الرائش بن قيس بن صيفي ، وإنما هو أسعد تبع بن ملكيكرب بن تبع الأكبر

وهو الرائد بن تبع الأقرن بن شمر يرعش بن افريقس ذي المنار بن الحارث الرائش بن إلي شدد » .

وكان الهمداني قد أشار إلى ذلك من قبل (الإكليل ١/٢٠٠) حين قال : ... فأولد مالك بن صيفي الحارث بن مالك ، وفيه يغلط الناس ويظنونه الحارث الرائش بن إل شدد (لعله إلي شدد) : أبرهة ذو المنار بن الحارث الرائش بن قيس بن صيفي بن زرعة بن سبأ الأصغر بن كعب فيدخلون بني الصوار بن عبد شمس في بني جشم بن عبد شمس . وكذلك يهمون من « جهة الرائد بن همال » . (قارن بكلام وهب بن منبه أعلاه) .

من ناحية أخرى جاء ، في شرح قصيدة الهمداني الدامغة (ص ٥٣٣) تعليقاً على البيت (٥٣٧) : « والرائشان : الحارث بن شداد [هكذا] وهو ابن الشدد [هكذا] بن الملطاط بن عمرو بن ذي أبين بن قدم [هكذا] بن الصوار بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ومن وجه آخر [هكذا] الحارث بن قيس بن صيفي بن زرعة ، وهو حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير ،

وهو أصح النسبين [هكذا] ، ويـاسر ينعم بن يعفر بن عمرو [أي أنه الرائش الثاني] ، وهما اللذان راشا الناس وأنعما بالغنائم .. » .

ونحن إذا قبلنا أن يورد الهمداني أو ابنه الذي يعزى إليه تفسير الدامغة[٢] ، الوجه الآخر في نسب الرائش فإنه من الصعب تقبل ترجيحه ذلك الوجه الآخر بهذه الطريقة ودون مناقشة أو توضيح . وإذا لاحظنا أن محمد بن نشوان قد تدخل في المتن بصدد نسب خولان العالية (الإكليل ٢٨٠/١) ، بطريقة أحدثت فيه اضطراباً وبصورة تتعارض مع ما هو معروف من رأي الهمداني في الموضوع (الإكليل

(٢) خصص الأكوع ، محقق الدامغة ، فقرة في المقدمة (الدامغة ٧٥) بعنوان : « هل تفسير قصيدة الدامغة للهمداني أو لابنه ؟ » . ناقش فيها القولين الشائعين وأحدهما أورده « الوزير القفطي في أنبائه في ترجمة الهمداني جـ١ ، حيث قال : وله كتاب القصيدة الدامغة النونية على معد والفرس ، وهي قصيدة طويلة ، وقد شرحها ولده » . وهو القول الذي أشار إليه نشوان (منتخبات : مادة ريش) وعقب عليه بقوله : « وقيل إنه الذي فسَّر قصيدته لولده ونسب تفسيرها إليه والله تعالى أعلم بذلك » . ورجح الأكوع أن تفسير الدامغة للهمداني لا لابنه محمد لعدة أمور « منها النقطة (٢) التي جاء فيها » أنه قال في المقدمة (أي المفسر) : « شيخي الحسن بن أحمد رحمه الله » مما يوهم أنها ليست لابنه إنما هي لتلميذ آخر ولو كانت لابنه لألحق كلمة والدنا « ليشعر بالاعتزاز والفخر » إلخ .. ومع أننا نحجم عن محاولة القطع برأي حول شارح القصيدة فإننا نودُّ القول بأن عبارة شيخي قد استخدمها امرؤ القيس متحدثاً عن أبيه وذلك في قوله :

« والله لا يذهب شيخي باطلاً »

٣/١٠) ، وتتماشى مع رأي أبيه . نشوان (منتخبات : مادة علو) . وإن كاتباً آخر (لعله محمد بن نشوان نفسه) ، تدخل بالتعليق في صلب الإكليل (١١١/٢) ، فإن ذلك ، مع الاضطراب حول مفسر الدامغة ، يجعل هذه العبارة في تفسير الدامغة حول نسب الرائش موضع شك كبير . ونرى من المحتمل أن يكون المفسر قد اكتفى بإيراد الوجه الآخر بينما أضاف شخص آخر : « وهو أصح النسبين :» . وعلى العموم فلدينا في الإكليل الثامن أمثلة من إيراد وجهات نظر حول الرائش وغيره لا تتفق مع خط الهمداني الثابت ، منها ما جاء في الصفحة ٢١٩ : « وصية الحارث الرائش بن أنس ذي مراثد من ولد [لعله : ولده] التبابعة » .

وبعد قرنين من وفاة الهمداني عبر نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣ هـ) عن رأيه في نسب الرائش (منتخبات : مادة ريش) فقال : « الحارث الرائش ملك من ملوك حمير ، سمّي بذلك لأنه راش أهل اليمن بالأموال والغنائم . وكان يسمّى ملك الأملاك ولا يملك الأملاك إلا الله عزَّ وجلَّ . وهو الحارث الرائش بن شدد[٣] بن قيس بن صيفي بن حمير الأصغر ، هذا نسبه الصحيح ، ومن ولده التبابعة . وقد نسبه الهمداني في الإكليل إلى ولد الصوار فقال هو

---

(٣) شددِ بن قيس يوجد عند نشوان وربما ابنه (انظر الإكليل ١١١/٢) . أما الهمداني (الإكليل ٢٠٠/١) وشارح الدامغة (ص ٥٣٣) فلا يذكرانه .

« الحارث بن أبي شدد [لعله إلي شدد] بن الملطاط بن عمرو بن ذي أبين بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس . قال الهمداني : « وقد قال بعض العلماء إنه من ولد قيس بن صيفي » . وقد خالفه ولده محمد بن الحسن بن أحمد في تفسير قصيدة أبيه الدامغة فقال :

« والصحيح المعمول عليه في نسب الرائش أنه من ولد قيس بن صيفي بن حمير الأصغر [قارن بأعلاه] .

وقيل إنه الذي فسَّر قصيدته ونسب تفسيرها إليه . والله تعالى أعلم . وقد قال مصنف الكتاب في ذلك رحمه الله تعالى [هكذا] :

١ـ تتابع الأملاك من حميرٍ ... عدتهم سبعون لا تقصرُ
٢ـ من ولد الرائش جمهورهم ... من حمير الأصغر ما حميرُ
٣ـ يا أيها السائل عن تبع ... وتبع كالشمس بل أشهرُ
٤ـ من ولد الصوار صيرته ... والله في تصييره أبصرُ
٥ـ فاسمع لقول غير ما قلته ... يحفظه السائل والمخبرُ
٦ـ قيس بن صيفي أبو تبع ... وجده حمير الأصغرُ
٧ـ خير بني هود نبي الهدى ... حيث انتهى السؤدد والمفخرُ
٨ـ حيث استقر الملك من حمير ... في بيته والعدد أكثرُ
٩ـ هم وبنو الصوار من دوحة ... قد طاب منها الفرع والعنصرُ
١٠ـ قد أثمرت أغصانها بالندى ... ليست بشيء غيره تثمرُ

١١ - والكل منهم جـوهر واحـــد لم يتفـاضـل ذلـك الجـوهرُ
١٢ - لكنَّ قــول الحــق مستحسن والقـول بـالبـاطـل مستنكرُ
١٣ - وقــال ذو العرش لآبـــائهم في وحيـه ادعوهم ولا تكفروا

وفي قصيدته التي سنشير إليها هنا بالقصيدة الحميريـة (ص ٥٤) يقول نشوان :

والملـــك بعـــدهم إلى شـــدد عصف الزمان به كعاصف الأرياح

وقد علق الشارح[٤] على البيت بعد أن أورد وصيـة الملطـاط إلى ابنه شدد بقوله : « وذكروا أن شدد بن الملطـاط امتثل مـا عهـد إليـه أبوه فسعد به من قاربه ، وحظي به من لم ينأ عنه . ولم يكن له ولـد غير ابنين : الحـارث الرائش [هكـذا] ووتـار ، فـأسنـد إليـه الملـك وأشهره به » . كما قال (القصيدة الحميرية ص ٥٦) : « فلما توفي شـدد قام بعده ابنه وتـار ، وكان ولي عهـده » . ولكنـه يقرر أنـه « لم تطل مدة وتار ، ولا ثبت قدمه في الملك حتى نازعـه عمومتـه بنو الصوار في الأمر وقالوا : نحن أقعد ، وإنما هو ملك أبينـا ، ولن نتخـاطى بـه إلى الأولاد دون الآباء . فشح في ذلك وشحوا ، وتـداعوا إلى الحرب . ولـما رأت ذلك وجوه حمير خـافت الفرقـة وحـاذروا القطيعـة ، فرأوا خلع

---

(٤) كما حامت الشكوك حول مفسر الدامغة فإن الشكوك تلقي بظلها أيضاً على شارح القصيدة الحميرية (انظر المقدمة صفحة و) .

وتار وإخراج عمومته من الملك وفتلوا حبل الملك في يد بتع بن زيد صاحب السد سد بتع . فملك بتع بن زيد وحسنت سيرته ورضي بذلك بنو الصوار وقربهم جميعاً وأدناهم وآثرهم ، فكان له الاسم ولهم الجسم » . ويمضي الشارح في سرد العهود التي جاءت بعد عهد بتع (القصيدة الحميرية ٥٧ ـ ٦٠) : علهان ونهفان وشهران وتالب ريم .. إلى أن « ملك من بعده حاشد ذو مرع ، فأحسن السيرة غير طويل ، ثم جمع حمير وكهلان فقال : « أيها الناس إن لكل قوم دولة ، ولكل دولة مدة ، كما لكل حاملة تمام ، ولكل مرضعة فطام ، وقد حان منا انقطاع أمد ، لظهور الحارث بن شدد ، وأنه لنا لولد ، وقد جاء في الخبر أنه الملك المنتظر ، والعلم المشتهر ، وأني قد رأيت أن أنزل نفسي منه منزلة القيالة خشية إن أنزلها منه » .

« فلم يزل على ذلك حتى قام الحارث الرائش فاستخلصه ، واعتضد به » . في هذه العبارات الموجزة المركزة يقدم لنا الشارح ، دون إسناد للأسف ، وصفاً لوضع يذكرنا بما حدث في التاريخ بعد وتار بن إلي شرح يحضب (ملك سبأ وذي ريدان) ، الذي حدثت بعد عهده حروب اتسعت رقعتها وأصبحت شاملة 6C315 وتمخضت آخر الأمر عن قيام ما يمكن تسميته بالفترة التبعية ـ الهمدانية في سبأ .

هكذا إذن يجعل شارح القصيدة عهد الحارث الرائش بعد الفترة

التبعية ـ الهمدانية ، وهو ما لا يتعارض إجمالاً مع ما ذهب إليه الهمداني نفسه والذي يقول في الإكليل (١٠/١١ـ١٢) :

« فأولد عمرو بن همدان زيداً فأولد زيد بتعاً الملك وإليه ينسب سد بتع بالخشب مما يصالي حاز من حدود حمير . وهو قريب إلي شرح يحضب بن الصوار بن عبد شمس . ولم يزل الملك في عقبه إلى قيام الرائش على ما يذكر علماء همدان » .

☆ ☆ ☆

وحتى هنا ورغم العاطفة القوية التي تملكت نشوان وهو يعارض في أبياته من صير الرائش من ولد الصوار فإن الأمر لم يخرج عن كونه خلافاً حول النسب . وإذا كانت بعض تلك الأبيات تنم عن حدة وضيق كالبيت رقم ١٢ الذي يقول فيه : « والقول بالباطل مستنكر » ، فإن هذا قد يجوز قبوله في إطار النقد المباح .

ولكن معارضة الهمداني ـ على ما يظهر ـ لم تتوقف عند ذلك النوع من الرد ، وإنما تعدته في بعض الأحيان إلى حد التجريح . ففي مخطوطة جديدة تضم قصيدة نشوان مع الشرح هي في حوزة الأستاذ علي عقيل مدير عام المركز اليمني للأبحاث والآثار بالوكالة ، والذي ندين له بفضل اطّلاعنا عليها ، نقرأ في الصفحة ٢٥ ابتداء من السطر ١٤ إلى آخرها :

« هذا الملك هو الحارث الرائش بن سدد [هكذا] بن قيس بن صيفي بن حمير الأصغر هذا نسبه المحتج به ، من ولد [لعله : ولده] التبابعة . وقد نسبه الهمداني في الإكليل إلى ولد الصوار ، فقال هو الحارث الرائش بن سدد [هكذا] بن الملطاط [هكذا] بن عمرو بن ذي أنس [هكذا] بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس . وقد قال بعض العلماء إن الرائش من ولد قيس بن صيفي [هكذا] .

وعلى الصفحة التالية رقم ٢٦ نجد :

« وقد قيل إن ملوك ولد الصوار أهل سور المسار [هكذا] أعطوه على النسب ألف دينار ليكون التبابعة منهم . وقد خالفه ولده محمد بن الحسين [هكذا] بن أحمد الهمداني في تفسير قصيدة أبيه المعروفة بالدامغة : والصحيح المعول عليه من نسب الرائش أنه من ولد قيس بن صيفي بن حمير الأصغر . وقيل إنه فسَّر قصيدته ونسب تفسيرها إلى ولده والله أعلم بذلك . فقال : ثم أورد أبيات نشوان المذكورة آنفاً مع اختلافات طفيفة هنا وهناك . ولكن أيضاً مع إضافة بيت بعد البيت الثالث يقول :

تحرب في أعلى ملوك الورى   فلا هناك الربح والمتجر

وقد لاحظ الأستاذ محمد بن عقيل بن عبد الله بن يحي ، العلامة المعروف المتوفى عام ١٣٥٠ هـ ، ومقتني المخطوطة عام ١٢٩٦ بسورابايا

بجاوا ، كما خط بيده على ظهرها ، « أن فيها خرماً ما بين الصفحة ٢٤ والصفحة ٢٥ لم يتنبه له قبل وضع العدد ولعله غير كثير » .

وتبدأ الصفحة ٢٤ بعبارة : « ذو أنس قام ابنه عمرو مقامه في الملك ثم أسند الأمر » . وهذا قريب مما جاء في الطبعة العربية من القصيدة الحميرية صفحة ٥١ . ولكن الصفحة ٢٤ من المخطوطة تنتهي بالبيت :

وعض زمان يابن مروان لم يدع   من المال إلا مسحتا أو مجلف

وهو البيت الذي يرد في المطبوعة على الصفحة ٤٩

وفي أسفل الصفحة ٢٤ من المخطوطة في الزاوية نجد كلمة « ووازره » إشارة إلى الكلمة التي تبدأ بها الصفحة المفقودة . وهذه قد تشير إلى من وازر الملطاط بن عمرو كما في الصفحة ٥٢ من المطبوعة .

وكل هذا قد يعني أن الصفحة ٢٤ من المخطوطة تقابل من ناحية العهود الواردة فيها ما جاء بين آخر الصفحة ٤٩ وأول الصفحة ٥٢ من المطبوعة . وهو ما يكفي للدلالة على اختلاف الشرح والشارح بين النسختين .

أما الصفحة ٢٥ من المخطوطة فتبدأ بالبيت :

الناس كالوحش إن داريتهم شرعوا   وإن دنيت لهم عافوا وما وردوا

وهو نفس البيت المنشور في الصفحة ٥٥ من المطبوعة ، ويلي ذلك في السطرين ٤ ـ ٥ من الصفحة ٢٥ من المخطوط عبارة :

« فلما توفي سدد تداول الملك جماعة من حمير حتى انتهى إلى الحارث الرائش » . ويعقب ذلك ابتداء من السطر السادس أبيات القصيدة الحميرية المتعلقة بـ « الحارث الملك المسمى رائشاً » .

ولما أن وفاة شدد (في المخطوطة سدد) ترد على الصفحة ٥٦ من المطبوعة والأبيات التي تتحدث عن الرائش تجيء في الصفحة ٦١ ويتخلل ذلك وصف الفترة البتعية ـ الهمدانية كما تقدم فإن شارح المخطوطة كما هو واضح قد أوجز كل ذلك في السطرين المذكورين . وكل هذا إنما يؤكد أن الخرم الصغير وأن الشرح في المخطوطة مختلف ولعله مختصر من الشرح الأصلي مع حذف وإضافة ، منها إضافة تلك التهمة الغريبة .

أما من هم « ملوك ولد الصوار أهل سور المسار » فأمر محير خاصة وأن (سور المسار) لا تعني في ما نعلم شيئاً ، ولكنها أغلب الظن تصحيف (مسور المنتاب) . وإذا صح ذلك فيكون المقصودون هم بني المنتاب الذين لم يسترسل الهمداني ، في ما وصل إلينا من أعماله ، في الحديث عنهم(٥) بعكس الحال مع السخطيين الذين وصفهم

(٥) يذكر الهمداني بني المنتاب في شعر له (الإكليل ٣٧/٨) ولكن نسبهم يأتي تحت =

(الإكليل ٢٤/٢) بأنهم : « اليوم على قلتهم بقية بيت المملكة وناصية بني الصوار ، ومن لا يقدر أحد من حمير يقول : إنه أشرف منهم ، وهم أكرم حمير رجالهم ونساؤهم منهم أبو الهيذام صاحب منكث في عصرنا .. » .

= نسب علاق بن عمرو بن ذي أبين (الإكليل ٧٤/٢ ـ ٨٣) . وللأكوع ملاحظة لطيفة في الهامش رقم ٢ على الصفحة ٧٧ تعليقاً على قول الهمداني : « حدثني إبراهيم بن عبد الحميد بن محمد بن الحجاج بن شوال المسوري » الذي يقول عنه الأكوع إنه « اشتهر في التاريخ بإبراهيم بن عبد الحميد المنتاب السباعي ، وما أدري كيف لم يشد المؤلف بذكره وينوه به كزعيم ، والحال أنه خالطه ونادمه وأقام بمسور دار إمارة إبراهيم بن عبد الحميد . وأعتقد أنه حذف من الإكليل ، بدليل ما اطلعت عليه في مشجرة آل الجيوري المزبور في القرن التاسع الهجري ، وهو بخط نسخ جميل . وأكمل نسب إبراهيم بن عبد الحميد هذا ، فقال : ابن شوال بن شرحبيل بن زيد بن نوف بن زاد(؟) بن عبد الحميد بن ريب بن فائش بن مسور إلخ . وفي المشجرة المذكورة ما لفظه : قال صاحب الإكليل « وبنو عبد الحميد السباعي في وقت ما كتبت نسبهم ثلاث مئة رجل عبيدهم مثلهم ، وهم كرماء وعلماء فصحاء شعراء ما منهم إلا من يقول الشعر لفصاحتهم [ثم عدد أولاده] وهذه الزيادة موجودة أيضاً في النسخة المنقطعة » . وآل المنتاب اليوم كثيرون ، منهم من ذكرنا ، إلا أن الغالب عليهم في مسور البداوة والجهل ، وبنو الجيوري نسبة إلى جيور ، بلدة من مسور لا يسكنها إلا بنو المنتاب . ومنهم بيت بمدينة إب وبيت بصنعاء .

إن حذف ما أورده الأكوع من الإكليل ليس إلا لغزاً يضاف إلى ألغاز النسخ وما تتعرض له المخطوطات من حذف وإضافة يعقدان الدراسة . (راجع أيضاً ما جاء عن المنتاب في الإكليل الثامن مما يبدو متضارباً ومتعارضاً مع رأي الهمداني نفسه (ص ٢٠٠) .

وقد يكون إعجاب الهمداني هذا بالسخطيين ، واستشهاده ببعض رجالهم في قضايا النسب (الإكليل ٦٣/٢) ، والذهاب إلى حد تغليب رأيهم على رأي أستاذه أبي نصر ، مصدر ضيق للبعض . ولكن الأمر بالنسبة لنشوان يبدو مختلفاً بعض الشيء ، فهو بدوره يعتبر (منتخبات : مادة سخط) بني « سخط من أشرف حمير من ولد سخط بن زرعة بن الحارث بن ذي نواس بن زرعة بن حسان بن أسعد الكامل وهم السخطيون ولهم في اليمن فضائل لا يبلغها أحد » . ولا يشير إلى الهمداني بشيء في هذه المناسبة على الرغم من أنه في حقيقة الأمر مع إشادته بهم إنما ينسبهم من خلال أسعد الكامل إلى حمير الأصغر كما في مذهبه في النسب . وأما بنو المنتاب فهم عند نشوان (منتخبات : مادة نوب) « من أشراف حمير يسمى بذلك [أي المنتاب] لأنه كان ينتاب ويقصد إليه في الأمور ، وهو المنتاب بن زيد بن علاق بن عمرو بن ذي أبين ، وفيهم يقول مصنف الكتاب :

« شرف الله خلقه ببني المنتاب أبناء شمر ذي الجناح » .

ولما أن ذا أبين من ولد الصوار عند الكاتبين فإنهم عند نشوان لكذلك على الرغم من أنه لم يصرح به .

وهكذا فإنه من المحتمل جداً أن « ملوك ولد الصوار أهل سور المسار » إنما هم بنو المنتاب أهل مسور المنتاب . ومع ذلك فإنه من

المستبعد أن يكون لآل نشوان يد في تلك التهمة البشعة التي ربما أدخلها شارح متأخر . نقول هذا لأنه كائناً من كان الشارح الأصلي للقصيدة الحميرية فهذا هو محمد بن نشوان يركز في تقديمه للإكليل (٨٠/١) على ورع الهمداني وأمانته وعلمه فيقول :

« سألت ، أكرمك الله بأنواع كرامته وأعاذك من صرعة الباطل وندامته ، أن أوضح شيئاً من أنساب بما طلبت ، مؤتماً بما ذكره الشيخ الفاضل المؤتمن لسان اليمن وفائق من كان فيه من الزمن [؟] الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني رحمه الله ، مما صححه من عمله الجليل ، وحققه في كتابه المعروف بالإكليل . وكان رحمه الله بمنزلة في العلم والفضل ، ومعرفة بالفرع والأصل لا ينكرها إلا جاهل متعاط ماليس له بأهل ، فتصنيفه في سائر مصنفاته ، كتاب الأيام ونحوه ، يدل على غزير علم وقوة فهم وشدة فحص على أخبار العرب والعجم . وتصنيفه في كتاب جزيرة العرب كذلك ، ونحو كتاب المسالك والممالك ، دليل علمه الجم بأخبار العرب والعجم ، وإحاطته بأنساب الكافة وأخبارها ، ومعرفة أوطانها وديارها ، ومسافة طرقها ، ومسايل أوديتها وأنهارها . وتصانيفه في علم الطب والنجوم شاهد له في العلم بالحظ العظيم ، الذي فاق به علماء الطب والنجوم وبرز فيه على علماء الكفار والمسلمين ـ مع ما كان فيه من شدة الورع والفضل المشهور في عصره لا يتمارى أحد في أمره » .

إن الهمداني حين تبنى الاتجاه القائل بانحدار الرائش من الصوار لم يكن أول من فعل ذلك ولا آخر من فعله (انظر أدناه) فهو يستند فيه إلى شيخه أبي نصر . كما أن ذلك نسب معروف قال به أو بما يقرب منه عبيد بن شريه . على أن ذلك المذهب ربما كان أقرب المذاهب إلى قلب الهمداني وعقله ، فإنا نرى في نسب همدان (الإكليل ١٠/١٢-١٩) وشائج قوية بين بني الصوار وبني عمرو بن همدان .

وبالمقابل فإن نشوان حين عارض الهمداني فلم يفعل أكثر من تأكيد اتجاه قائم قبل الهمداني نفسه . ولكن ذلك ربما صادف أيضاً استعداداً عند نشوان الذي كان يفخر بانتمائه إلى ذي مراثد (من بني حمير الأصغر حتى عند الهمداني نفسه فهو القائل في القصيدة الحميرية (ص ١٥٨) :

أو ذو مراثد جدنا القيل ابن ذي سحر أبو الأذواء رحب السماح

والقائل (منتخبات : مادة رثد) :

« ذو مراثد ملك من ملوك حمير واسمه حسان ذو مراثد بن ذي سحر من ولده نشوان بن سعيد مصنف الكتاب . ولا يوجد مراثد على وزن مقاتل ومحارب إلا في حمير ثم لا يوجد في حمير إلا في هذا البيت وهو بيت بلقيس ملكة سبأ بنت الهدهاد بن شرح بن ذي سحر » .

والغريب أن نشوان لم يتعرض صراحة لقول الهمداني (الإكليل ٧١/٢) : « وجملة القول أن حمير لم تكن ترضى بولاية امرأة من غير ولد الصوار » . وذلك في ترجيحه لنسب بلقيس في بني الصوار ، ربما لأن الهمداني أورد هناك الرأي الآخر (الإكليل ٣١٨/٢ ، ٣٩٨) ، كما أن شارح قصيدته الدامغة (ص ٤٦٦) اكتفى بإيراد نسبها إلى ذي سحر .

والحق أن الاختلاف بين وجهتي نظر الرجلين في ما يتعلق بالأنساب عامة يرقى إلى درجة كونه يمثل مدرستين متباينتين تماماً . وليس هنا مجال استعراض نقاط الخلاف ، ويكفي أن يرجع المرء إلى مواد شمس العلوم (منتخبات) ذات الصلة بأسماء الملوك ويقارنها بما جاء عند الهمداني .

ولم ينته الكلام في اليمن حول نسب الرائش بما بثّه نشوان في ثنايا كتبه فهذا هو ابن رسول (ت ٦٩٦ هـ) صاحب طرفة الأصحاب يعود إلى الموضوع دونما ضجة فيتبنى من جديد الرأي الذي دافع عنه الهمداني ، وذلك بعد اطلاعه على أعمال الرجلين واستشهاده بها . فهو يقول بعد أن بدأ الكلام بإشارة إلى نشوان كسند (طرفة الأصحاب ٤٣ ـ ٤٥) : « وواصى [أي عبد شمس] بالملك للصوار .. وبقي الملك في عقب الصوار إلى مبعث النّبي ﷺ . ثم ملك بعده ابنه ذو يقدم ثم ملك بعده ذو أبين .. ثم ملك الملطاط .. ثم ملك بعده

ابنـه شـدر [لعلـه شـدد] فظهر من ذريتـه كثير من قبـائل حمير . ثم ملـك بعـده ابنـه وتـار ومن ثم انتقل الملـك إلى تبع بن يزيـد [لعلـه بتـع بن زيـد] من همـدان فملـك عـدة سنين عن تراض من حمير . ثم انتقـل الملـك من همـدان إلى حمير . وكان أول من ملـك بعـد همـدان الحـارث الرائش فبقي في ذلـك زمـانـاً طويلاً ، وغـزا بـلاد الأعـاجم والروم فوطئ أكثر الأرض وهـو من أولاد الصـوار وكان يـدعى ملـك الأملاك ولا يملك الأملاك إلا الله عزّ وجلّ ، وحملت إليه الهدايـا من أرض الصين وبلاد الهند وبلاد الترك خوفاً منه » .

☆ ☆ ☆

وبعـد ، مـا سرّ كل هـذا الجـدل حـول شخصيـة ليس هنـاك في المصادر الأيبوقرافية (النقشية) المعروفـة مـا يشير إليهـا لا من حيث الاسم (الحارث) ، الذي لم يكن من الأسماء المعهودة في ذلـك العصر ، ولا من حيث اللقب (الرائش) ؟ هل يكفي القول بأنه جـدل نـاتج عن نزاع بين فرعين ينتميان إلى حمير ؟ أيـاً كانت أسس ذلـك الانتماء ، هم بنو الصوار وبنو أخيـه جشم . ولكن الصوار وجشم كليهما لم يكونـا أيضاً من الأسماء التي وردت في المصادر الايبقرافية بـأيـة صورة ، فهل يتعين علينا أن ننفض أيدينا عن هذه المشكلة باعتبار أنها مفتعلـة من الأساس وأن الجدل حولها عقيم ؟

يقـول.جـواد علي[6] (المفصـل ٤١٩/٤) إن الأنســاب « من المستحدثات التي بدأت في الجاهلية المتصلة بالإسلام » وهو رأي وجيـه يـدل عليـه هـذا التبـاين الصـارخ بين معطيـات النقـوش ومشجرات النسب من ناحية الأسماء بوجه خـاص . ولكن هل يعني الاستحـداث الاختراع والتلفيـق ، أم أنـه كانت هنـاك نـواة من أخبـار قـد تكـون تعرضت للتحوير ، بل وحتى التشويـه عبر التنـاقـل الشفهي قبـل أن يصار إلى تقييـدهـا كتـابـة في عصر متـأخر ؟ أغلب الظن أنـه كانت هنـاك مثل تلـك النـواة فيما يتعلـق بنسب كل جمـاعـة أو قـل أخبـار أسلافها ، فهذا هو الهمداني يذكر بين مصـادره مـا « خبرني بـه الآبـاء والأسلاف » (الإكليل ٩١/١ مثلاً) . وفي الإكليل العاشر ما يـدل على تخلف آثار قوية لتاريخ همدان القديم عند الهمدانيين بـالـذات استعين

---

(٦) انظر جـواد علي (المفصـل ٣٧٠/١ ومـا بعـده وخـاصــة ٣٧٣) حيث يقـول عن الأحلاف : « فإن هـذه الرابطـة تنتهي إلى نسب يشعر معـه أفراد الحلف أنهم من أسرة واحـدة تسلسلت من جـد واحـد » . وص ٣٧٤ عن حلف « تنوخ » . وقـد تحدثنا عن التفكك في اليمن أواخر عهد التبابعـة في بحثنـا عن « المثـامنـة » الـذي ألقيناه في الـذكرى الألفيـة لأبي محمـد الحسن الهمـداني في صنعـاء أكتوبر ١٩٨١ ، ومنشور في (في العربية السعيـدة) ، (انظر أيضـاً الطبري ١٢٧/٢ حيث يقول : « يقاتل كل رجل عن مقولته وناحيته ») .

حروب الجاهلية الأخيرة المعروفة بأيـام العرب كان من بينهـا حروب بين قبـائل قحطانية : همدان ومـذحج ، وهمـدان وخولان مثلاً : وهنـاك في الإكليل الثـاني إشارات كثيرة إلى تلك النزاعات ودور العصبيات فيها .

بها في وقت متأخر في وضع المشجرات عندما نشأت الحاجة إلى الأنساب ، كما استعين بها ولا شك في كتابة السير .

هذا ولعل اهتمام القبائل اليمنية بالأنساب (والكثير منها قبائل قارة تسكن المدن والقرى وتعنى بالزراعة) قد جاء نتيجة حاجة طارئة إلى إقامة أحلاف معينة أملتها ظروف يمكن تصورها خاصة بعد أن ازداد عدد العشائر التي تتخلل مواطن القارين . ثم بعد أن أخذت دولة التبابعة في التفكك وحدث الصدام بين القبائل اليمنية أو القحطانية وجيرانها من القبائل النزارية أو حتى بين المجاميع اليمنية نفسها بعضها ضد بعض .

وإذا صح أن اليمنيين في اليمن قد عنوا بحفظ أخبار أسلافهم بصورة أو أخرى ، ولسبب أو آخر ، فإن هجرتهم شمالاً أيام الفتوحات الإسلامية أدت ، فيما يبدو ، إلى تطور مختلف لتلك الأخبار عند المقيمين باليمن والظاعنين إلى الشام والعراق . وكان ذلك من أسباب عكوف الهمداني على إخراج عمله الموسوعي الكبير (الإكليل ٨٣/١ وما بعده) . هذا إلى جانب ما تسبب فيه التنافس النزاري القحطاني ، الذي سبقت الإشارة إليه ، من آثار في هذا المجال[٧] .

(٧) يقول المسعودي (مروج الذهب ٢٧٧/١) ونحن ننقل هنا عن جواد علي (المفصل ٥٠٦/١) « ولولد نزار وولد قحطان خطب طويلة ومناظرات كثيرة لا يأتي =

ولقد لجأ اليمنيون منذ البداية إلى القصص القرآني لإضافة مفاخر جديدة إلى مفاخر أسلافهم ، فكانت قصص ذي القرنين وبلقيس وتبع ، وهي القصص التي تولد عنها ملاحم شعرية ونثرية طويلة لها قيمتها الأدبية والعلمية من حيث أنها حفلت بمعطيات تعين في بعض الأحيان على فهم أفضل لبعض معطيات المصادر الأخرى وخاصة الايبقرافية منها ، ولكنها أيضاً تسببت طويلاً في تعقيدات أخرى خاصة في الجانب الكرونولوجي (التسلسل الزمني للأحداث) ، فالمكان الذي اختاره الإخباريون لإدخال عهد بلقيس فيه بعد الحارث الرائش وقبل ياسر يهنعم ، أدى إلى الارتفاع بعهود كثير من الملوك المتأخرين المعرفين وأولهم ياسر يهنعم نفسه (أواخر القرن الثالث حسب المصادر الايبقرافية) ، والارتفاع أيضاً بالفترة البتعية ـ الهمدانية (أواخر الثاني ـ أوائل الثالث) تمشياً مع ما هو معروف عن زمن الملك النبي سليمان بن داود . ومن غرائب الصدف أن شيئاً من هذا القبيل قد حدث في العصر الحديث حين اعتمد أوائل المشتغلين بالدراسات اليمنية كرونولوجيا عالية لدولة معين .

ومن ناحية أخرى فإن الأنساب اليمنية وما يتصل بها من أخبار أو سير تكاد تكون مسألة حميرية بحتة من حيث أن عناصرها الهامة

= عليها كتابنا هذا في التنازع والتفاخر بالأنبياء والملوك وغير ذلك مما قد أتينا ذكر جمل من حجاجهم ومّا أدلى به كل فريق منهم ممن سلف وخلف » .

كلها تقريباً تعود إلى فترة بروز العنصر الحميري على أبعد تقدير . أو إلى فترة قيام نظام « ملوك سبأ وذي ريدان » . فالفترة العتيقة ، التي امتدت إلى نهاية الألف الأول تقريباً قبل الميلاد والتي تمت خلالها إنجازات هامة ، اختفت تماماً أو تبلورت عند النساب والإخباريين في شخص واحد اسمه سبأ حكم خمس مئة عام ، وقد قام ببناء السد الشهير سد مأرب حتى إذا ما حضرته الوفاة قسم المُلك (أو بالأحرى المهام) بين ولديه حمير وكهلان ، فكان لحمير المُلك ولعقبه ، وكان لكهلان أعمال الأطراف والثغور (انظر مثلاً التيجان ٥٨ وأخبار ٤١) . و « كذلك يقال لحمير وكهلان شعباً سبأ » على رأي الهمداني (إكليل ٩٧/١) الذي يصفهما أيضاً بـ (الفرعين) (الدامغة : بيت ٤٠) . وهذا لا يمكن إلا أن يشير إلى لحظة قيام نظام (سبأ وذي ريدان) بجناحيه السبئي ـ الكهلاني (قارن مثلاً : J653) والحميري .

على أن تقدم اسم حمير هنا لا ينبغي أن يؤخذ دليلاً على أن العنصر الحميري كان هو السائد منذ قيام ذلك النظام ، إذ يكفي أن يسيطر العنصر الحميري منذ أواخر القرن الثالث الميلادي لتطمس كثير من المعالم وتصبغ بلون العنصر الغالب ، خاصة وأن مأرب كانت قد أخذت تتوارى في الصفوف الخلفية قبل لحظة الانتصار الحميري بوقت ، وذلك بعد أن انتقل مركز الثقل الفعلي إلى المرتفعات .

وأصبحت سبأ مارب عند مجيء الحميريين قبيلة غارقة في شؤونها الخاصة ، هناك بعيداً على أطراف الصحراء ، وتحارب في صفوف جيش الأعراب الذي وحده ووسعه الحميريون (الإرياني ٣١ و ٣٢) .

إن مما قد يؤكد هذا التصور هو أن القحطانية في اليمن تبلورت في الأنساب في ثلاث كتل رئيسة لم تكن سبأ مارب إلا طرفاً هامشياً فيها[٨] . هذه الكتل هي :

١ ـ **قضاعة** : التي عدت ولداً لمالك بن حمير . ويهمنا منها هنا خولان الجديدة / خولان الشام أصحاب صعدة .

٢ ـ **بنو الهميسع** : وهو الولد الأكبر لحمير والذي آل إليه الملك وظل في عقبه .

٣ ـ **كهلان** : والتي تضم في مقدمة من تضم كامل الشعوب / القبائل التي كانت على (أرض سبأ) : همدان (بعد أن شملت حاشد وبكيل) وخولان العالية / خولان الطيال ، ومعها جرة على الأقل .

وهذا التقسيم ينعكس بقوة في كتابات الهمداني ، وفي خطة كتابه الهام الإكليل حيث عالج الأنساب في ثلاثة أجزاء منه ، كل جزء مكرس لواحدة من تلك الكتل .

---

(٨) انظر مثلاً الإكليل (٢٠٤/١ و ٣١٦ ـ ٣١٧) حيث وصفت سبأ هذه بسبأ الأوسط =

ويكاد يجمع النساب والإخباريون على أن الحكم كان دائماً في عقب الهميسع الذي تداول الملك أبناؤه وأحفاده حتى صار الأمر إلى الصوار من نسله . وبعد الصوار بفترة (انظر القصيدة الحميرية ٥٦ ـ ٥٧ والإكليل ١١/١٠ ـ ١٣) ، يؤول الملك إلى تبع بن زيد ليستمر في عقبه حتى ظهور الحارث الرائش أبي التبابعة ، والذي يتعاقب أبناؤه على العرش حتى النهاية بلا انقطاع إلا في ما ندر (الإكليل ١١٤/٢) كما حدث لدى اتصال بلقيس بسليمان الذي حكم اليمن حتى جاء ياسر يهنعم و « رد ملك حمير إليها » . (الإكليل ٦٩/٢ على سبيل المثال) .

هذا هو تصور المدرسة التي يتبعها الهمداني ومن قبله أبو نصر اليهري ، وربما قبل الجميع عبيد بن شريه مع اختلافات في التفاصيل .

وتضم الأنساب الحميرية العديد من الأسماء التي عرفت في النقوش كملوك في سبأ وفي حمير دون أن ترد صراحة في الخط المتصل للملوك الحميريين . فالشرح (إلي شرح) يحضب لم يملك ، ووتار ابنه مختلف في نسبه ، والفترة البتعية ـ الهمدانية التي ينسب شارح القصيدة

= وهي سبأ بن لهيعة بن حمير [الأكبر] . ولا بد أن هذا الوضع تبلور في وقت متأخر إذ أنه في القرن السادس ظل يفرق في النقوش بين سبأ وحمير وغيرهم . انظر مثلاً (Ry510/6) .

الحميرية شخصياتها إلى بني الصوار (القصيدة الحميرية ١٧٨ ـ ١٧٩) لا ترد أسماء ملوكها ضمن الملوك الذين تعددهم القصيدة المذكورة ، كما أن كرب إل ايفع (اسم ملك حميري في القرن الثالث) لم يكن في الأنساب إلا بطناً (إكليل ٧/٢) . ويختلف النسابة في علاقة ياسر يهنعم (الأب) وشمر يهرعش (الابن) الذي يجعله البعض ابناً لافريقس بن أبرهة ذي المنار (الإكليل ٥٣/٢ على سبيل المثال) . بل ويمتد الاختلاف إلى أواخر الملوك الذين حكموا في القرن الخامس ومطلع السادس .

وهذا إذا دلَّ على أن الأساس الذي تتركز عليه الأنساب والأخبار يتمثل في روايات تعرضت لتشويه أدى إلى تضاربها نتيجة عوامل كثيرة متشابكة ، ربما في مقدمتها النقل الشفهي ، فإنه لا ينفي أن هناك تصوراً مشتركاً هو بمثابة الهيكل الثابت لتلك الروايات التي تقوم على نقاط ارتكاز متفق عليها تشير إلى مراحل معينة يمكن أن تشكل فيما بينها كرونولوجيا نسبية . وهي مراحل تقترن بأسماء ملوك معينين كما يلي :

(أ) **الهميسع** : أول الملوك من ولد حمير الأكبر (على أن حميريته غامضة ولعلها أضيفت عليه بآخره ، وفي كل الأحوال لا ينبغي أن نأخذها قضية مسلمة)[٩] .

(٩) هناك عند عبيد بن شرية (الاخبار ٤١٠) عبارة حول حمير وكهلان بباعثة على =

(ب) الصوار : مؤسس فترة جديدة أو أسرة جديدة على أن حميريته تقترن بظهور تباشير حمير الصغرى ممثلة في أخيه جشم الذي « فيه العدد والثروة وهي جشم العظمى من جميع العرب » (الإكليل ١٠١/٢) .

(جـ) بتع بن زيد : مؤسس الأسرة البتعية ـ الهمدانية التي تأتي في أعقاب اضطرابات تلي عهد وتار بن إلي شرح يحضب بن الصوار . وبتع من نسل عمرو بن همدان (الإكليل ١١/١٠) .

الحارث الرائش : مؤسس فترة جديدة الخلاف يدور حول كونها امتداداً لحكم بني الصوار كما يريد الهمداني مثلاً أو بداية الحكم الجديد في بني حمير الأصغر من ولد جشم كما يريد نشوان مثلاً .

= التأمل . يقول : « فأولد سبأ بن يشجب حمير بن سبأ بن يشجب بن قحطان وكان يقال له العرنجج ـ فهم أهل المدن وفيهم كانت الملوك ، وكهلان بن سبأ ، فملك بعد أخيه حمير حتى ألح به الهرم فرجع الملك إلى ولد حمير ، غير أن المشورة كانت في ولد كهلان » . فالقول بأن حمير « هم أهل المدن وفيهم كان الملوك » يذكرنا بالعهد الذي كتبه الرسول ﷺ لقيس بن مالك بن سعد الأرحبي وثبته فيه على همدان أحمورها وعربها . وكيف أن الأحمور [تأتي الأحمور جمعاً لحميري وتكتب في النقوش : أحمرن] فسّروا بأنهم : قدم وآل ذي مُرَّان وآل ذي لعوة وأذواء همدان . « وقيل أحمورها أهل القرى » (انظر المفصل ١٨٧/١) . وهذا قد يفسر حميرية الملوك والأقيال ، التي هي حميرية الحكم نتيجة قرون من حكم حمير ، وحميرية القبائل التي تنحصر في قبائل الشطر الجنوبي من دولة سبأ وذي ريدان وما ضمته بعد ذلك من مناطق كانت تابعة لمملكة حضرموت الكيان السياسي الرئيس الباقي لحظة انتصار بني ريدان .

(هـ) **بلقيس** : ملكة سبأ المعاصرة لسليمان الذي يحكم اليمن فترة

(و) **ياسر يهنعم** : (أحياناً تاشر النعم) الذي « رد الملك على حمير بعد سليمان » . والذي يتتابع التبابعة من بعده حتى النهاية وأولهم وأشهرهم شمر يهرعش الذي قد يكون أول التبابعة بالمعنى التاريخي إذ أنه بضمه لحضرموت ويمنة قد وحد اليمن .

☆ ☆ ☆

ونحن إذا تأملنا في أخبار الرائش وموضعه من النسب في ضوء ذلك التصور المشترك وكرونولوجيته النسبية فنلاحظ :

(أ) أنه أحد الملوك المتأخرين الذين عاصروا الفترة البتعية - الهمدانية أو جاؤوا بعدها (قارن القصيدة الحميرية ٦٠ والإكليل ١٣/١٠ ، ١٩) .

(ب) أنه أحدث انقلاباً معيناً في نمط الحياة عند الحميريين إذ لم « تزل حمير كذلك لا يعدون اليمن حتى صار الملك » إليه ، على رأي عبيد (أخبار ٤١٤) . هذا الانقلاب مرتبط بقيام علاقات مثمرة مع الهند بالذات .

(جـ) أنه هو الملك الذي ينحدر من صلبه التبابعة ، وأن هذه النقطة هي التي يتركز عليها احتجاج نشوان .

وكل هذا يشير في الأرجح إلى تطور في الجانب الريداني ، ففي حوالي وقت قيام الفترة البتعية ـ الهمدانية (أ) كان هناك ملوك حميريون يتحلون باللقب المزدوج « ملك سبأ وذي ريدان » منهم ذمار علي يهبر المعاصر لوهب إل يحوز (GI 1228) وثاران يعب يهنعم المعاصر لإيلعزيلط الحضرمي (Ja923) صهر وخصم شاعر أوتر البتعي ـ الهمداني . (ب) كما أن العلاقات مع الهند كانت في تلك الفترة نشطة ولدينا شاهد من العقلة عن وصول وفد هندي أيام العزيلط نفسه (Ja93:/4-4) . (جـ) وأما التبابعة فهم على اختلاف التفاسير أولئك الذين حققوا توحيد اليمن[١٠] ، وهذا لم يتحقق بصورة فعلية ثابتة إلا على يد بني ذي ريدان .

وهكذا فإن الرائش ربما كان ملكاً ريدانياً احتفظ الحميريون بالمعنى الايبقرافي التاريخي الجغرافي ، بذكره . ثم جاء الخلاف حوله ،

(١٠) ليس هناك تفسير واحد متفق عليه للقب (تبع) . ومع أنه لا يوجد شاهد واحد في النقوش المعروفة عليه فإن ذكر (تبع) في القرآن الكريم يدل وحده على أن اللقب أو الاسم كان معروفاً . ولا شك أن اهتمام الأخبار بالموضوع عائد إلى هذه الإشارة القرآنية . ومع ذلك نستطيع القول بأن التبابعة.(جمع تُبَّع) عند الإخباريين هم عدد من الملوك الحميريين يركز على ثلاثة منهم : أكبر وأوسط وأصغر ، والأوسط بالإجماع تقريباً هو أبكرب أسعد أو أسعد الكامل . والثلاثة هم من الملوك المتأخرين ومن ثم من حمير (انظر مثلاً القصيدة ٢١٥ ، و ١١٤ ـ ١١٧ ، والدامغة ٥٣٤ ، والإكليل ٥٤/٢ ـ ٥٦ ، والتيجان ٢٣٢ و ٢٤٦ ـ ٢٤٨) .

لحظة قيد الأنساب وتدوين السير في صورتها المعروفة في الإسلام ، لسبب يتعلق ، أغلب الظن ، بأبرز مواطن المنافسة وهو تنازع المفاخر القائمة على القصص القرآني (قصص ذي القرنين وبلقيس وتبع) . ولعل كهلان وهمدان بالذات أرادت أن يكون لها نصيب في أبوة تبع فجعلت الرائش من بني الصوار الذين تتشابك أنسابهم مع البتعيين ـ الهمدانيين من خلال المصاهرة (الإكليل ١٠/١٣ و ١٩ مثلاً) . ولا غرابة فهم فعلوا شيئاً شبيهاً بذلك حين أدلوا بدلوهم في المنافسة على بلقيس فجعلوها أيضاً من بني الصوار (انظر أعلاه) وانتدبوا لها زوجاً منهم (الإكليل ١٠/٢٢) . أما ذو القرنين فكان نهباً مشاعاً بين الجميع .

على أننا إذا رجحنا حميرية الرائش فتبقى لدينا مشكلة ذلك اللقب الغريب الذي لا يمت بصلة إلى ما نعرفه من المصادر الايبقرافية . ولكن أولم يفعل الإخباريون نفس الشيء مع أبكرب أسعد الملك المعروف حين جعلوه (أسعد الكامل) حيث أصبح الاسم (أبكرب) في حالته كنية ، واللقب (أسعد) اسماً ، وأضيف له لقب جديد هو (الكامل) لم يعرف من النقوش (الإكليل ٢/٥٦ ـ ٥٨) . وأولم يفعلوا ذلك أيضاً مع يوسف أسأر يثأر وهو أقرب عهداً إلى الإسلام فلم يعرف عندهم إلا بذي نواس وإن قال بعضهم إنه تسمى بيوسف حين تهود . أفلا يجوز إذن أن يكون (الرائش) لقباً من نوع

(الكامل) و (ذي نـواس) بقي بعـد أن ضـاع الاسم الحقيقي الـذي استبدل بالحارث ربما لأنه من أسماء الملوك العرب ؟

إنـا لنميل إلى أن (الصوار) أيضـاً قـد يكون لقبـاً من نوع هـذه الألقـاب (ربمـا الشعبيـة) ! وإن صـاحبـه ملـك لـه دور بـارز في تطورات فترة ملوك سبأ وذي ريدان . كما أن صلته بإلي شرح يحضب تغري بأن تجعلنا نفكر في كونه ملكاً سبئيـاً من حملـة اللقب المزدوج ، لعلـه أسس أسرة جـديـدة في فترة لا تبعـد كثيراً عن زمن قيـام الأسرة البتعية ـ الهمـدانيـة . وبـالمثل فـإن (الهميسع) من نفس الفئـة وقـد يكون تحريفـاً لاسم حقيقي[11] . وهو قـد يرمـز إلى مـؤسس النظـام المشار إليه أو أحد أبرز الملوك في مطلع ذلك العهد .

إن النسابـة يجعلون الرائش أبـاً لشـاران أكلب الأعلى « اسم ولقب

---

(١١) الهميسـع ، كالصـوار والرائش ، لقب . أمـا اسمـه فهـو آنس (طرفـة الأصحاب ٣١) . والثلاثـة كما لاحظنـا ، وإن اعتبرهم البعض من أسرة واحـدة ، بمثابة مؤسسين لعهود متتابعة . وهذا وحده قد يكون سبب التركيز عليهم . ولعل من غرائب الصـدف أن الحروف التي يتكـون منهـا لفـظ (الهميسـع) إذا أعيـد ترتيبهـا يتكون منهـا (سمـه علي) وهـذا من الأسماء المتكررة في الأسرة المـالكـة السبئية القديمة . وهـذا اسم والـد ذمـار علي وتر يهنعم الـذي قـد يكون أول من حمـل لقب ملـك سبـأ وذي ريـدان إن لم يكن أيضـاً أول من حمـل لقب (وتر) السبئي المعهود مصحوبـاً بلقب (يهنعم) القتبـاني ثم الريـداني والـذي قـد يكون وسيلة لتأكيد اللقب الملكي المزدوج .

ونعت كأنه قال : تاران أكلب المنعم وهو ينعم الأكبر » كما يقول الهمداني (الإكليل ٥٢/١) . وهذا يذكرنا بشاران يعب يهنعم الذي سبقت الإشارة إليه . كما أن هناك شبهٌ تداخل بين الشخصين من حيث معنى لقب الرائش الذي يأتي في بعض التفاسير مرادفاً لأنعم ينعم ، حتى أن الهمداني ليصف الحارث الرائش وياسر يهنعم بالرائشين (الدامغة بيت ٥٧٧) . إن العلاقة بين الرائش هنا وتاران هي أشبه بالعلاقة بين الصوار وإلي شرح يحضب .

ولا ينبغي أن تقف قصة بلقيس عقبة دون ما أوردناه من احتمالات ، وذلك لأن عهد بلقيس إنما هو من صنع الخيال المحض ، فالكتب المقدسة لم تذكر اسم ملكة سبأ ، ومكانها على أي حال سابق على ظهور حمير والعلاقات مع الهند . ولكن التسابق على استغلال القصص القرآني هو الذي أتاح اختراع القصة وتفاصيلها المتعددة الروايات[١٢] ، منسوجة حول نواة عجيبة هي (المقه) (الإكليل ٣١٨/٢) الذي تتحدث النقوش عن مُلكه (مثلاً Fa71) وتعني أراضي سبأ . والقصة في ذاتها لدليل آخر على حداثة علم الأنساب . وقد نسجت بعد أن جهل كل شيء عن معبد أوام أو (محرم المقه) ليصبح (محرم بلقيس) . والأعمدة التي تقف أمام مدخله عرش

(١٢) انظر مثلاً : ـ التيجان ١٤٧ ـ ١٥٩ وأخبار ٤٢٥ والدامغة ٤٦٨

بلقيس إلخ ، لمجرد أن القرآن تحدث عن عرش ملكة سبأ[١٣] . وأكثر من ذلك فإن لبلقيس أختاً هي (شمس) التي تذكر في بعض النقوش ومنها نقوش المعبد نفسه إلى جانب المقه كمعبود آخر . والغريب أن مصادر إخبارية تقول : « لما ولي ياسر يهنعم الملك أقر بلقيس على ملكها بمارب ولم يغير عليها شيئاً من أمورها » . والذي فعله ياسر يهنعم وفعله من بعده ملوك آخرون فترة هو المحافظة على مكانة محرم المقه بعل أوام بمارب .

وهكذا فإنه ليس هناك في الواقع انقطاع بين الرائش وأبنائه التبابعة . وإذا كان لا بد من إيجاد تعليل لعبارة « رد الملك إلى حمير » بالنسبة إلى ياسر يهنعم فإن ذلك قد يعني استرجاع المعافر بعد أن تحكم فيها الأحباش بضعة عهود . وقد تكون غزوة سليمان المزعومة[١٤]

(١٣) يبدو أن الهمداني يسمي بلقيس (يلمقه) وليس (المقه) كما جاء في الإكليل (٣١٨/٢) ، فهذا ما نراه في كتاب الجوهرتين (ص ٣٤٣) إلا أنه مع ذلك يربط بين الاسمين بطريقة ثانية ، فهو يقول : « وكان في دنانير حمير ودراهمها صورة الشمس والقمر والكواكب لأنهم كانوا يعبدونها واسمها عثتر عندهم ، والقمر هبس والنجوم الامقه والواحد منها المق ويلمق . ولذلك سموا بلقيس يلمقه كأنهم قالوا (زهرة) ، وهذا وإن غيَّر صيغة الاسم فهو لا يغير شيئاً من ارتباط اسم بلقيس بالمقه بعل أوام بل ربما يؤكده .

(١٤) في التيجان (١٦٥) وأخبار عبيد (٤٤٨) رواية عن زحف سليمان على أرض اليمن تكررت فيها عبارة : وكان « لا ينزل إلا على الماء بصورة توحي بأن القصة ربما استعيرت من ذكرى تخلفت عن الفروق الرومانية التي لم يعثر بعد على أية =

وعلاقته ببلقيس رمزاً للتسلل الحبشي الذي بدأ بتحـالف سبـأ وأكسوم (C308etC)[☆] .

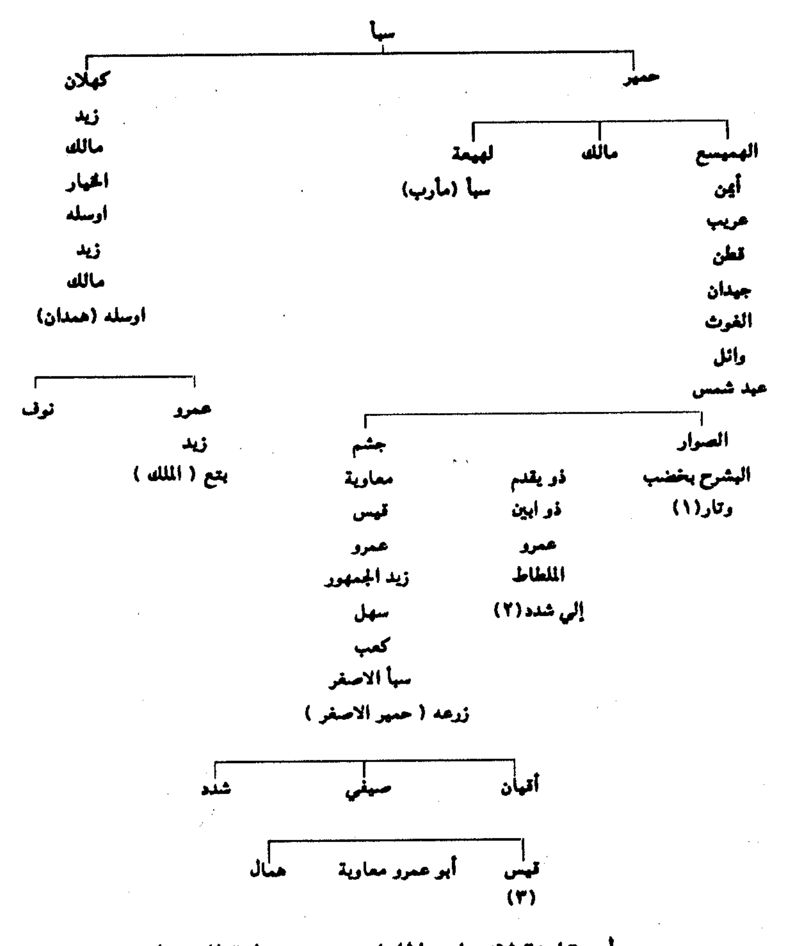
= إشارة إليها في النقوش . على أن استعـادة يـاسر يهنعم للحكم قـد تكون تعبيراً عن تحرير المناطق التي كانت خاضعة للأحباش .

وفي التيجـان (ص ٢٣٠) عبـارة تقـول : « فعبر نـاشر النعم البحر وسـار على ساحله يريد أرض الحبشة فأخذها » قد تكون متخلفـة من أخبـار حروب يـاسر يهنعم مع الأحباش (نقشا المعسال) .

(☆) أعد هـذا البحث مسـاهمـة في كتـاب مهـدى إلى العـالم الفرنسي والكاتب المعروف مكسيم رودنسون إعداد كرسيتان رويان .

Melanques Linquistiques offerts à Maxime Rodinson Edetés par Ch. Robin, Paris 1985, P.14 et Suiv.

ونشر بإذن خاص في دراسات يمنية العـدد ٢٠ ، صنعـاء ، ابريل ـ يونيو ١٩٨٥ ، ص ١٨ ـ ٤٠ . ونعيد نشره هنا لتسهيل الرجوع إليه من قبل القراء العرب .



جدول مقارنة لانساب الملوك حسب رواية الهمداني

(١) انظر الإكليل ج ٨٦/٢ الذي يسمي ولد إليشرح يخضب بن الصوار « عمر يشأر ذا غمدان بن إلي شرح يخضب بن الصوار . قال : وعمرو يثأر أول من شرع في تشييد غمدان بعد بنائه القديم ، ووتار بن إلي شرح عن غير ابن نصر وكذلك هو في مسند ناعط » .

(٢) انظر الإكليل ج ٥٢/٢ « والد إلي شدد بن الملطاط الحارث وهو الرائش بن إلي شدد » وقارن بما في شرح القصيدة الحميرية ص ٥٥ عن الملطاط « ولم يكن له غير ابنين : الحارث الرائش ووتار فأسند إليه الملك واشتهر به » .

(٣) انظر منتخبات في أخبار اليمن مادة ريش « وهو الحارث الرائش بن شدد بن قيس بن صيفي بن حمير الأصغر » .

المراجع

١ ـ رسول : السلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول طرفة الأصحاب : (طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب) تحقيق ك . و. سترستين ، دمشق ١٩٤٩ م .

٢ ـ شريه : عبيد بن شريه الجرهمي : أخبار : «أخبار عبيد بن شريه الجرهمي في أخبار اليمن إلخ ...» . ذيل كتاب التيجان لوهب بن منبه، نشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، (تصوير الطبعة الأولى لحيدر آباد عام ١٣٤٧ هـ)، طبعة ثانية، صنعاء (١٩٧٩) .

٣ ـ علي : الدكتور جواد علي : (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) (١) الجزء الأول (ط١) بيروت ١٩٦٨ (٢) والجزء الرابع (ط١) بيروت ١٩٧٠م .

٤ ـ منبه : وهب بن منبه : التيجان : (كتاب التيجان في ملوك حمير، رواية أبي محمد عبد الملك بن هشام) نشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، (تصوير الطبعة الأولى بحيدر آباد عام ١٣٤٧ هـ)، طبعة ثانية ، صنعاء (١٩٧٩) .

٥ ـ نشوان : نشوان بن سعيد الحميري : (١) القصيدة الحميرية : (ملوك حمير وأقيال اليمن)، تحقيق السيد علي بن إسماعيل المؤيد

وإسماعيل بن أحمد الجرافي، القاهرة ١٣٧٨، (٢) منتخبات: (منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم)، نسخ وتصحيح عظيم الدين أحمد، ليدن ١٩١٦م.

٦ـ الهمداني: أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني: الإكليل:

(١) كتاب الإكليل، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، الجزء الأول (ط٢). بغداد ١٩٧٧م.

(٢) كتاب الإكليل، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، الجزء الثاني (ط١). القاهرة ١٩٦٧م.

(٣) كتاب الإكليل، تحقيق نبيه أمين فارس، الجزء الثامن، طبعة دار الكلمة صنعاء ودار العودة بيروت (بلا تاريخ).

(٤) الإكليل، تحقيق محي الدين الخطيب، الجزء العاشر، القاهرة ١٣٦٨

(٥) الجوهرتين: (كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء).

Herauxs gegben und übersetzt von Christopher Toll. Uppsala 1968

(٦) الدامغة: (كتاب قصيدة الدامغة)، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، القاهرة ١٩٧٨م.

٢

الرحبة وصنعاء

في استراتيجية بناء الدولة السبئية

صنعاء مدينة سبئية بكل ما تحمله هـذه العبـارة من معنى ، فقـد أمر باختطاطها ملك سبئي ووطن فيها عند بنـائهـا بعضـاً من قبيلتي سبأ وفيشـان . وكان ذلـك في النصف الثـاني من القرن الأول الميلادي بعد قرون طويلة من قيام المدن السبئية الرئيسية الأخرى مثل مارب وصرواح .

ولكي نفهم الظروف التي أقيمت فيها هذه المدينة العريقة والأدوار التي اضطلعت بها بعد أن قامت حتى أصبحت عاصمة ثانيـة فينبغي أن نعود إلى الوراء نتتبع تطور الدولة السبئية قبل ظهور صنعاء وبعده .

١ـ الاستيطان

وعلينا تمهيداً لذلـك أن نتنـاول سيـاسـة الاستيطـان التي اتبعهـا السبئيون في مناطق مختلفـة من نجـد اليمن والجوف (R.3945)[☆] في

(☆) الرموز بين الأقواس التي تتخلل النص هي رموز نقوش كمراجع .

أراض كانت من قبل تابعة لقبائل أخرى بعضها كان قد اتخذ شكل المملكة فاستولوا على المدينة استيلاء بعد طرد أهلها منها أو أدخلوا على تركيبتها السكانية تعديلات تجعلهم قادرين على تحقيق الهدف الذي كانوا يسعون إليه والذي هو توسيع رقعة دولتهم وتثبيت أركانها وتأمين حدودها .

ولم يخرج الهدف من بناء صنعاء في المكان الذي بنيت فيه عن جوهر أهداف تلك السياسة الثابتة . فقد أقيمت في بقعة تكاد تكون مأذنية صرفة[1] ، بل وإلى جوار (شعوب) حاضرة مأذن ، وعلى مشارف الرحبة التي اقترن اسمها بعد ذلك بصنعاء في النقوش وارتبط مصيرها بها ثم انتهت بأن نسبت إليها فقيل (رحبة صنعاء) .

والرحبة ، كما هو معروف ، قاع من قيعان نجد اليمن الواسعة التي عددها الهمداني في الصفة حين قال : « ثم البون ، وهو أوسع قيعان نجد اليمن هو وحقل جهران والرحبة وحقل شرعه وحقل قتاب وقاع الجند وحقل صعدة »[2] .

وقد حرص السبئيون على استيعاب تلك القيعان والحقول واحتوائها ، خاصة تلك التي تقع منها في الجزء الشمالي من نجد اليمن .

---

(١) الهمداني : الإكليل ٢٤٣/٢

(٢) كأعلاه .

واتبعوا لتحقيق ذلك استراتيجية ثابتة تتمثل في إحاطتها من أقطارها بالمراكز الحصينة المتقدمة التي وطن فيها سبئيون وفيشانيون .

١ ـ صرواح مركز متقدم :

ولعل أقدم تلك المراكز السبئية المتقدمة هي مدينة صرواح أقدم المدن السبئية في الهضبة أو النجد ، غير بعيد من حاضرتهم الكبرى مارب في المنخفضات ، وفي منطقة خولان (العالية) التي ارتبط تاريخها المعروف بالسبئيين باستمرار .

ولدينا نقشان من صرواح نرى فيهما ما يؤكد هذا الذي نقوله بشأن تلك السياسة السبئية .

أولهما وهو (C.601) الذي يتحدث عن توطين سبأ ويهبلح في المدينة في وقت ما من المرحلة العتيقة التي نسميها نحن فترة ملوك سبأ والممتدة من البدايات حتى لحظة تحول اللقب الملكي إلى « ملك سبأ وذي ريدان » .

وثانيهما وهو (R.3951) الذي يتحدث عن تحرك المقاتلين من صرواح لفرض الهيمنة السبئية في مناطق من نجد اليمن هي في النقش : الرحبة والكابة (كبتن) والمعللات (معللتن) وأسمدن . والرحبة ينبغي أن تكون رحبة صنعاء قبل قيام صنعاء لا رحبة أذنه ، والكابة سنعود إليها . أما المعللات فالأرجح أنها التي أصبحت تعرف ، في

النقوش اللاحقة (المعسال ٣) وحتى أيام الهمداني ، بالمعلل[٣] .
وتبقى (أسمدن) مستعصية على التعريف .

٢ ـ نشان والجوف :

هذا ويعدُّ نقش النصر (R.3945) لكرب إل وتر بن ذمار علي الملك ـ المكرب خير ما يصور السياسة السبئية التي نحن بصددها . وهو يعد من نقوش معبد المقه بصرواح .

من ذلك النقش نلمس أن الجوف كان يعج بممالك صغيرة يهمنا منها مملكة نشان وهي مدينة تعرف خرائبها اليوم بالسوداء .

ونشان هذه التي يصف النقش حملة كرب إل عليها تأديباً لها حين تمردت عليه مرتين ، كان يحكمها على ذلك العهد ملك اسمه سمه يفع تمتد ممتلكاته إلى مناطق تقع في الغرب من موضع صنعاء منها دورِم في وادي ضهر ومدينة شبام (كوكبان) . وكان ملوك سبأ قد منحوا ملوك نشان من قبل أراضي ومصادر مياه لعلها كانت في الجوف فاستردها كرب إل واستولى على مدنهم بما فيها شبام إلخ .

ومن الربط في النقش بين نشان ونشق التي لم يذكر لها ملك نفترض أن نشق كانت هي الأخرى من المدن التابعة لذلك الملك .

---

(٣) كأعلاه ٢/٥٥ و ٢٣٨

وكان آخر ما اتخذه كرب إل في حق المدينتيْن هو :

- أن تجنب حرق نشان - وكان قد أحرق مدناً نشانية كثيرة - واكتفى بإزالة سورها . ثم فرض على سمه يفع أن يقبل بإقامة سبئيين فيها وأن يبني بوسطها معبداً لألمقه المعبود الوثني السبئي(٤) .

- أما نشق فقد استولى عليها غنيمة لألمقه ولسبأ ، فظلت من يومها مدينة سبئية يتكرر ذكرها في النقوش كأحد المواقع الهامة لسبأ إلى جانب صنعاء ومارب (جام ٥٧٧ مثلاً و ٦٦٥) .

ولقد كان لسبأ مدينة تسمى (كبتن) (الكابة) ، سبقت الإشارة إليها عند الكلام عن صرواح ، لا يعرف أحد على وجه التحديد أين كانت تقع . وهناك نقش معين من مارب (جام ٥٥٠) خطه أحد أعيان سبأ إثر عودته من تلك المدينة بعد أن أقام بها عاقباً (والياً) على سبأ والقبائل الأخرى في منطقتها طيلة الأعوام التي استغرقتها حرب كانت تدور بين سبأ وقتبان . وكان عليه أثناء وجوده بها أن يجمع المقاتلين ويرسلهم إلى المدينة (تهرجب) التي يعتقد أنه يقصد بها مارب ذاتها .

---

(٤) محمد عبد القادر بافقيه : M.A.BAFAQIH:

Le Yemen an cours de la periode des rois de Saba et de dü-Raydän, Thëse de Doctorat dEtates es Lettres et sciences Humaine (Histoire), Université de Paris, Sorbone-ParisIV, (en polycopie) 1983 (2.1.4). or LUnification de Yemen Antique, Paris, 1990

هذا وإذا عدنا إلى نقش النصر نجد أن كرب إل ، الذي شملت أعماله العسكرية مناطق تترامى بين نجران والمدن الساحلية على البحر العربي وبين السوط في الهضبة الحضرمية (الجول) والمعافر (الحجرية) ، لم يتعرض لأي من قيعان نجد اليمن ، وهو ما لا يمكن تفسيره إلا بأن تلك المناطق وأهلها وأي حكام محليين لهم كانوا على وئام مع الدولة السبئية .

ولعل ما يؤكد ذلك أن ملك سمعي ، إلى الشمال من الرحبة كان وأسلافة على علاقة ود بملوك سبأ وبكرب إل بالذات ، وكانوا يتلقون الإقطاعيات من سبأ (C.37) .

٣ ـ المدن البكيلية :

وفي وقت من الفترة العتيقة ذاتها ، وربما بعد كرب إل ، قام السبئيون بحملة استيطان أخرى ترتب عليها انتشار ما سمي وقتها بأرباع بكيل ، في خط ينتظم ثلاثاً من المدن على الأقل ، مواز لخط تقسيم المياه في السراة ، وغير بعيد من الرحبة . وهي مدن : ريدة وعمران وشبام (كوكبان) .

ولا بد أن ذلك قد أكمل إحكام تطويق قيعان الهضبة كما ذكرنا وبه استقرت حدود الدولة السبئية من صعدة إلى الأطراف الجنوبية لقاع جهران شمال نقيل سمارة ، ومن مارب إلى خط المدن البكيلية المذكورة .

٤ ـ السلام السبئي :

وهكذا فإنه يمكن القول بأن قيعان نجد اليمن ومنها الرحبة نعمت بالاستقرار في ظل ما يمكن تسميته بالسلام السبئي طيلة الفترة العتيقة وهي فترة ازدهار اقتصادي ذائع الصيت . وكانت تلك القيعان مقسمة بين شعوبها (قبائلها) الأصلية التي انتشر بين زعمائها أو حكامها المحليين لقب القيل ، فكانت أراضيها عبارة عن مقولات تتمتع بالاستقلال الداخلي ضمن صيغة اتحادية يجمعها الولاء لملوك سبأ مما بيناه في أبحاث كثيرة سابقة[(٥)] .

ولم يكن ذلك ليمنع أعيان سبأ وأثرياءها من تملك الأراضي الزراعية هنا وهناك ، وخاصة حول المدن التي استوطنها السبئيون والتي يمكن وصفها بأنها مدن ملكية ، وتتجلى سياسة الاستصلاح والاستثمار السبئية في عدد من النقوش لعل أقدمها هو (جام ٥٥٥) الذي يتحدث صاحبه عن أراضيه في نشق وجهران وأراضي الشعبين مهأنف ويبرين .

٢ ـ سبأ وذو ريدان

لقد كانت الفترة العتيقة فترة ازدهار للتجارة العربية حتى جاء

(٥) بافقيه : « الأقيال والأذواء ونظام الحكم في اليمن القديم » ، في دراسات يمنية ، عدد ٢٧ ، صنعاء ، يناير ـ مارس ١٩٨٧ م ، ص ١٤١ وما بعدها . وهنا .

وقت قال فيه أجاثر خيدس (الربع الأخير من القرن الثاني قبل الميلاد) :

« ليس هناك من الأمم من هو أغنى من السبئيين والجرهائيين [لعلهم الهجريون] الذين كانوا وكلاء كل شيء يقع تحت اسم النقل بين آسيا وأوروبا ، فإنهم هم الذين جعلوا سوريا البطالسة غنية بالذهب ، وهم الذين سهلوا للفينيقيين سبل التجارة المربحة »[٦] .

وكان الإقبال على اللبان بالذات ، وغيره من المواد العطرية اليمنية ، في أرجاء حوض البحر المتوسط قد زاد منذ أيام الإسكندر المقدوني على الأقل ودفع الحضارمة آخر الأمر إلى العناية بمناطق اللبان الشرقية فيما كان يسمى بالسأكل (سأكلن) الذي يعرف اليوم باسم ظفار ويقع في سلطنة عمان ، فأقاموا فيه ميناء خاصاً اسمه (سمهر) تنقل منه حاصلات المنطقة بحراً إلى قنا .

وفي أواخر القرن الثاني قبل الميلاد وهو الوقت الذي كتب فيه أجاثر خيدس ما كتب اكتشف البطالسة في مصر سر استخدام الرياح الموسمية وبدأت سفنهم تقوم بالإبحار رأساً إلى الهند وإنما بأعداد صغيرة .

على أن هذا أدى مع الوقت إلى الاستغناء عن التوقف بميناء عدن

---

(٦) بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، بيروت ١٩٧٣ و ١٩٨٥ م ص ٧٣

الـذي كان من قبـل ملتقى السفن القـادمـة من مصر والهنـد ، وفيـه يحدث التبادل في سلع الجانبين (الطواف فقرة ٢٦) .

ولكن ميناء آخر على البحر الأحمر اسمـه في المصـادر الكلاسيكيـة الأجنبيـة (مـوزا) ، لعلـة مـوزع ؛ قـام أو اشتـد نشـاطـه في ذلـك الوقت . وكان يحتكر التجـارة مع بلاد الزنج (شرق إفريقيـا جنـوب رأس حـافـون) ، وتقصـده السفن الأجنبيـة للتزود فيـه ببعض المـواد العطرية التي قد يكون بعضها من منشأ إفريقي .

في نحـو ذلـك الـوقت قـامت وازدهرت أذوائيـة بني ذي ريـدان الحميريين[٧] ، أصحاب القصر ريدان في ظفـار ، إلى الشرق من يريم ، واكتسبت من الأسبـاب مـا مكنهـا من السيطرة على التجـارة في موزا (موزع) وعلى المعافر .

هنالك واجه السبئيون تحدياً لاستراتيجيتهم القاضية دومـاً بعـدم السماح بقيـام وضع في ذلـك الركن يهـدد أمن دولتهم التي بنوهـا بصبر ومثابرة عبر القرون وخاضوا في سبيلهـا المعـارك مع أوسـان ثم قتبـان حين تعـاظم نفوذهمـا في ذلـك المكان بـالـذات ، وكل مـا نعرفـه أنهم لم يلبثوا أن فرضوا سيطرتهم على بني ذي ريدان كما يدل على ذلك اتخـاذ

---

(٧) بـافقيـه : (موجـز تـاريـخ اليمن القـديم) في بـافقيـه وآخرون : (مختـارات من النقوش اليمنية القديمة) تونس ١٩٨٥ م ، فقرة ٣ ـ ٣

ملوكهم لما يسمى بـاللقب المزدوج « ملـك سبـأ وذي ريـدان » عنوان المرحلة التالية في التـاريخ السبئي ، بل وإلى حـدٍّ مـا التـاريخ اليمني على إطلاقـه . وكان ذلـك أغلب الظن في أعقـاب الغـزوة الرومـانيـة الفاشلة حوالي عام ٢٤ ق.م .

ونعلم من نقوش وقعت عليها البعثة الأثريـة الفرنسيـة قبل أعوام قليلـة في جبل اللوذ ، عنـد مخرج طريق البخور في الجوف نحو نجران وشمال الجزيرة ، أن أوائل الملوك السبئيين الـذين اتخـذوا ذلـك اللقب كانـوا يسيطرون على كامــل الرقعــة الممتــدة من هنــاك حتى بــلاد أو مخلاف مقرى غربي المنطقة التي تقوم فيها ذمار ويتحكمون بذلك ، كما كانوا يتحكمون دائماً ، في مخارج الطرق التجارية نحو الشمال .

وهـذا يـدل في الوقت نفسـه على أن الاستقرار القـديم في قيعـان النجـد ومنهـا الرحبـة بقي على مـا هو عليـه بعـد حـدوث التحـولات المذكورة في الركن الجنوبي الغربي .

١ ـ اختطاط صنعاء :

ثم بعد حين ، وفي منتصف القرن الأول أو بعده تقديراً ، قـامت صنعاء مدينة تتقاسمها سبأ وفيشان ، أقامها ملـك اسمـه هلـك أمر بن كرب إل وتر يهنعم ملك سبأ وذي ريدان (G1.A.542) .

فمـا الـذي أحـوج السبئيين ، بعـد كل تلــك القرون ، إلى فرض

وجودهم الحسي في هذه البقعة الآمنة إلى جوار (شعوب) حاضرة مأذن ؟

إن الاستيطان السبئي حين كان يتم فيما سبق في أراضي قبائل أخرى إنما كان يتم عادة على حساب تلك القبائل نتيجة إحساس بخطر على مصالح الدولة السبئية أو مقدمة لفرض هيمنتها على مناطق جديدة .

ولكنهم اختاروا طريقاً آخر في هذه المرة إذ أبقوا على شعوب حاضرة مقولة بني مأذن التي ظلت موالية لهم كما يظهر من النقوش في الفترة اللاحقة وأقاموا صنعاء في مكان حصين إلى جوارها . فما هي الملابسات التي حتمت وجوداً سبئياً في ذلك المكان وذلك الزمان هو أشبه بالمدد ؟

ربما وجدنا الجواب على هذا التساؤل في الأحداث التي تداعت بعد قيام صنعاء ووجود سبئيين على مشارف الرحبة . ففي عهد لاحق غير بعيد هو عهد كرب إل بيّن ملك سبأ وذي ريدان بن ذمار علي ذرح نجد سبأ في صدام مع حضرموت في الجوف (جام ٦٤٣ + ٦٤٣ مكرر) . ثم نلاحظ أنه رغم الهزيمة النكراء التي مني بها الحضارمة في تلك المعركة إلا أن المصائب توالت على سبأ بعد ذلك . فلم يلبث أن ثارت شعوب (قبائل) بني ذي ريدان الحميريين في العهد التالي

مباشرة ، وهو عهد يهقم بن ذمار علي ذرح ملك سبأ وذي ريدان ، وجعلته يخوض بنفسه حرباً بلغت أنحاء يافع (روبان - برون بني بكرا) . وبالمقابل فإن قبيلة شداد ، الموالية أو التابعة لبني ذي ريدان ، استولت في إحدى المراحل على القصر سلحين بمارب فيما كان الملك موجوداً بصنعاء . وقام بطردهم منه ومطاردتهم قيل غيمان وقبيلته بأمر من الملك (جام ٦٤٤) .

٢ ـ المواجهة :

ولم يلبث أن استولى بنو ذي ريدان على قاع جهران والمناطق المجاورة على جانبيه ، وعندها اتخذوا اللقب المزدوج من جانبهم (C.40) وكانوا محقين في اتخاذه ، وذلك لأنهم أصبحوا يحكمون جزءاً من أراضي سبأ إلى جانب أراضيهم الأصلية التي يرمز إليها في اللقب بذي ريدان[٨] .

حدث ذلك أواخر القرن الأول / أوائل القرن الثاني ، وأدَّى إلى سقوط الأسرة الملكية السبئية التقليدية[٩] . وبدأ في الجزء المتبقي من سبأ حكم ملوكٍ من الأسر القيلية في النصف الشمالي من نجد اليمن ، خاصة : من جُرة أصحاب نعض عند جبل كَنِنْ جنوب شرق صنعاء ،

---

(٨) بافقيه كأعلاه الفقرتان ٤ ـ ١ و ٢

(٩) بافقيه : في العربية السعيدة ، صنعاء ١٩٨٧ م ، من ٦٥ وهامش ١ و ٧

ومنهم بل أول الجميع نشأ كرب يهأمن يهرحب الأول الذي تخلى عن اللقب المزدوج (C.573 مثلاً)/ ومن بني مراثد وذي كبير أقيان أصحاب عمران وشبام (كوكبان) ، ومنهم من أهمهم إلي شرح يحضب الأول (جام ٥٦٨) الذي يجعله النساب والإخباريون ابناً للصوار/ ومن غيمان القريبة من صنعاء ، ومنهم أنمار يهأمن على الأقل (عام ٥٦٢) ، ومن يقع وهمان أصحاب ناعط وحاز ، ومنهم يريم أيمن (جام ٥٦٥) . وكلهم - كما لا يفوتنا أن نلاحظ - من الذين تحيط ديارهم بالرحبة وبصنعاء[١٠] .

وأصبحت الرحبة وصنعاء ، بعد وصول بني ريدان إلى قاع جهران ، هي الخطوط الأمامية لدولة سبأ أو ما تبقى منها في مواجهة بني ذي ريدان ، يفصل بينهما نقيل يسلح ونقيل آخر مجاور اسمه (يجران) تكرر ذكرهما في النقوش السبئية (جام ٥٧٧) والحميرية (المعسال ٣) على السواء ، في سياقات تتصل بالمعارك بين الجانبين .

وطيلة قرنين هما الثاني والثالث ، ظلت الحرب تدور سجالاً بين ملوك سبأ الجدد الرافضين للحكم الريداني والملوك الجدد من بني ذي ريدان ، وظلت حضرموت طرفاً ثابتاً فيها لاعتبارات تتعلق بها وإن تقلبت مواقفها . وأصبحت الحرب في إحدى المراحل حرباً شاملة كما يقول نقش ليريم أيمن وهو قيل (C.315) .

(١٠) بافقيه : Le Yemen opcit, (Ch VIII et tableau II)

كانت حمير قد أصبحت حينها الدولـة الأقوى في غرب اليمن(☆) ، إذ انفردت بموزا (مـوزع) على البحر الأحمر أنشـط المـوانئ منـذ حين (الطواف ٢١ ـ ٢٤) إذ بلغ نشاطه أضعاف نشـاط المينـاء الأكسومي المنافس أدوليس/ عدولي (فقرة ٦) . وقد ساعـد ذلـك الحميريين على مواصلة الضغط على سبأ حتى اضطرت إلى التحـالف مع حضرموت في الشرق وأكسوم عبر البحر في الغرب .

وازداد الموقف تعقيداً بدخول الأحباش طرفـاً في النزاع إذ تمكنوا من الانتشار في تهامة طيلة القرن الثـالث حتى أصبحوا يسيطرون على البرين العربي والإفريقي في النصف الجنوبي من البحر الأحمر .

وعندها أصبحت أكسوم إحدى دول العالم الكبرى في ذلك القرن كما يقول ماني الفارسي .

٣ ـ صنعاء والرحبة في النقوش :

وهكذا على مدار القرنين الثاني والثالث تردد اسم صنعاء والرحبة في النقوش مقترنين في كثير من الأحوال .

ففي منتصف القرن الثـاني وسبـأ تخـوض حربـاً ضـد تحـالف حضرمي قتبـاني يضم أطرافـاً أخرى صغيرة (جـام ٦٢٩) رابـط في

(☆) وصف الطواف (فقرة ٢٣) دولة سبا وذي ريدان بالـدولـة الأولى في بلاد العرب وذلك في القرن الأول غالباً .

الرحبة كل أقيال حاشد وحُملان ويُرسم ومعهم قيل بكيل ريدة ، بل وقيل لذمري التي كانت تتبع بني جره ، وذلك تحسباً من مفاجآت من الجانب الحميري . كما رابط في الوقت نفسه قيل الجراف (المجاورة لصنعاء) في صنعاء ذاتها ولم يرد حينها ذكر لغمدان .

كما ذكر نقش قتباني (CIAS47.82/02) من المرحلة نفسها قيام آخر ملوك قتبان واسمه (نبط) بالانتقال من مدينة (ذات غيل) إلى الرحبة للقاء ملك سبأ ثم إلى أرض حمير ، فهل لذلك من علاقة بالصلح الذي تمَّ بعد الحرب الشاملة ؟

وفي القرن الثالث تكرر ترداد الملكين إلي شرح يحضب الثاني وأخيه يازل بيِّن على مدينة صنعاء والرحبة ، وكانا يحرصان على تأكيد ذلك في نقوشهما التي يكثر فيها ذكر غمدان كما سنرى . وكان إلي شرح يقود المقاتلين منطلقاً من صنعاء إلى أرض حمير وإلى السراة حيث انتشرت عصابات الأحباش وكثرت تحرشات العشائر البدوية بالسبئيين بدفع حبشي (جام ٥٧٦ + ٥٧٧ و 954 + C.314) .

ويذكر نقش حميري فريد (المعسال ٣) هجوماً حميرياً على أرض مهدم والمعلل في الغرب من صنعاء ، وغارة على عدد من القرى في الرحبة كبيت سخيم وبيت نحيم اللذين لم يتخلف لهما أثر في المصادر الإسلامية .

٤ ـ غمدان في النقوش :

ويأتي أول ذكر لغمدان القصر الملكي بصنعاء في نقش لشعر أوتر الملك السبئي الكبير قبل اتخاذه اللقب المزدوج . جاء ذلك في عبارة :

« شعر أوتر ملك سبأ والبيت سلحين وغمدان وأتباعه (أدمهو) سبأ وفيشان » . (نامي : نقوش عربية جنوبية ١٢) .

وهذا يذكرنا بما قاله الهمداني بشأن بناء غمدان فهو يقول : « إن الذي بنى غمدان إلي شرح يحضب ، وإن شعر أوتر هو الذي أوصل بنيان القصور وأحاط صنعاء بحائط » (الإكليل ٤/٨ـ١٩) .

والهمداني هو أيضاً الذي قال في مناسبة أخرى إن هناك من ينسب بناء غمدان إلى ابن لإلي شرح يحضب يختلف الرواة في اسمه فمنهم من يجعله عمرو يثأر وينعته بذي غمدان ، ومنهم من يقول إن اسمه هو وتار (الإكليل ١٠٢/٢) . ونحن نعرف أن إلي شرح يحضب الأول (ابن الصوار) له ابن اسمه وتار حكم بعده (جام ٦٠١ مثلاً) . وإلي شرح يحضب الأول هو الذي قابل التحدي الريداني بالرجوع إلى اللقب المزدوج . وليس هناك ما يمنع من أن يكون ما قاله الهمداني له أساس من واقع مذكور في نقوش كانت معروفة على أيامه ولم تصل إلينا بعد .

والمهم في كل الأحوال هو أن قيام غمدان في صنعاء معناه أنها أصبحت عاصمة ثانية ، وهذه في تقديرنا حالة نادرة أو فريدة في التاريخ اليمني القديم أملتها الظروف التي اقتضت وجود الملوك في صنعاء والرحبة لفترات طويلة . وقد رأيناهم يترددون عليها أيام يهاقم (جام ٦٤٤) إبان احتلال سلحين وأيام كرب إل وتر يهنعم بن وهب إل يحوز الذي أوكل أمر سلحين في إحدى الفترات إلى قيل غيمان فوصف القيل المذكور أسرته بني ذي غيمان بأنهم أصحاب القصر سلحين (أبعل بيتن سلحن) (جام ٥٦٤) .

ونحن نعرف أن القصر بالنسبة إلى الملك في عاصمته كما هو أيضاً بالنسبة إلى القيل في حاضرة مقولته هو مركز السلطة ورمزها . ولدينا في هذا الصدد نص ممتع لأحد أقيال ردمان هو لحيعة يرخم بن وهب إل يحوز (جام ٢٨٦٧) فقد جاء فيه قوله : « واشعبهوا أشعب يقلن وحرج بن بيتهو هران » . أي : وقبائلهم تلك القبائل التي يتقيل عليها ويحكمها من قصرهم هران . وقد يجمع القيل بين قصرين حين يجمع بين قيالة مقولتين مثلاً كما حدث في أحوال كثيرة منها حالة الأقيال اليزنيين في القرن الرابع حين كان لهم القصر (يزأن) في عبدان والقصر (يحضر) في حلزوم (نقش عبدان الكبير) .

ولكن هذا الجمع بين القصور كان على ما يبدو من نتاج الظروف

المضطربة التي رافقت الحروب الضارية وتقلب التحالفات ، فهو تطور لاحق أدخل على القاعدة التي تقضي بوحدة المقولة كما تقضي بوحدة المملكة ووحدة السلطة ومن ثم وحدة القصر الرمز .

ولعل عبارة ، البيت سلحين وغمدان (بصيغة المفرد) في نقش شعر أوتر المتقدم ذكره هي من قبيل تأكيد وحدة السلطة واعتبار القصرين بمثابة القصر الواحد وأن غمدان ليس إلا امتداداً لسلحين في صنعاء ، ولا غرابة في ذلك فقد دأبت النقوش على اللجوء إلى أساليب رمزية في التعبير لتأكيد الوحدة في جوانب أخرى ، فنراها تصف أحياناً شعبين (قبيلتين) بأنها قبيلة واحدة كما في حالة ردمان وخولان قبيلتي بني معاهر وذي خولان وحالة ضيفتن ومشرقن قبيلتي اليزنيين حين أصبحوا أذواء يزن ويلغب مثلاً إلخ .

وإنه لمن قبيل الرمز بلا شك ما جاء في نقش (الإرياني ٩٠) عن وصف التحالف العابر الذي تمَّ بين الأخوين إلي شرح ويأزل من جهة وشمهر يحهمد من الجهة الأخرى ، فقد وصف ذلك الاتفاق بين الجانبين السبئي والحميري بأنه تآخٍ بينهما (وحشك) (اتحاد حميم) بين سلحين وريدان .

ونحن نميل إلى الاعتقاد بأن قيام نظام سبأ وذي ريدان الذي يرمز إليه اللقب المزدوج إنما تمَّ منذ البداية على أساس حلف أو اتحاد

من هذا القبيل . ولعله عند ذلـك اتخـذ الرمز المونجرامي الشهير الـذي يشبه نخلـة زخرفيـة ( ) ، والـذي زينت بـه العملات المضروبـة باسم القصر ريـدان كما زينت بـه نقوش بني ذي ريـدان وأقيـالهم مثل نقش بيت ضبعان (الإرياني ٤٠) فهذا الرمز - مهما كانت مكوناتـه - إنمـا يرمز إلى سبـأ وحمير معـاً ، ومن ثم ينبغي أن يشير إلى القصرين سلحين وريدان .

وقد يؤكد ذلـك وروده فيما يمكن اعتبـاره خـاتم التبـابعـة الـذي ختمت بـه نقـوشهم بعـد ضم حضرمـوت ، فهـو يتكـون من ثـلاثـة مونوجرامـات متعـاقبـة أولهـا : الـذي يجمع حروف كلمـة (بحلف) ، والثـاني هـو هـذا الرمـز الشبيـه بـالنخلـة ، وثـالثهـا هـو المـونـوجرام لكلمـة شقر (شقير) اسم القصر الملكي في شبـوة ومقر الملك بها (الإرياني ١٣) . فالخاتم إنمـا يقول « بحلف سبـأ وحمير وحضرموت » كناية عن الطبيعة الاتحادية لدولة التبـابعـة ، والاتحـاد بعد هو سمة الحكم في اليمن القديم[(١١)] . ومع أن كل مـا تقـدم إنمـا يؤكـد هـامشيـة غمـدان كرمـز للسلطـة إلا أن القصر كان أيـام الأخـوين إلي شرح ويأزل موضع عنـايتهما لكثرة مـا اضطرتهما ظروف الحرب في المرتفعات وفي أنحـاء السراة وتهـامـة إلى الانطلاق منـه والعودة إليـه . فهما يـذكران في أهم نقـوشهما المعروفـة عـودتهما من الحروب إلى سلحين

(١١) بافقيه : تحالف سبأ وحمير وحضرموت ، ريدان ، عدن ١٩٨٨ م .

وغندان ، بالنون ، والحرمين ومارب وصنعاء ونشْق وكل مقاولهم ، (جام ٥٧٦ + ٥٧٧) . ومقاولهم هنا لغة في أقيالهم والمقصود أنهم عادوا ومعهم الأقيال .

بل إنه حين سحق الملكان ثورة أو تمرداً أو انقلاباً داخلياً قام به القيل نمران أو كن فقد وصف أحد أتباعهما استعادتهما لزمام الأمور بعبارة :

« ستوفين ملك ونبتت وأُتوت مرأيهمو إلي شرح يحضب وأخيه يأزل بيِّن ملكي سبأ وذي ريدان بني فارع ينهب ملك سبأ عدي البيتين سلحين وغمدان » (الإرياني ١٨) ، أي تحقيق ملك وانتصار وعودة سيديهم إلي شرح ... ويأزل ... إلى القصرين سلحين وغمدان . ولكن هذا التركيز على غمدان أيام الأخوين المذكورين يعد حالة خاصة لا تسمح بوضعه في مصاف واحد مع سلحين . ويأتي تأكيد ذلك من نقوش عهد ابنهما وخليفتهما نشأكرب يامن يهرحب الثاني آخر الملوك السبئيين ، فهو حين أحس بالأخطار تتهدد ملكه كما تهددت من قبل ملك سميه نشأكرب الأول (C.573) ، فإنه لم يذكر غمدان ، وإنما اقتصر في تقدماته العديدة إلى معبوده المقه في محرمه بمارب على الدعاء لملكه وقصره سلحين وحده . (جام ٦٠٨ ـ ٦١١) ، ولا غرابة فسلحين هو القصر الذي انتقل ياسر يهنعم وابنه شمر يرعش

من ظفار إلى مارب خصيصاً لاستلامه ، تكريساً وإشهاراً لتوحيدهما دولتي سبأ وحمير من جديد (الإرياني ١٤) .

وهكذا تحقق ذلك المشروع الذي بدأته الأسرة التقليدية الملكية في سبأ فتعرضت بسببه لمتاعب جمة من داخل المملكة ومن خارجها - متاعب أدت إلى سقوطها كما أسلفنا . وبتحقيق وحدة سبأ وحمير بدأت مرحلة جديدة في التاريخ اليمني بخاصة والعربي بعامة هي مرحلة التبابعة التي دامت قرنين توحد خلالها اليمن .

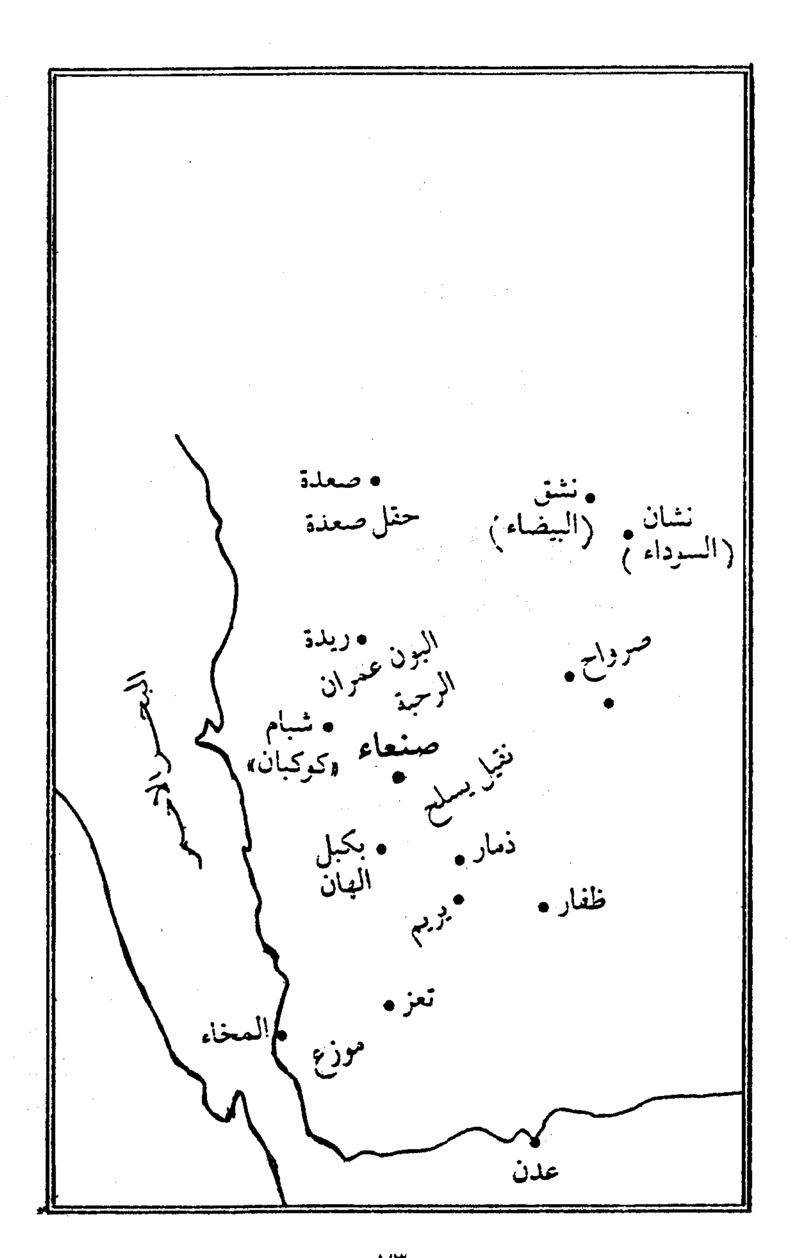
٣- صنعاء عاصمة اليمن

وتسكت النقوش المعروفة بعد ذلك عن غمدان ولكنا نعرف أنه بقي شامخاً يتردد عليه الملوك كما يقول الهمداني ويزيدون فيه حتى هدم أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو أكمل ما يكون .

وإذا كان مركز الثقل قد انتقل بانفراد التبابعة بني ذي ريدان بالملك ، إلى ظفار وإلى قصرهم ريدان فيها ، وإذا كان بعض أتباعهم قد اكتفى بالإشارة إليهم في النقوش بأنهم أصحاب القصر ريدان (أبعل بيتين ريدان) كما كان يفعل أتباعهم من قبل منذ كانوا أذواء ، فإن انهيار دولة التبابعة في مطلع القرن السادس ، وظهور ذي نواس يوسف أسأر يثأر ، الذي يسميه أنصاره ملك كل الشعوب ، قد تسببا في أن يصبح غمدان ، دون غيره من القصور ، هو القصر الأوحد ،

وصنعاء ـ دون غيرها من المدن ـ هي العاصمة المركزية الواحدة . فهل دار شيء من ذلك بخلد هلك أمر حين اختطها ووطَّن فيها جماعات من قبيلته مستلهماً تلك الاستراتيجية التي وضعها أسلافه ، ربما قبل كرب إل وتر الملك ـ المكرب ؟

لقد دار الزمان دورات عديدة يحوم حول الرحبة وصنعاء قبل أن تحتل صنعاء مكانها الطبيعي عاصمة مركزية لليمن .


صعدة
حقل صعدة
نشق
(البيضاء)
نشان
(السوداء)
ريدة
البون عمران
الرحبة
صرواح
شبام
«كوكبان»
صنعاء
نقيل يسلح
البحر الأحمر
بكيل
ذمار
يريم
ظفار
تعز
المخاء
موزع
عدن

٣

الأقيال والأذواء

ونظام الحكم في اليمن القديم(☆)

القيل والذو :

لكل سلالة من الأقيـال أو الأذواء في النقوش اسم يتقـدمـه لفـظ (بن) أو (ذو) للمفرد ، و (بنو) أو (ألهت) بمعنى أذواء للجمع .

ولم تتضح بعد تماماً العلاقـة الزمنيـة بين ظهور كل من اللقبين . ولكنه ثـابت أنهما تعـايشـا منـذ عصر مـا قبل الميلاد ، وأنهما يمثلان من ناحية المكانة الاجتماعية لحامل أي منهما وضعاً مشابهاً للآخر على وجـه الإجمال . فلكل من القيل والذو أراض وأتباع عليها يحكمهم .

على أنه يبدو فيما يتعلق بـالأقيـال أنهم أو بعضهم كانوا في بـدايـة ظهورهم أمراء حلّوا مكان بعض ملوك القبـائـل الصغـار الـذين كانت اليمن تعج بهم في العصر العتيق (R.3945) .

(☆) ألقي هذا البحث في ندوة أقسام الآثار بـالجـامعـات العربيـة المنعقـدة بجـامعـة صنعاء ـ إبريل ١٩٨٦ ، ونشر في اليمن الجـديـد ، ثم في دراسـات يمنيـة العـدد ٢٧ صنعاء ، يناير ـ مارس ١٩٨٧ ، ص ١٤١ ـ ١٥٤

ولقد كانت هناك إلى جانب الأقيال والأذواء فئات أخرى ، خاصة في سبأ ، هم غالباً رؤساء تلك القبيلة أو الاتحاد القبلي الذين يتميزون بلقب (كبير) مضافاً إلى اسم العشيرة مثل (كبير خليل) و (كبير أقيان) . وشبيه بهم أيضاً أولئك الزعماء الذين كان يكتفى في تمييز مكانة الواحد منهم بلفظة (بن) مضافة إلى اسم العشيرة مثل (بن جدن) و (بن حزفر) . ولعله من بين أمثال أولئك الزعماء جميعاً من كان ينطبق عليه وصف (الأسبوء) الذي قد لا يعني أكثر من جمع (سبئي) ، مصاغاً على وزن الأفعول المعروف . والذي يكتب في النقوش (أس ب ء ن) . وكان الأسبوء ، في مرحلة من المراحل على الأقل ، يتقدمون في المكانة على الأقيال في مملكة سبأ (جام ٦٢٩ مثلاً) .

على أن (بن) لم يكن دخولها مقتصراً على أسماء زعماء عشائر سبأ فهي تتقدم أسماء بعض السلالات القبلية الأخرى فيقال ، على سبيل المثال ، (بن همدان) لأقيال حاشد مع ذكر لقب (قول) أي قيل وجمعه أقوال بعد ذلك أو بدونه .

ألقاب إمارة :

المهم في أمر كل هذه الأسماء أو الألقاب : (بن ، وذو ، وكبير ، وقيل) ، أنها جميعاً تستخدم لتمييز أمراء محليين يتفاوتون من ناحية

الاهمية أو القوة الاقتصادية ـ السياسية ، بمقدار ما يملكون من أرض وعدد من يتبعهم من حملة السلاح هم الذين إذا وجدوا ينسبون إلى الأقيال ومن في مستواهم فيقال : (شعبهم) .. كما في (شعبهم حاشد) مثلاً بالنسبة إلى بني همدان .

وهناك ما يوحي بأنه في حالة (الذو) يتفق أحياناً لقب السلالة الحاكمة واسم الشعب الذي يتبعها . (فذو ريدان) مثلاً هو لقب الإمارة الأصلي في بني ذي ريدان الذين أصبحوا ملوكاً في آخر المطاف . وهو أيضاً كما يظهر من وروده في اللقب الملكي (ملك سبأ وذي ريدان) اسم الشعب الذي يتبع بني ذي ريدان إذ يأتي بمعنى أهل ريدان ، والريدانيين كما في عبارة (ذي يمن) التي ترد بمعنى أهل اليمن أو اليمانيين .

القيالة :

وكل هذه التسميات تمثل أوضاعاً هي من نتاج الأحوال الطبيعية للبلاد وتضاريسها التي لم تكن لتسمح في ظروف العصر بقيام حكم مركزي مباشر حتى مع وجود قوة ذات وزن كبير كقوة سبأ مثلاً خلال قرون عديدة . فقد أدت تلك الأحوال الطبيعية إلى قيام تجمعات متفرقة تسمى في النقوش (شعوب) يحكم معظمها إن لم يكن كل واحد منها في المراحل المبكرة حاكم محلي بلقب ملك ، ثم مع تضخم

وزيادة قوة بعض تلك الممالك القبلية كما حدث لسبأ ، تمكنت تلك المملكة من إخضاع الشعوب أو القبائل الصغيرة وملوكها . فنشأت الحاجة إلى التمييز بين لقب الملك الأعلى أو (ملك الأملاك) ـ ولا ملك للأملاك إلا الله ـ وألقاب الملوك التابعين . وتمَّ ذلك من خلال تطور أدى إلى قيام أو انتشار نظام القيالة فاختفى مع الوقت لقب الملك في الشعوب التابعة ليحل محله لقب (قيل) .

ولكن بعض المناطق لم يحدث فيها التحول إلى لقب القيل بهذه الطريقة وإنما اتخذ مساراً مختلفاً ، ومرَّ أحياناً بمرحلة واحدة وسطى على الأقل كان فيها الحاكم المحلي يلقب بـ (كبير) ـ اللقب المتقدم ذكره . فهذا ما نلمسه من تاريخ سبأ حين أوكل إلى بعض (كبار) العشائر أمر الاستيلاء على مناطق معينة على رأس مستوطنين من العشائر السبئية وأتباعها . وهذا هو ـ في نظرنا ـ التفسير المحتمل للقب (كبير أقيان) الذي حمله طويلاً أقيال بكيل شبام (كوكبان) ، ثم تخلوا عنه في المراحل المتأخرة وأصبحوا يعرفون بـ (بن أقيان) تتبعها صفة القيالة التي اكتسبوها قبل ذلك (الإرياني ١٣ مثلاً) .

وبهذه الطريقة التقى الأقيال الذين اختلفت ظروف وصولهم إلى مرتبة أو لقب القيالة .

لقد ساعدتنا الكثرة النسبية للنقوش السبئية المعروفة على تتبع

تطور نظام القيالـة في النصف الشمالي من نجـد اليمن حيث كانت تقوم مملكـة (سمعى)[1] التي عرف جزآن منهـا على الأقل لقب القيل منـذ فترة مبكرة (C.37) . والتي قد تكون هي مهد نظام القيالة .

الأذوائية :

أما منشأ الأذوائية فما زال يكتنفه بعض الغموض . وكل ما يمكن قوله هـو أن لقب (ذو) لم يعرف في النصف الشمالي المـذكـور إلا في مرحلة متأخرة نسبياً ، وهو أمر قد تكون له دلالته .

ومـع ذلـك فيبـدو أن لقب (ذو) قـديم حملـه زعمـاء أو أمراء الجماعات الصغيرة في المناطق التي لا تتسم بالاتساع من قيعـان وأوديـة صغيرة تتخلل الجبال الشاهقة . وإن كان ذلك لم يحل دون توسع نفوذ بعض الأذواء حين تيسرت لهم الأسباب المعينة على ذلك .

وأقرب المنـاطـق التي عرفت لقب (ذو) إلى أراضي (سمعى) مهد القيالة هي منطقـة (غيمان) التي لا تبعـد كثيراً عن الرحبـة ، كما

---

(١) انظر بشـأن (سمعى) مقـالنـا « بنـو جرة وبنـو ذرانـح .. » ، في « العربيـة السعيـدة » صنعـاء ١٩٨٧ ، ص ٤٨ ، هـامش ٩ ، ويميل بعض علمـاء النقوش من الغربيين إلى كتابـة الاسم على صورة سمعـاي ، ونميل نحن إلى أنهـا سمعـا أو سمعي ممالة إذ تذكرنا بـاسم « اسعين » (ينبق ٤٧) وهي الأسعى والأسعـاء في المصـادر العربية الإسلامية .

يستدل من لقب أمرائها حين اتخذوا لقب القيل فهم يعرفون في أكثر النقوش بـ (بني ذي غيمان) تماماً كبني ذي ريدان الأذواء الذين يبدو أنهم لم يمروا في تاريخهم بمرحلة حمل لقب القيل .

وعلى العموم فإن معظم ألقاب الأذوائية ، إن لم يكن كلها ، ترتبط باسم موضع يكبر أو يصغر ينسب إليه الأذواء وأتباعهم . فذو ريدان مثلاً هو في الأصل لقب صاحب القصر (أو البيت كما في النقوش) ريدان في ظفار الحاضرة الحميرية . وقصور الأذواء هي كقصور الأقيال ، بل والملوك ، رمز السلطة ومركزها .

هذا ويلاحظ أن أغلب الزعماء في الأودية التي كانت في المنخفضات حول رملة السبعتين هم كلهم أذواء كما في (ذي يلغب)[٢] ، و (ذي أبي فهد) ، و (ذي ابيدع وعمرو أو عامر) إلخ . (المعسال) . وإن كان من المحتمل أنهم كانوا يعرفون

---

(٢) (ذو يلغب) لقب أذواء مستقلين بذاتهم اتخذه اليزنيون كلقب إضافي حين ضمت إليهم أذوائيتهم المسماة أيضاً (ذو يلغب) كما في (نقش عبدان الكبير) . وكان القصر (يحضر) في مدينة (حلزوم) قصرهم ، ولعل تبعية المشرق لليزنيين جاءت نتيجة لذلك (قارن بشرقيتن في (R.3856) وجام ٦٢٩) . وتجدر بنا الإشارة إلى أن (ذا) كبران في لقب اليزنيين إنما يقترن (بضفتين) المكان والسكان (R.3945) . ويلاحظ أن القصر (ذا يزأن) في عبدان يقابله في القديم المحفد (ذو يزأن) أحد محافد ضيفتن (R.3687) .

في نقوشهم بـ (بن) منسوبة إلى أسرهم كما في (بن قسم) (R.3856) .

أقيال حضرموت :

كنا قد قلنا في بحث لنا أن حضرموت عرفت نظام القيالة وهو صحيح من حيث أن نظام القيالة هو الاسم الذي يمكن أن يصف نظام الحكم المحلي في الممالك اليمنية القديمة التي كانت تقوم على أساس اتحادي أو شبه اتحادي يتمتع فيه الأمراء المحليون ـ اختلفت ألقابهم ـ باستقلال ذاتي .

ولكنا نود أن نقول هنا أن لقب (قيل) في حضرموت لم يعرف صراحة . والنقش الوحيد الذي عثر عليه هناك ولم ينشر بعد[٣] يبدو لنا الآن أنه ليزنيين من المراحل الأخيرة .

والأرجح هو أن ما عرفته حضرموت كان لقب (ذو) كما في (ذي عينات) (جام ٩٨٤ من العقلة) وربما لقب (كبير) أيضاً ،

---

(٣) جيء إلينا بهذا النقش في متحف المكلا عام ١٩٦٥ م فيما أذكر وقيل لنا إنه من أنحاء غيل بن يمين بحضرموت . هو جزء من مسند أكبر مزبور بأحرف بارزة على الطريقة المتبعة في نقوش العهود المتأخرة . وتذكرنا أسماء الأقيال فيه باليزنيين . ولم تنجح صورة أخذناها له على عجل بغرض نشر النص فعدلنا عن ذلك في انتظار صورة أفضل ونحن بصدد نشره في ريدان ٦

خاصة في عبارة (كبير حضرموت) القبيلة وليس الدولة ، التي وردت في نقوش حضرمية من الفترة العتيقة وذكرت في نقش لأبرهة في سياق سرده للأقيال الذين كانوا في ركابه (C.541) .

أما ما جاء في (الإرياني ١٣) من ذكر لأقيال شبوة فلا نظنه يعني أن شبوة حاضرة حضرموت كان يقتسمها أقيال أو حتى تحكمها أسرة واحدة من الأقيال ، فهي مركز السلطة الملكية وفيها قصر الملوك (شقير) كما يذكر النقش نفسه . ولهذا فالتفسير المحتمل لعبارة (أقيال شبوة) في النقش المذكور هو أنهم أمراء من مستوى الأقيال عند السبئيين . فالنقوش السبئية سبق أن استخدمت صفة أقيال للأمراء الأحباش وليس في نظام الحكم الحبشي لقب (قيل) ، ولكن هناك ما يشبهه كما في (رأس) حتى عهد (هيلا سلاسي) الذي كان قبل توليه العرش ، عنوة أو خدعة ، يعرف بلقب (رأس تفرى) . ولعل هذا من أوجه التشابه الثقافي القديم بين البلدين[٤] .

والخلاصة هي أن مسألة الألقاب اليمنية التي تبلورت في (قيل) و (ذو) المتداخلين إنما تعكس صورة النظام الذي يمكن أن نسميه

---

(٤) لدينا من النقوش السبئية لفظة (مرأس) التي استخدمت لوصف رؤساء بعض العشائر عند القبيلة وذلك بعد لفظة (كبار) ومعطوفة عليها مما قد يدل على أن (مرأس) تأتي في ترتيب المكانة بعد (كبار) .

بنظام القيالة ، كما نفعل منذ حين في أبحاثنا ، وهو نظام يجوز وصفه بأنه (شبه إقطاعي) لتقريبه إلى الأذهان ولو أنه متقدم تاريخياً على نشوء ما عرف في مواضع أخرى بالإقطاع .

تغلب الأذوائية :

بمجيء حكم التبابعة من مطلع القرن الرابع أخذت صفة أو لقب (الذو) تتغلب على صفة (بن) المقابلة لها من بعض الوجوه ، خاصة في المناطق الشمالية كما تقدم . وتظهر بوادر ذلك التحول في نقش سبئي حميري يوصف فيه شخص معين ، وهو كبير أعراب الجيش البدوي ، تارة بـ (بن جدن) وأخرى بـ (ذي جدن) (جام ٦٦٥) . ولعل ذلك مبدأ اعتبار الجدنيين من الأذواء بل وجعلهم من المثامنة(٥) . ولا بد أن ذلك من آثار الحكم الحميري بعد توصل بني ذي ريدان إلى الجمع بين حكم سبأ وحمير معاً (الإرياني ١٤) .

---

(٥) عالجنا موضوع (المثامنة) في ورقة قرئت في ندوة الذكرى الألفية للهمداني في جامعة صنعاء في أكتوبر ١٩٨١ م ، انظر (في العربية السعيدة) صنعاء ١٩٨٧ م . على أننا نود أن نضيف أن المثامنة - في الأصل - ربما كانوا هم الأسبوء الذين جاء ذكرهم في ثنايا المقال ، وأن تفرق الملك أي الحكم بعد ذي يزن لم يقتصر عليهم ، وأن ذلك يفسر الاختلاف في أسماء المثامنة كما عند ابن رسول مثلاً في طرفة الأصحاب .. (انظر الهامش ١٢ هنا) .

ولكن حلول (ذو) محل (بن)[٦] لم يؤد إلى محو لقب (قيـل) الذي احتفظ ببريقه ، بل وازداد مع الزمن لمعـانـاً . فصفـة القيل هي التي ظلت تسبـق في النقـوش اسم الشعب أو الشعـوب التـابعـة للذو ـ القيل . فيقال في النقوش الحميرية « فلان ذو كـذا قيل الشعب كذا » بدلاً من « فلان بن كذا قيل الشعب كذا » في النقوش السبئيـة الأقدم ، أو حتى فلان بن كذا وذو كـذا قيل الشعب كـذا أو الشعبين (كما في حالة بني معاهر مثلاً) .

وتتجلى العلاقة المتداخلة المتطابقـة أو ربمـا المكررة بين (الـذو) و (القيل) في وصف الأمراء المحليين في نقش أبرهـة (م ٥٤١) حيث يتحدث الملك عن مؤيديه أو مرافقيه من الأقيال (هكذا) فيـذكرهم جميعـاً وبلا استثنـاء إلا في حـال (كبير حضرموت) متبـوعين بصفـة أو لقب (ذو) مثل : عادل ذو فـائش ، وعلس ذو يزأن ، بل وابنـه (ابن أبرهة) يكسوم (أكسوم في النقش) ذو معاهر إلخ .

---

(٦) هنـاك نقش يزني (ريكمـانز ٥٠٨) من منطقـة كوكب شمالي نجران جـاءت فيـه عبارة (بنو يزن وجـدن إلخ ..) وهـذا قـد يـدل على أن (بنو) في النقش هي من تأثير الجدنيين كعادة أسلافهم في سبأ . فالعادات لاتزول بسهولـة ولعل لفـظ (بن) قد ظل باقياً في الاستعمال اليومي خارج النقوش الرسميـة التي من عـادتها الالتزام بما يمكن تسميته باللغة الرسمية أو لغة الدولة .

تضخم الأذوائيات :

هنـاك اتجـاه قـديم يجعل من الممكن أن يجمع القيل بين أكثر من مقـولـة أو أذوائيـة[7] وجـد في فترة (ملـوك سبـأ وذي ريـدان) المضطربـة . وكان من أسبـاب ذلـك تقلب المقولات بين الجـانبين من جهة ، والحاجة إلى وضع المقـاتلين من الشعوب تحت قيـادة عسكريـة محنكة . ولا غرابة فالأقيال (كالملوك) إنما هم أرستقراطية محاربـة إلى جانب أنهم ملاك أراضٍ وحمـاة أراضٍ تملكهـا الشريحـة أو الشرائح التي تليهم في الترتيب الاجتماعي ، وخـاصـة أولئـك الـذين يطلـق عليهم وصف (شعبهم) كحاشد بالنسبة إلى بني همدان ، والـذين هم بـدورهم من حملـة السـلاح [قـارن بحـالـة (القبيلي) حتى وقت قريب في اليمن] .

وقد أدى تضخم الأذوائيات الـذي شجعـه الملوك في البـدايـة إلى خلق كتـل قبليـة ـ أذوائيـة كبيرة . فهـذه ، وإن اختلفت العـوامـل بعض الشيء ، حالة بني ذي ريدان حين كانوا أذواء عنـدمـا أصبح لهم شعوب عديدة تتبعهم تعرف في النقوش بـ (شعوب ذي ريدان) وهم الشعوب التي قام عليها ما يمكن اعتباره الاتحاد الحميري الذي أوصل بني

(٧) نستخدم (مقولة) بمعنى مقاطعة قيليـة أي تـابعـة لأقيـال كا في المصـادر العربيـة الإسلامية وإن لم ترد صراحة بهذه الصورة في النقوش المعروفة . ونضع في مقابلهـا أذوائية للمقاطعة التي يحكمها أمير بلقب (ذو) .

ذي ريدان إلى مرتبة الملك فالتباعة[٨] . وهي حالة ظهور ما يسمى (شعوب ذي همدان) الذي هو أساس الاتحاد الهمداني القائم إلى اليوم من حاشد وبكيل .

وشيء من هذا القبيل حدث لليزنيين ابتداء من القرن الرابع وحتى منتصف القرن الخامس (R.5085) أو إلى ما وراء ذلك قليلاً .

اليزنيون الجدنيون - بنو لحيعة يرخم ونزعة التفكك :

أما ما كان من أمر اتساع نفوذهم بعد أن أضيفت إليهم صفة (ذي جدن) في المراحل الأخيرة من حكم التبابعة كما يظهر من (R.4069) المؤرخ بعام ٦٩٠ حميري = ٤٨٠ م ، كما ثبت حديثاً من صورة أخذها للنقش السيد (ريمي ادوان) وخاصةمن مطلع القرن السادس (ينبق ٤٧) فهو أكثر من مجرد تطبيق للاتجاه القديم نحو تكوين الكتل الكبيرة الخاضعة للأذواء .

وفي هذا الصدد ينبغي ملاحظة أنه يصعب القول بأن اقتران (ذي جدن) بذي يزن مجرد دلالة على اتساع لنفوذ بني ملشان (نقش عبدان الكبير) (R.5085) ، فتقدم اسم يزن على جدن

---

(٨) نقصد (بالتباعة) ، كما في بعض المصادر العربية الإسلامية مرتبة الملوك الذين يطلق عليهم تبابعة في تلك المصادر ، هذا ومع أنه اكتشف وجود الجذر (تبع) في النقوش إلا أن (تبع) لقباً للملوك لم يرد في نقش معروف .

لا يعني صورة ضم اليزنيين من نسل ملشان لأذوائية جدن (قارن تقدم بتع على همدان تحت علهان نهفان الهمداني) . وفي كل الأحوال فإن اليزنيين الجدنيين إلخ .. هم في هذه المرحلة أبناء رجل اسمه لحيعة يرخم يحتمل أن يكون جدنياً (ريكمانز 513 ، 514)(٩) .

على أن المهم هو أن النقش (ينبق ٤٧) الذي يبدو فيه الأذواء اليزنيون الجدنيون عام ٥١٠ ـ بعد ما يزيد على ربع قرن على ظهور ذي جدن إلى جوار ذي يزن ـ سادة للنصف الشرقي من مملكة التبابعة بأكمله إنما يمثل بداية وإرهاصاً أو تحضيراً للثورة التي تلت ذلك بقيادة يوسف أسار يثأر (جام ١٠٢٨) ، ربما في عام ٥١٧ م .

ومثل ذلك ما حدث قبل عام ٥٢٥ م من اتساع أكثر لنفوذ سميفع أشوع ذي الكلاع(١٠) ، ويزن وجدن إلخ (C.621) ، فقد كان مقدمة لتحول آخر واستعداداً لنقلة جديدة تبلورت في وصول سميفع أشوع إلى العرش بدعم حبشي .

---

(٩) مع ذلك لا ينبغي أن تفوتنا ملاحظة أن اسم السلالة القبلية يتبادله من يتولون قيالة المقولة بغض النظر عن الأسرة التي ينتمون إليها في الأصل . ونحن لا نعرف شيئاً عن ملشان وأسرته قبل أن يظهروا في عبدان التي بنوا فيها أو جددوا بناء (بيت ذي يزن) (نقش عبدان الكبير) .

(١٠) يفترض أن سميفع أشوع هذا أحد الأقيال الذين ذكروا في النقوش اليزنية الجدنية . ولكنه قدم صفة (ذي الكلاع) التي اتخذها أو حصل عليها بآخره على

ولم يكن في التجمع من أجل انتزاع السلطة ما هو جديد أو مستغرب ، بل إن الاستعانة بأطراف خارجية في مواجهة طرف يمني داخلي لم يكن بالأول من نوعه ولا بالأخير(١١) .

إن الجديد هو أن ما جرى في القرن السادس في اليمن جاء في إطار أزمة أكبر من أن يحلها ذلك الأسلوب القديم . هذا إلى أن دولة التبابعة بلغت من الاتساع حداً تجاوز إمكانات نظام القيالة أسلوباً للحكم . فكان أن انهارت السلطة المركزية واقتسم النفوذ في اليمن أذواء غير أذواء مثامنة أو غير مثامنة(١٢) .

المخاليف :

هذا وإذا صح ما تقوله المصادر العربية الإسلامية عن تقسيم اليمن إلى مخاليف فإن ذلك يكون دليلاً على أنه في وقت ما ، ربما بعد التبابعة ، أدخلت هذه التسمية بين أسماء التقسيمات الإقليمية في اليمن ،

= الألقاب التقليدية للأسرة . لعل ذكر تلك الحقيقة هي التي جعلت بعض الإخباريين يقولون بأن الكلاع تكلعت على سميفع بن ناكور إلخ ..

(١١) هذا ما حدث أيام علهان نهفان حين استعان بالأحباش ضد حمير وهو ما حدث في محاولة اليزنيين استعادة الملك بعد انقلاب أبرهة على سميفع بمعاونة الفرس .

(١٢) ينبغي ألا نأخذ ما يقال عن اقتسام المثامنة للملك بعد ذي نواس أو بعد سيف بن ذي يزن [انظر مقالنا (المثامنة) المشار إليه في الهامش ٥ أعلاه] على علاته إذ إننا نعلم من تاريخ صدر الإسلام أن ألقاب حكام الأقاليم اليمنية متعددة .

ولكنـه لا يـوجـد مصـدر معروف واحـد يعـالـج نشـأة التسميـة وإنمـا تأخذها المصادر جميعاً قضية مسلّماً بها .

وكل مالدينا في النقوش مما قد يكون له صلة بالجذر الـذي اشتق منـه اسم (مخـلاف) هـو لفظتـا خليفــة واستخلف في نقـوش أبرهــة بالذات ، وذلك حين تحدث عن استخلافه ليزيـد بن كبشـة الكنـدي على الأعراب في منطقة العبر بحضرموت (C.541) واستخلافه للمنذر الثالث اللخمي على معد (ريكمانز 506) . والعقبة الوحيدة هنا هي أن أحداً لم يصف العبر بأنها مخلاف ، كما يصعب اعتبار المناطق المعدية التي دانت لأبرهـة من المخـاليف ، لأن استخـدام اصطـلاح مخـلاف في التاريخ الإسلامي يقتصر على اليمن .

على أنه ينبغي القول بأن لا غبـار على اعتبـار نظـام الاستخلاف أسـاسـاً لقيـام المخـاليف ، وأن الخليفـة هو في الأصل نـائب للملـك في مخلافه ومن ثم فهو امتداد من نوع ما لنظام القيالة بمعناه الواسع .

المقتوون :

لاحظنا عند الكلام عن (القيالة) أن الأقيـال وكـذلـك الأذواء يتبعهم شعوب . وكنا قد بيَّنا في دراسات متتالية سابقة دور القيل في قيادة شعبه ، وما قـد يلحق بـه من شعوب في المعـارك حيث تتكون من كل شعب قوة شعبية أو (ميليشيا) كما قد يفضل البعض ، تخوض

المعارك تحت إمرتـه ، وقـارنـا بين دوره العسكري كقـائـد محلي ودور الملك كقـائـد أعلى . فنظـام القيـالـة يقتضي أن يكون الحكام ، ملوكاً وأقيـالاً وأذواء ، متمرسين في أسـاليب القتـال[١٣] ، صـالحين لقيـادة المقاتلين .

ونعتقـد أنـه انطلاقـاً من ذلـك الواقع ظهر أو تبلور مـع الـوقت مـا يمكن تسميتـه بنظـام (الاقتـواء) الـذي يكـون للملـك بمـوجبـه مساعدون يسمون مقتوين[١٤] ، هم عـادة من خيرة القـادة العسكريين يتولون قيادة قوات مختلفة من شعوب متفرقة يخالطهـا أحيـانـاً بعض الأعراب . بل وينوب المقتوي في بعض الأحيـان عن الملـك في قيـادة الخميس (جيش الملـك والمملكـة الرسمي) أو مفرزات منـه . ولـو أنـه ليس هناك ما يدل دلالة قاطعة على أن مقتويي الملوك كانوا جميعاً من الأقيـال وإن كانـوا أغلب الظن من المرتبـة نفسهـا (قـارن جـام 634 و 635) .

(١٣) انظر مقالنا (هوامش على نقش عبدان الكبير) في ريدان العدد الرابع ١٩٨١ م ، ومقالنا (عودة إلى نقش عبدان الكبير) في العدد الخامس ١٩٨٨

(١٤) ربما كان لفظ مقتوي في أصله لا يتجاوز في معناه المعـاون وقـد عرف في المعـاجم العربية أخـذاً عن اليمن في الغـالب وقلل من شـأنـه في الأعين استخـدام عمرو بن كلثوم له في شطر بيته الشعري الغاضب الساخر الذي يقول فيه مخاطبـاً عمرو بن هند :

(متى كنا لأمك مقتويناً ؟!)

هذا وقد كان لكبار الأقيال بدورهم مقتوون مما قد يؤكد معنى (المعاون) .

شعب وعشائر :

ولما أنه تكررت الإشارة هنا إلى اسم (شعب) فإنه يحسن بنا أن نوضح التباساً وقع فيه بعض الدارسين حين قابلوا بين اسمي (شعب) و (عشيرة) في النقوش ، مستعينين بما جاء في بعض المصادر العربية الإسلامية عن (قبائل العرب وشعوب العجم) . وتوصلوا إلى أن (شعب) تقتصر على القارين من السكان خاصة في اليمن وأن (عشيرة) و (عشائر) تقتصر على البدو خاصة من أهل وسط وشمال الجزيرة بالذات (شامة في النقوش) .

ولكن (شعب) كما ظهر لنا من دراسات سابقة لم تكن تعني أكثر من تجمع بشري قد يكون قبيلة ، بمختلف مفاهيم ذلك اللفظ عند العرب وغيرهم ، وقد يكونوا سكان مدينة أو فئة من الفئات في المجتمع كأصحاب الحرفة الواحدة . ولاحظنا أن بين من وصفوا بأنهم عشائر كما في شأن أهل السفال (أو سفلن في النقوش) وهم عندنا من يوصفون في بعض المصادر الإسلامية بـ (أهل جناب الهضب وحقف الرمال) بين مارب ونجران ، وفي أمر خولان الجديدة (في صعدة ومنحدرات السراة المجاورة) ، فإن جماع تلك العشائر يوصف بأنه (شعب) ، فهناك شعب وعشائر خولان الجديدة ، كما أن هناك شعب وعشائر السفال . يضاف إلى ذلك أن كل سكان الممالك العربية

الشمالية (في شامة) بدءاً بالأزد ومروراً بنزار وانتهاء بغسان عرفوا في النقوش بأنهم شعوب .

ولهذا فإنه قد يكون من الأفضل الإبقاء على لفظة (شعب) عند الكلام عن أتباع القيل والذو ملاحظين أن شعب تأتي أحياناً في سياق يفهم منه أنها تدل على اتحاد أو جماعة أو شعوب كما في عبارة (الشعب سمعي) مع وجود (الشعب حاشد) إذ إن حاشد هي أحد أثلاث (سمعي) .

هذا وإن النقوش كثيراً ما تصف شعبين تابعين لقيل واحد ، مثل ردمان وخولان (الجنوبية) بالنسبة لبني (معاهر) بعبارة (شعبيهم) تارة و (شعبهم) تارة أخرى .

محرج :

وهناك لقب آخر من ألقاب الإمارة أو الرئاسة ، هو لقب (محرج) وجمعه غالباً (محارج) الذي جاء في بعض النقوش وأهمها تلك التي تجعل منه ـ على ما يبدو ـ لقباً إضافياً لليزنيين الجدنيين ليصف علاقتهم بسيبان التي تعود بجذورها إلى منتصف الألف الأول قبل الميلاد على الأقل (R.3945) والتي ما زالت إلى اليوم اتحاداً قبلياً كبيراً أو (زِيّاً) في الاصطلاح القبلي الحضرمي .

والعلاقة بين سيبان وبين اليزنيين : أهل عبدان حيث كان يقوم

(بيت ذي يـزن) ، (نقش عبـدان الكبير) مركـز سلطـة أولئـك الأذواء الصغار ، فالأقيـال ـ الأذواء الكبـار ـ قـد تكون قـديمة قـدم الوجود السيباني ، ولكن وضوح تلك العلاقـة واتخـاذهـا شكلاً رسميـاً يعود إلى الربع الأخير من القرن الخـامس في ظروف يبـدو أنهـا كانت عاصفة وممهدة لأحداث القرن السادس .

والمهم في هـذا الأمر هـو لقب (محرج) ودلالتـه . إذ يبـدو أنـه يصور عـلاقـة مختلفـة لليزنيين بتلـك القبيلـة أو الشعب عن عـلاقتهم بغيرهم من الشعوب الذين تقول عنهم نقوشهم صراحة بأنهم أقيال لهـا . فهم لم يكونوا أقيـالاً لسيبـان . وإنمـا كانـوا في الغـالب بمثـابـة شيـوخ للقبيلـة وكبـاراً لعشـائرهـا وذلـك لأن اللقب الكامل هـو عبـارة عن (محرج وكبور) .

وفي أحد نقوش القرن الثالث (المعسال ٣) يبدو صاحب النقش الـذي تـولى قيـادة ردمـان بعـد أن آلت إلى حمير ، قيـلاً لهـا ولأختهـا خـولان (الجنـوبيـة) إلى جـانب كـونـه (ذا الكـلاع) و (محرج الشعب) ذبحـان . نقـول ذلـك مـع العلم بـأن اسم (ذي الكـلاع) في النقـوش وهـو حظين بن يعـزز ، يثير إشكالاً لا مجـال هنـا للخـوض فيه .

العاقب :

وأخيراً لدينا من الألقاب المتصلة بنظام الإدارة المحلية في القديم لقب (عاقب) كما في (عاقب قنا) الميناء الحضرمي العريق (C.738) ، وكما في أحوال أخرى تعود إلى عهود مختلفة متباعدة ، وجميعهم على ما يظهر كانوا يتمركزون في مدينة يديرون شؤونها وشؤون المناطق المتصلة بها .

ولقد اشتهر اسم (العاقب) إلى جانب (السيد) في المصادر العربية الإسلامية عند الحديث عن نجران في صدر الإسلام . ولعل العاقب وقتها كان عميد أسرة في المدينة توارثت اللقب أباً عن جد ، وإن كانت لم تعد تابعة لسلطة مركزية خارج المدينة كما كان حال العاقب قبل الإسلام .

ومع ذلك فإن أقدم عاقب معروف في أنحاء نجران وصعدة إنما يعود إلى أيام (إلي شرح يحضب) في القرن الثالث بعد أن طرد من نجران ممثل النجاشي وقضى على تمردها وتمرد خولان صعدة وتعاونها مع الأحباش .

ولقد كان العاقب في العصور القديمة بمثابة موظف يختار غالباً من إحدى الأسر ذات النفوذ ليقوم بإدارة منطقة ما ، خاصة في الظروف الحرجة ، دون أن يكون منصبه ذلك متوارثاً بالضرورة .

وفي ظل التبابعة أيام شمر يهرعش كان هناك في بعض المراحل على الأقل عاقب يقيم بالقصر سلحين بمارب له أخ مقتو للملك نفسه (الإرياني الملحق ب٢) .

على أن أقدم عاقب معروف في النقوش حتى اليوم هو ذلك الذي كلف في وقت ما من الفترة العتيقة قبل الميلاد بالعمل في موضع من الجوف اسمه في النقش (كبتن) ، ولعله يمكن تعريبه بـ (الكابة) باستبدال أداة التعريف اليمنية القديمة بألف لام التعريف العربية . وكان ذلك العاقب يتولى من هناك خلال مدة طويلة تجنيد المقاتلين وإرسالهم إلى مارب للاشتراك في حرب طويلة كانت دائرة بين سبأ وقتبان . وقد عاد العاقب إلى مارب ـ كما يقول النقش ـ حين حلّ السلام بين الطرفين (جام 550) .

هذه إذن بعض جوانب نظام الحكم في اليمن القديم الذي يتولى فيه الملك المهام الرئيسية الكبرى التي تتعلق بتماسك المملكة وحماية مصالحها السياسية والاقتصادية الخارجية[١٥] ، ويتولى الأقيال والأذواء ومن هو في حكمهم إدارة الشؤون المحلية في مناطقهم ضمن صيغة شبه اتحادية شبه إقطاعية .

---

(١٥) من المهام المقتصرة على الملك في هذا المجال تبادل السفارات مع الملوك الآخرين ، وعقد التحالفات العسكرية ، بل وربما الاتفاقات الاقتصادية بما فيها اتفاقيات الخفارة لضمان أمن القوافل التجارية اليمنية عند مرورها في أراضي الممالك الأخرى وقبائلها (جام ٥٧٦) .

٤

عودة إلى نقوش العقلة(☆)

العقلة جبل في السهل الصحراوي الممتد أمام شبوة من ناحية الغرب ، يبعد عنها مسافة ١٥ كم تقريباً ، وتنتصب أسفله مجموعتان من الجنادل (الصخور) . منها صخرة بارزة في الطرف الغربي كانت تعرف قديماً باسم مروح (مرواح ؟!) ، حفر على جانبها المواجه للجبل نقش ملكي(١) ، ومجموعة صخورة متجاورة ، في الطرف الشرقي كانت تعرف قديماً باسم (أنود) مغطاة من جميع الجهات بالنقوش بوفرة ظاهرة حتى أنه لا يوجد بينها فراغ يصلح لإضافة نص جديد .

ولنقوش العقلة ، نسبة إلى الجبل كما يسمى اليوم ، أهمية خاصة في تاريخ حضرموت القديم في مراحله الأخيرة قبل أن تصبح جزءاً من دولة التبابعة .

(☆) نشر هذا البحث في دراسات يمنية ، عدد ٢٢ أكتوبر ـ ديسمبر ١٩٨٥ ، ص ١٠٥ ـ ١٢٢

وانظر كتابنا : (آثار ونقوش العقلة) دراسة ميدانية لأحد المواقع الأثرية بالقرب من شبوة في منطقة حضرموت ، القاهرة (١٩٦٧ م) .

(١) بافقيه : آثار ونقوش العقلة ، القاهرة (١٩٦٧) ، ص ١٩ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٩ ، ٤٠ ، الملحق ٢ ، شكل ٦ ، ٧

وكلها نقوش تكاد تنحصر زمنياً في القرن الثالث الميلادي الذي تشعب فيه الصراع بين كل القوى الموجودة آنذاك على الساحة اليمنية .

ومن ثم فهي نصوص تشكل ، فيما بينها ، جزءاً هاماً من وثائق القرن المذكور وتتكامل مع النصوص العائدة إلى معبد المقه بعل = (صاحب) أوام بمارب (محرم بلقيس) ومعبد شمس العالية بعلة جبل شحرار بوعلان في الموضع المعروف اليوم بالمعسال . ففيها جميعاً تنعكس صورة الوضع من وجهة نظر كل من الأطراف المتصارعة حينها : سبأ وحمير وحضرموت التي تجمعها حدود مشتركة ، وأكسوم التي كان لها وجود في تهامة اليمن .

كما أن لنقوش العقلة أهمية أخرى وهي أنها المجموعة المترابطة الوحيدة من النصوص النقشية الحضرمية السياسية التي عثر عليها حتى الآن والتي أصبح من الممكن معرفة زمنها بصفة دقيقة[٢] .

فبعد عشر سنوات من أعمال الحفر الأركيولوجي في شبوة لم يعثر على مستودع النقوش التي يفترض أنها زبرت عبر القرون الطويلة من تاريخ المملكة قبل إلعاذيلط بن عم ذخر (انظر الهامش (١) هنا) ، وما زال معظم ما نعرفه عن تاريخ حضرموت قبل القرن الثالث

(٢) انظر على سبيل المثال : بافقيه ـ روبان : (أهمية نقوش المعسال) ريدان ، ٣ ، ١٩٨٠ م .

يعتمد على أخبار متفرقة في النقوش السبئية بالذات . هذا في حين تدل المصادر الأخرى ، خاصة الكلاسيكية الإغريقية واللاتينية ، على ازدهار اقتصاد حضرموت منذ عصر ما قبل الميلاد وامتداد رقعتها شرقاً حتى أطراف جبال عمان شاملة كل مناطق إنتاج اللبان[٣] .

وكانت لها على مدى التاريخ البحري العربي موانئ هامة لعل أقدمها هو قنا (حصن الغراب اليوم) وأحدثها نسبياً (موسكا) ، كما يسميه كتاب الطواف حول البحر الأحمر (ق.م) ، والذي لا يستبعد أن تكون له صلة بمدينة (سمهر) التي بنيت في ما يعرف اليوم بإقليم ظفار (سأكلن في النقوش) ، خلال القرن الأول غالباً ، وذلك في وقت أخذت فيه وتيرة حركة الملاحة البحرية بين الهند ومصر في التسارع مع تزايد منتظم في الإقبال على البخور والسلع الشرقية النفيسة[٤] .

ولقد بذلت محاولات عديدة لترتيب عهود الملوك الذين ورد ذكرهم في نقوش العقلة وربط بين بعضهم وبين ملوك لهم الأسماء نفسها ، عرفوا من النقوش السبئية خاصة ، إلا أنه اتضح الآن ، في

---

(٣) انظر ما ورد في كتاب الطواف حول البحر الأحمر (مثلاً عن مناطق اللبان وامتداد المملكة شرقاً خاصة فقرة ٣٣ ، وكتابنا تاريخ اليمن القديم) ، بيروت ١٩٧٣ ، من ٤٥ ـ ٤٦

(٤) المرجع أعلاه ، ص ١٧٩ ـ ١٨٣

ظل التسلسل الزمني الجديد الذي نقترحه لفترة حرب الثلاث مئة عام ، أو ما يعرف بفترة ملوك سبأ وذي ريدان ، أن المسألة تحتاج إلى مراجعة ، وهو ما فصلنا بعضه في ثنايا دراستنا لتلك الفترة بصورة إجمالية ضمن سياق عام .

أما في هذه الورقة فإننا سنناقش ترتيب العهود التي ترمز إليها أسماء الملوك المذكورين في نقوش العقلة والوضع في حضرموت خلال كل واحد منها وعلاقاتها بجاراتها خلال القرن الثالث ، ذلك القرن الحاسم من تاريخ اليمن .

١ - يدع إل بيِّن بن رأب إل وعادة الذهاب إلى العقلة :

إن أقدم الملوك الذين تركوا نقوشاً في العقلة هو بلا شك يدع إل بيِّن بن رأب إل ، فهو الذي استن عادة الذهاب إلى تلك البقعة . فنقشه لا يختلف عن نقش إلعاذ يلط بن عم ذخر (جام ٩٢١) إلا من حيث ذكر اسم الجندل أو الجنادل التي زبر عليها كل من النقشين ، فبينما استخدم يدع إل جندل مروح (مرواح ؟!) في الطرف الغربي من الموقع استخدم إلعاذ يلط أحد جنادل أنود في الطرف الآخر المقابل والأقرب إلى شبوة مع أن جندل مروح لم يكن قد ملئ بالنقوش ، فليس عليه حتى اليوم إلا نقش يدع إل وبضعة مخربشات لا نعرف تاريخها ولا صلتها بالنقش الملكي . وسنناقش فيما بعد أسباب ذلك

التغيير مكتفين هنا بمحاولة التعرف على شخصية يدع إل هذا وما يمكن أن يكون الحال عليه في عهده .

إننا ، اعتماداً على ما نعرفه عن تاريخ حكم إلعاذ يلط بن عم ذخر (إلعاز بالزاي في النقوش السبئية) المعاصر لشعر أوتر ملك سبأ ثم ملك سبأ وذي ريدان ، نستطيع القول بأن يدع إل الذي لا مكان له بعد إلعاذ يلط ، لا بد أن يكون هو يدع إل نفسه الذي زاره علهان نهفان ملك سبأ ووالد شعر أوتر في ذات غيل بأرض قتبان ليجدد أو يستكمل معه ، كما يقول نقش سبئي ، التحالف (نامي ١٩) ، وذاك لأن علهان كان قد حالف من قبل يدع أب (غيلان بن غيلان) الذي خاض إلى جانب سبأ وأكسوم حرباً ضد حمير (م ٣٠٨ و ١١٥ ونامي ١٣ ـ ١٤) . فيدع أب غيلان هو باني ذات غيل نفسها[5] ، بعد خرابها على أيدي القوات الحضرمية غالباً في الحملة التي انتهت بضم قتبان إلى حضرموت .

ومع ذلك فإن الثغرات القائمة في وثائقنا عن المرحلة تجعل أمر

---

(٥) يثبت ذلك من أحد نقوش موقع هجر بن حميد التي نشرها جام ؛ ولكن الاسم هناك يرد على هيئة ذو (بدلاً من ذات) غيل وهو المعتمد في النقوش القتبانية والحضرمية معاً ولكننا اعتمدنا هنا الاسم كما جاء في النقوش السبئية لوروده في نقوش هامة منها . وقد أدى اختلاف كتابة الاسم في النقوش إلى التباس في الماضي وتسبب في استنتاجات وتخريجات خاطئة .

ترتيب عهدي يدع إل ويدع أب المذكورين مسألة تعتمد على القرائن أكثر من اعتمادها على الأدلة الصريحة ، خاصة وأن هناك ملكاً آخر اسمه يدع إل كان على العرش في حضرموت أثناء حرب بينها وبين سبأ شهدها القيل يريم أيمن (جام ٦٢٩) والد علهان قبل أن يصبح ملكاً (جام ٥٦٥) . فهل يمكن أن يكون عهد ذلك الملك الحضرمي قد امتد حتى وقت علهان ومن ثم يمكن أن يكون هو يدع إل بن رأب إل ؟

إن القرائن تقف عثرة في طريق ذلك الاحتمال وتجعل من المرجح أن يدع إل بن رأب إل هو ملك آخر غير سميه المعاصر ليريم أيمن قيلاً . ومن ذلك ، على سبيل المثال ، عدم وجود نقش ليدع أب غيلان بن غيلان في العقلة ، فحدوث مثل هذا الانقطاع في العادة التي استنها يدع إل غير محتمل ، والأقرب إلى المعقول أن يكون لقاء علهان نهفان بيدع إل (بن رأب إل) في ذات غيل قد حدث عقب استقرار الأمور وإعادة بناء المدينة (انظر أعلاه) .

على أن هناك نقشاً آخر في أحد جدران مركز مراقبة بأعلى جبل العقلة من ناحية مروح ، تركه هناك ملك اسمه يدع إل بيِّن ، استعصى علينا تصوير السطر الثالث منه ونعتقد أنه يتضمن إشارة إلى قتبان في سطره الثاني ومن ثم قد يلقي بعض الضوء على المسألة

لوأمكن الحصول على صوزة أوضح له[6] .

٢ ـ إلعاذ يلط بن عم ذخر وتقلبات عهده :

وهكذا نأتي إلى إلعـاذ يلـط بن عم ذخر المعـاصر لشعر أوتر كما هو ثـابت من عـدة نقوش سبئيـة . ولكنـه يصعب ـ مع ذلـك ـ معرفـة الوقت الذي بـدأ فيـه عهـد ذلـك الملـك الحضرمي مقـارنـة بعهـد شعر أوتر ، وهل كان ذلك قبلـه في حيـاة أبيـه علهـان أم كان بعـد أن ولي شعر الحكم وحيداً ؟

إننا نعلم أن سيـاسـة الأحلاف التي لجـأ إليهـا علهـان في مواجهـة الضغط الحميري لم تحقق لسبأ أكثر من ضمان حدودها كما استقرت عليهـا منذ نهاية القرن الأول أو نحو ذلك[7] .

فـالحرب التي شنَّهـا الحلف الثلاثي لم تقض على حمير . وعلهـان لم يعد إلى ذلك اللقب المزدوج لقب (ملك سبـأ وذي ريـدان) ، وشعر بدأ حكمه باللقب البسيـط (ملـك سبـأ) ، وهـذا فيما تـدل الأحـداث

---

(٦) بـافقيـه : (آثـار ونقـوش العقلـة) أعـلاه ص ٢٠ ، ملحـق ٢ ، ص ٧٩ ـ ٨٠ ، وشكل ١٠

(٧) انظر على سبيل المثال مقـالنـا (بنو جره وبنو ذرانح بين سبـأ وحمير) عن الوقت الذي أصبح فيه نقيل يسلح (جنوب صنعاء) حدّاً فاصلاً بين سبـأ وحمير . اليمن الجديد عدد : ٥ سنة ١٦ أغسطس ٨٥ ص ٤٠ ف ٣
وفي (في العربية السعيدة) .

اللاحقة على توغل الأحباش في تهامة من جهة وترسخ أقدام الحضارمة في أرض قتبان من جهة أخرى .

وحين اتخذ شعر أوتر اللقب المزدوج ، في ظروف لم تتضح تماماً بعد ، نرى إلعاذ يلط يمد سلطانه إلى ردمان ذلك الموضع الاستراتيجي على حدود كل من سبأ وحمير معاً ، وهي الخطوة الأخيرة في سياسة التوسع الحضرمي نحو الغرب .

ولكن الأهم من ذلك كله هو أن نقوش عهد إلعاذ يلط في العقلة إذ تظهر وجود علاقات خاصة ، أو بالأحرى حلفاً بين حمير وحضرموت ، بدلالة وجود نقش لوفد حميري رسمي جاء للمشاركة في مناسبة ذهاب إلعاذ إلى الموقع (جام ٩٢٣) ، فإنه ليس بينها ما يدل على أية صلات مع سبأ . ولما أن زيارات الملوك الحضارم لذلك الموقع تقترن كما يعتقد بتوليهم العرش[(٨)] ، ومن ثم فإنها تعكس ـ إلى حد ما ـ الأوضاع في بداية كل عهد فالسؤال الذي يفرض نفسه ـ كما يقولون ـ هو هل حدث تحول من جانب حضرموت أواخر أيام يدع إل تجاه كل من سبأ وحمير ؟ أم أن ذلك التحول له علاقة بتولي إلعاذ العرش ؟

---

(٨) بافقيه : (آثار ونقوش العقلة) ص ٤٦ وما بعدها . مع ملاحظة أننا أميل ـ في هذا المقال ـ إلى اعتبار أن زيارة الملوك للعقلة تأتي مع توليهم الحكم بغض النظر عن طبيعة الزيارة ومراسيمها . وانظر أيضاً رأي العالمة الفرنسية بيرن في كتابها الجديد عن حفريات شبوة (بالفرنسية) وهو ما لا نتفق معها عليه .

إن مثل ذلـك التحول إذا حـدث ليس بـالأمر المستغرب ، فتغير التحالفات حدث باستمرار في التاريخ اليمني القـديم كما حـدث ويحـدث في كل مكان إلى اليوم . ولكن المهم هو أسباب التغيير . وهنـا لا نملـك إلا الاستقراء والاستنتاج .

وأول مـا يمكن استقراؤه واستنتـاجـه ، من المعطيـات والمؤشرات القليلة المتاحة لنـا ، هو أن حمير ـ بعـد الضربـة التي تعرضت لهـا على أيدي علهان وحلفائه ـ لم تلبث أن استعادت قوتهـا ، أو أن الضربـة لم تكن قاصمة من الأساس ، وإن إلعاذ ربما كانت له تطلعـات تتعـارض مع السياسـات السبئيـة . فمع عـدم وجود أحـد من بني معـاهر أقيـال ردمان في ركابه بالعقلة إلا أننا نعلم أنه الملك الذي كانت ردمان تابعـة لحضرمـوت في عهـده (انظر أدنـاه) ولا نعرف متى حـدث ذلـك ولا ما هو موقف سبأ أو حمير منه حين حدث . على أن غيـاب بني معـاهر عن رحلة العقلة قد يدل على أن الضم حدث بعد توليه هو الحكم .

وممـا يصعب دراسـة القضيـة هـو أن وصـول إلعـاذ إلى الحكم بعـد يدع إل لا يعرف أساسه ، فكل الملوك من يـدع أب غيلان بن غيلان إلى إلعاذ يلط بن عم ذخر مروراً بيـدع إل بيِّن بن رأب إل ينتمون إلى آبـاء مختلفين وإن كانت أسماؤهم جميعـاً من الأسماء التقليـديـة المعتمـدة للملوك القـدامى بحضرمـوت[٩] . فهـل كان نظـام الـوراثـة قبـل أسرة

(٩) يـلاحـظ من نقـوش الأسرة السبئيـة ، التي حكمت حتى قرب نهايـة القرن الأول =

يدع إل بيِّن بن ربشمس (انظر أدناه) مختلفاً ؟! أم إن في الأمر سرّاً آخر ؟!

إنه سؤال معلق في انتظار المزيد من الوثائق النقشية عن الفترة السابقة . ويكفي أن نعلم أن إلعاذ تولى الحكم بعد يدع إل وإنه كان حليفاً للملك الحميري ثأران يعب يهنعم (جام ٩٢٣) ، وإن حلفهما قد يعود إلى ما قبل عهد إلعاذ خاصة إذا كان حضور الوفد الحميري إلى العقلة قد جاء مع توليه العرش كما يعتقد .

هذا وتشهد نقوش العقلة أيام إلعاذ باستمرار ازدهار الاقتصاد الحضرمي كما يظهر من قدوم الوفود من مختلف البلاد ، خاصة تلك التي تقع على نهايات طريق البخور . ومن أبرز الأمثلة على ذلك وجود تدمريين وكلدانيين ، بل وهنديين بين زوار إلعاذ ومشايعيه في العقلة (جام ٦٣١) .

= للميلاد غالباً أن أفرادها الذين يتولون الحكم كانوا يحملون أحد خمسة أسماء هي : سمهعلي ، وكرب إل ، وذمار علي ، ويثع أمر ، ويدع إل ، يميز بين الواحد والآخر منهم لقب شخصي يختار من قائمة محدودة تشمل : بيِّن ووتر وينف وذرح . ويبدو أن شيئاً من القبيل نفسه كان معتمداً في حضرموت أيضاً حيث نجد أسماء يدع إل (المشترك مع سبأ) ويدع أب (المشترك مع قتبان) ، والريام (المشترك مع معين) ، والعاذ (الذي يبدو أنه حضرمي صرف) .
ولم تفت المصادر العربية الإسلامية هذه الحقيقة وإن لم تتبين دلالتها (انظر على سبيل المثال تاريخ ابن خلدون ج٢) .

ولقد حدث تطور في العلاقات الحضرمية السبئية خاصة بعد اتخاذ شعر أوتر اللقب المزدوج . واتخاذه ذلك اللقب خلال فترة حكمه لا يمكن تفسيره إلا بارتفاع معنوياته إن لم يكن زيادة إمكاناته . وهناك نقش من النقوش التي اكتشفها جيوكنز ونشرها ريكمانز ، يوحي بأن حضرموت كانت ضالعة في حرب ربما كان شعر قد شنّها على حمير[١٠] ، وقد تكون هي التي مكنته من اكتساب الخميس (الجيش) الحميري إلى جانب الخميس السبئي . (جام ٦٣٣ مثلاً) . والخميس التابع لأي مملكة هو درع السلطة المركزية فيها كما هو القصر الملكي رمزها ومركزها . فهل تمت صفقة بين شعر وإلعاذ آنذاك ؟ وهل لها علاقة بالمصاهرة الملكية المتمثلة في زواج إلعاذ يلط من ملك حلك ، أخت شعر أوتر (الإرياني ١٣) .

إن المصاهرات بين الملوك كثيراً ما كانت في القديم وسيلة لتدعيم تحالف وتعاون . وقد أثبتت الأحداث أن المصلحة هي التي تحكم علاقات الجانبين .

ثم هل من علاقة بين ضم إلعاذ لردمان وتلك المصاهرة ـ الحلف وتلك الحرب ضد حمير ؟ هذا مع العلم بأن ردمان تقلبت خلال

---

(١٠) تناولنا هذا النقش بالتعليق ، على حذر ، في أطروحتنا (اليمن في فترة ملوك سبأ وذي ريدان) بالفرنسية ١٩٨٣ قسم ٣

تاريخها الطويل بين مختلف الممالك من حولها : أوسان أولاً في الغالب[11] فقتبان فسبأ ، وأصبحت على الأرجح مستقلة في نحو منتصف القرن الثاني (جام ٦٢٩) . ثم نجدها تابعة لإلعاذ يلط الحضرمي (المعسال ٤) . ولعلها عادت إلى الفلك السبئي (م ٣٣٤) فترة بعد ذلك لتنتهي في الجانب الحميري (المعسال ٢ مثلا) .

وفي تاريخ عهد إلعاذ يلط هذا حادثة خطيرة لعلها الأولى من نوعها التي تبلغنا أخبارها - تلك هي الثورة التي قادها أحرار يهبئر عليه في عام ٢٢٠ م في المناطق الداخلية من حضرموت ، والتي يبدو أن انتشارها كان واسعاً بدليل اشتراك مهرة فيها . وقد قضي عليها في معركة ضارية دارت بصؤران في أنحاء الكسر من وادي حضرموت حيث تداعى لنصرة إلعاذ كل من شعر أوتر نفسه ، وهو يحمل لقب ملك سبأ وذي ريدان (جام ٦٤٠) على رأس قواته وناصر يهحمد بن معاهر قيل ردمان التابعة وقتها لإلعاذ وقوات أخرى من قبائل (شعوب) المشرق (المعسال ٤) .

ورغم أن ملابسات تلك الثورة غير واضحة إلا أن وصول أحرار يهبئر إلى الحكم بعد إلعاذ واتخاذهم أسماء من تلك التي اشتهر باحتكارها

(١١) هذا ما يفهم ضمناً من نقش النصر لكرب إل وتر بن ذمار علي (ف ٣٩٤٥) . انظر استعراضنا للنقش في تاريخ اليمن القديم المتقدم ذكره ص ٥٧ وما بعدها وخاصة ص ٦٤ الفقرة (د) .

الملوك يدل على صراع داخلي على السلطة له جذور في الفترة السابقة (انظر أعلاه) . ولعل الثائرين استغلوا ظرفاً مؤاتياً للقيام بثورتهم كأن يكون الخميس الحضرمي مشتتاً في مهام بمواقع بعيدة في الغرب مثلاً .

ومعلوم أن الوضع الاجتماعي في حضرموت لم يكن يختلف عن غيره في بقية الممالك اليمنية حيث يستند الحكم على صيغة اتحادية أو شبه اتحادية تتمثل في نظام القيالة أو الأذوائية الذي يكون القيل أو الذو فيه حاكماً محلياً لمقاطعة يمكن أن تسمى (مقولة) كما نفهم من بعض المصادر العربية الإسلامية ومنها الطبري .

والأقيال والأذواء ، الذين تدعم سلطتهم المحلية قوة شعبية من حملة السلاح هي (قبيلة) تنسب إليها المقولة أو المقاطعة الأذوائية ، أمراء شبه إقطاعيين هم نتاج طبيعي لأوضاع اليمن الجغرافية وتطور العلاقات الإنتاجية خلال تاريخها القديم . ولهذا فإن اشتراك أطراف أو أفراد من فئات وطبقات مختلفة في أعمال ثورة وتمرد وإن لم يؤد ، فيما بين أيدينا من مصادر - إلى نتائج تغير العلاقات القائمة ، إلا أنه يعكس حالة توتر كامنة في العلاقات الاجتماعية في ظل ذلك النظام . على أن العناصر البدوية بحكم فقرها وعدم خضوعها لوطأة ذلك النظام ربما كانت أسرع الأطراف إلى التمرد . ولعل ذلك يفسر موقف مهرة

في هذه الثورة مثلاً ، فلمهرة تاريخ معروف في هذا المجال خاصة في أول عهد التبأبعة (نقش عبدان الكبير) .

حدثت الثورة كما هو واضح والعلاقات الحضرمية - السبئية في أحسن حالاتها .

ولكن شهر العسل بينهما لم يلبث بعد حين أن انقضى وبدأت المتاعب ، فالمصاهرة السياسية المصلحية لم يعد لها على ما يبدو ما يستدعي الحرص عليها . ولعل تعزز مركز شعر أوتر في النصف الغربي من اليمن كله (سبأ وحمير معاً) كان من بين أسباب ذلك . فحدثت الحرب المباغتة كما نعرف من نقوش سبئية لعل أهملها هو (الإرياني ١٣) والتي ترتب عليها كما يظهر أسر إلعاذ وتدمير شبوة ونهبها مرتين ومهاجمة قنا وإحراق السفن في المرسى الملكي هناك .

إن تدمير شبوة ، بعد أسر إلعاذ يلط في ذات غيل تفصله عن عاصمته فلاة صيهد (رملة السبعتين اليوم) قد يكون وراء :

(أ) سقوط إلعاذ نهائياً ، وإن كنا لا نعرف متى وكيف تولى يدع إل بيِّن بن ربشمس (انظر أدناه) الحكم بعده .

(ب) اختفاء الكثير من النقوش الحضرمية التي يفترض أنها كانت موجودة في شبوة[١٢] .

---

(١٢) يفترض أن معبد سين (أو سيان) ذي اليم معبود حضرموت الوثني القديم كان =

٣ ـ يدع إل بيِّن بن ربشمس مجدد بناء شبوة :

دمرت شبوة على أيدي شعر أوتر إذن ، بل ودمر الميناء قنا ، ونهبا . ولربما حدث ذلك أواخر عهد شعر أوتر ، إذ أن الذي أعاد تعمير شبوة وقصرها الملكي شقير هو يدع إل بيِّن بن ربشمس من أحرار يهبئر (جام ٩٤٩) ، وهو ملك عاصر ـ فيما يظهر ـ لشمر يهحمد الملك الحميري (المعسال ٣) . وشمر ذاك يأتي بعد لزوم يهنف يهصدق المعاصر للحيعث يرخم الذي حكم بعد شعر أوتر (جام ٦٣١) .

وليس هناك ما يدل على محاولة شعر إخضاع حضرموت ، وإنما الظاهر هو أنه اكتفى ـ عامداً أو مضطراً ـ بالتدمير لإضعاف حضرموت في وقت صار فيه الوجود الحبشي في تهامة يتخذ أبعاداً تهدد المصالح السبئية الحميرية (الإرياني ١٢ مثلاً) ، ويشجع فيما يبدو التحرشات من الشمال بسبأ (جام ٦٣٥) ، وهذه أمور قد تفسر كلها

= مستودعاً للنقوش كما هو حال محرم المقه بمارب . ونعلم أن المعابد لا تسلم أحياناً من العدوان فالحرب بين شعبين (قبيلتين) هي أيضاً حرب بين إلهيهما الرئيسين . ومع أننا لا نملك نصاً صريحاً عن نهب ذلك المعبد إلا أن العودة بالغنائم من شبوة (جام ٦٣٦ و ٦٣٧ ، وفخري ١٠٢ مثلاً) ومن ضمنها أصلام (أو تماثيل) برونزية قد يعني ذلك . ولكن المشكلة الأكبر هي أن موضع المعبد المذكور لم يتحدد بصورة ثابتة لعدم العثور على نقش في مكان يحتمل أن يكون هو المعبد المقصود .

أسباب ضعف سبأ بعد شعر ، حتى أن من حكم بعد لحيعث يرخم ـ خليفة شعر ـ وهو فارع ينهب عاد إلى اللقب المتواضع (ملك سبأ) (جام ٥٦٦) وهو ما يمكن أن يدل على متاعب بدأت أيام سلفه على الأقل .

إن أحد مشاكل التوثيق النقشي غير المفسّرة هو عدم وصول أي نقش ملكي لشعر أوتر من فترة حكمه ملكاً لسبأ وذي ريدان(١٣) ، وهي مسألة قد يكون مرجعها مجرد عدم استكمال الحفريات في محرم المقه (محرم بلقيس) وسوء التخطيط من قبل البعثة الأمريكية لأعمالها .

ومع ذلك فإن ما بين أيدينا من نصوص ، على قلتها وكثرة ثغراتها ، كافية للقول بأن العلاقات بين سبأ وحمير قد ساءت ، وأن ذلك حدث أغلب الظن أيام لحيعث يرخم السبئي . فشمر يهحمد ـ كما يظهر من نقوش عهد إلي شرح يحضب (الثاني) وأخيه يأزل بيّن ملكي سبأ وذي ريدان ابني فارع ينهب ملك سبأ تدعمها نقوش المعسال الحميرية ـ كان على عداء مع سبأ تحت حكم الأخوين ، وهو ما لا يمكن تفسيره إلا بصدام سابق تمَّ في بداية عهد شمر نفسه غالباً ، وكان من أسباب أو نتائج النكسة التي أجبرت فارع ينهب على العودة إلى اللقب البسيط (ملك سبأ) .

---

(١٣) النقش الملكي الوحيد المعروف من عهد شعر أوتر هو (نامي ١٢) وفيه كان لقبه =

والظـاهرة التي لا ينبغي إغفـالها من ظـواهر تلـك المرحلـة التي يلفهـا شيء من الغمـوض مصـدره قلـة الـوثـائـق هي تحـالف حمير والأحباش (جام ٥٧٧ مثلاً) بعد أن امتـد نفوذ الأحبـاش إلى المعـافر (الحجريـة اليـوم) وهـددوا في مرحلـة سـابقـة ظفـار حـاضرة بني ذي ريدان ذاتها (جام ٦٣١) .

والثابت هو أن الصراع الذي كان طابع الفترة كلها ازداد بعد شعر حدة وأخذ يتشعب بصورة مذهلة فـالكل ضـد الكل ، واستمر كـذلـك حتى تمَّ تـوحيـد سبـأ وحمير عن تراض تحت قيـادة يـاسر يهنعم (الإرياني ١٤) في الربع الأخير من القرن الثالث .

فأين كان يقف يدع إل بيِّن بن ربشمس ومن بعده أبناؤه من كل ذلك ؟ ماذا كان عليه حال حضرموت في عهدهم ؟

يبـدو أن المهمـة الأولى التي واجهت أحرار يهبئر تحت قيـادة يـدع إل بيِّن هي إعـادة تعمير شبوة والقصر شقير كما تقـدم ، فـالنقش الوحيد ليدع إل في العقلة (جام ٩٤٩) يتحدث عن رحلة صيـد قـام بهـا ذلـك الملـك(١٤) بعـد انتهـائـه من تلـك المهمـة وهو نقش يخلو من

= مـا زال (ملـك سبـأ) كأبيـه وجـده من قبل . وهـذا وحـده كاف لتصوير أهميـة استئناف الحفريات في محرم المقه / محرم بلقيس اليوم .

(١٤) ليـدع إل نقش آخر يـدل على غرامـه بـالصيـد وهـو نقش عقبـة فتـوره في وادي عرمة .

اللفظة الختامية الغامضة (هسلقب) التي تفسر بـ « تولى الحكم أو اتخذ اللقب » كما يخلو منها أي نقش آخر من عهده . ومع ذلك فقد رافقه في العقلة عدد كبير من أتباعه وأنصاره وأقاربه ومعاونيه ومنهم شخص اسمه شهر أو شاهر بن وائل كبير الأمهور (جام ٩٥٤) الذي قد يكون كبير المهريين[١٥] .

ومع أن حضرموت قد فقدت ولا شك موضع القدم في نجد اليمن (الهضبة الغربية) المتمثل في مقولة ردمان ، منذ حرب شعر - إلعاذ إلا أن المشرق كله أو جله ظل موالياً لها[١٦] .

هذا وكان بين مرافقي يدع إل في العقلة صهره (ختنه) عمر بن

---

(١٥) اللقب في النقش هو (كبر أمهرن) حيث أمهرن يمكن أن تنطق على هيئة الأمهور بصيغة الجمع اليمنية المعروفة . وليس هناك ما يمنع أن يقال لأهل مهرة (مهرت) أمهرن ، كما يقال للجماعة من حبشة (حبشت) أحبشن . على أن هذا مجرد احتمال نورده ونحن على بينة من أن هناك للجذر (مهر) معان أخرى تناولناها مع الزميل روبان في مقال بعنوان (من ألفاظ المساند) في ريدان ٤ ، ١٩٨١ ، هذا ويحتمل أن يكون شهر أو شاهر بن وائل كبير الأمهور أيام يدع إل (جام ٩٥٤) هو نفسه الذي اشترك في نقش مع آخرين أيام إلعاذ (جام ٩٤٥) .

(١٦) المشرق (مشرقن في النقوش) يطلق على منطقة تضم أودية عبدان وجردان وعمقين مثلاً ، وواضح من نقوش المعسال أنها ظلت تابعة لحضرموت بعد إلعاذ يلط .

عوف الأسْدي بسكون السين أو الأزدي[١٧] ، وهو الوحيد الذي أشار في ذلك العهد إلى المحفد المسمى أنود نفس اسم الجنادل (جام ٩٥٧) ، وهو محفد ما زالت آثاره باقية ، ويحتمل أنه شرع في تشييده أيام يدع إل ، ولكن لم يشر أحد إلى إقامة الملك فيه ، وكان هناك أيضاً أسديان (أزديان) آخران سجلا اسميهما في الرقعة المخصصة لنقوش العهد نفسه (جام ٩٣٩ و ٩٦٢) .

واللافت للنظر هو أن أحداً من أبناء يدع إل الذين نعرف اثنين منهم على الأقل قد حكما بعده ، لم يترك لنا نقشاً في عهد أبيه ، وهو أمر يحتمل تأويلات كثيرة[١٨] .

---

(١٧) يذكرنا اسم عمرو بن عوف بامرئ القيس بن عوف ملك الخصاصة (جام ٥٧٦) الذي ذهبنا في أطروحتنا المشار إليها بالهامش ١٠ إلى أنه قد يكون من الأزد ، فالأسد ، كما تقول المعاجم العربية هي الصيغة الأفصح لاسم القبيلة الشهيرة ، وإذا صح هذا الاستنتاج فإن تداعياته لا يتسع المجال لتناولها هنا .

(١٨) أولاً يستبعد عدم حضور الأبناء ، إذا وجدوا ، حفل أو مناسبة تتعلق بتولي أبيهم الحكم . مع ذلك فإن عامل السن ، لو كانوا صغاراً قد يكون من بين أسباب عدم وجود نقش لهم ، كما أن المساحة الضيقة المتاحة لزبر النقوش قد تجعل من المفضل تقديم نقوش الأنصار والأعوان والأتباع والزوار . هذا ومما يلفت النظر وجود نقش من كلمة واحدة هي اسم ربشمس (جام ٩٧٤) في إحدى الجهات المخصصة لنقوش عهد يدع إل بيّن بن ربشمس .

٤ ـ إلريام يدم بن يدع إل بيِّن والمعركة بأرضَ قتبان :

بعد يدع إل بيِّن حكم البلاد ابنه إلريام يدم المعاصر لكرب إل أيفع الحميري الذي خلف شمر يهحمد الحميري أيضاً الذي سبق إلي شرح يحضب السبئي إلى الدار الآخرة .

ولإلريام نقش في العقلة يختتمه بلفظة (هسلقب) (جام ٩٨٨) التي وردت لأول مرة في نقش يـــدع إل بن رأب إل ثم في نقش إلعاذ يلط بن عم ذخر مما قد يدل على أنه ارتاد الموضع في مناسبة اعتلائه العرش وقصد المحفد أنود (انظر أعلاه) .

ويلاحـــظ أن أخـــاه الأصغر ربشمس كان بين مرافقيـــه (جام ٩٨٦) في حين أنه لا يوجد في نقوش العهد ذكر ليدع أب غيلان الأخ الأكبر من ربشمس (انظر أدناه) .

كما أن من نقوش العهد ما يعتقد أنه أقدم نقش لأحـد أذواء يزأن / يزن (جام ٩٩٤) أو يذأن ، بالذال ، باللهجة الحضرمية القديمة .

وهو نقش قصير لا يكاد يتجاوز اسم صاحبه وهو شهر أو شاهر أسأر بن ربيعة ذو يزان[19] ، الذي يوجد له في العهد الثاني نقش مشابه (جام ١٠٠٣) .

---

(١٩) ليس في النقش ما يعين على تحديد مكان اليزنيين في تلك المرحلة . ولكن (نقش عبدان الكبير) يدل على أنهم من عبدان وفيها كان قصرهم (بيت ذي يزأن)

ولقد واصل إلريام سياسات أبيه تجاه حمير (المعسال ٣) ، وعبأ تحت قيادته شخصياً قوة كبيرة في أودية قتبان في محاولة لاسترجاع النفوذ الضائع في تلك الأنحاء ، وتقوية ما بقي منه فيها ، ولم يكن ما بقي قليلاً على ما يظهر . ولكن أقيال ردمان الجدد الذين يدينون بالولاء لحمير تصدوا للحضارمة بشراسة ظاهرة في كل مرة . على أن النقش الذي سجل أخبار ذلك الصدام أيام إلريام (المعسال ٢) تعرض لتلف كبير في الجزء الأخير منه فضاعت منا النتيجة الختامية للمعركة التي لا يبدو أنها حققت تقدماً للحضارمة .

٥ ـ يدع أب غيلان بن يدع إل بيّن آخر ملك بشبوة (؟!) :

وبعد إلريام يدم يأتي أخوه يدع أب غيلان بن يدع إل فكل من الملكين حرص في ذكر هويته على تأكيد ملوكية أبيه كعادة النقوش السبئية والحميرية بعد سقوط الأسرة الملكية التقليدية في سبأ ولأسباب تناولناها في أبحاث سابقة[٢٠] .

= وكان أهل المشرق تابعين لهم . انظر على سبيل المثال مقالنا (هوامش على نقش عبدان الكبير) ريدان ٤ ، ١٩٨١ ، ومقالنا (اليزنيون وخلفية الأحداث التي قادت إلى قيام وسقوط حكم الأحباش في اليمن) ، المنتدى عدد ٣ ، أغسطس ١٩٨٣ ، وقد أعيد نشره بعد ذلك في دراسات يمنية ، وفي (في العربية السعيدة ١) .

(٢٠) لعل الذي افتتح هذا التقليد هو وتار بن إلي شرح يحضب الأول في سبأ .

ولأمر ما خلا نقش يدع أب هذا (جام ٩٩٦) من لفظة (هسلقب) مع أنها وردت في نقش لأخيه ربشمس (جام ٩٩٧) الذي كان من بين المرافقين ، وهو نقش لا يختلف عن نقشه ، أي (ربشمس) أيام إلريام يدم (جام ٩٨٦) إلا من حيث اتخاذه لقباً شخصياً هو (خير أسدن) ، أي خير الرجال ، أو المقاتلين ، أو ما يقابل (زين الرجال)[٢١] كما في (زين العابدين) مثلاً .

ونقوش عهد يدع أب هذا قليلة مقارنة بمن سبقوه[٢٢] . ولا نعرف عن أحداث حكمه شيئاً وإن كان ترتيبه في ولاية الحكم يجعل من المحتمل أنه حاصر ياسر يهنعم الحميري الذي خلف كرب إل يفع (المعسال ٥) . وفي عهده ربما جرى صدام مع سبأ (جام ٦١٢)، ولكن لا ذكر له في النقوش الحميرية والسبئية

(٢١) قد يرى البعض في (خير أسدن) منصباً كان يتولاه ربشمس وهو استنتاج له مبرراته ، فأسدن تعني ذكور أو رجال في سن حمل السلاح وتستخدم لوصف المقاتلين . ومع ذلك فإننا أميل إلى اعتباره لقباً شخصياً من الألقاب التي يتخذها أهل ذلك العصر وإن كان مركباً على خلاف العادة . أما ظهوره متأخراً في عهد أخيه يدع أب غيلان فلا ينبغي أن يعد حجة تضعف الاحتمال ، فهناك ما يشير إلى اتخاذ الألقاب في سن معينة . هذا وللراحلة بيرن تعليل آخر (!) في كتابها عن شبوة .

(٢٢) لا ينبغي إسقاط عامل المساحة المتبقية الصالحة للكتابة في جنادل (أنود) من الحساب .

المعروفة ، كما أنه لم يعثر على نقوش للأسرة كلها في حفريات شبوة التي أعادوا بناءها مع أن احتلال شمر يهرعش لها لم يؤد فيما يبدو إلى تدميرها[٢٣] وإن استمرت المقاومة في الأودية الداخلية فترة لا بأس بها بعد ذلك (الإرياني ٣٢) .

٦ ـ ربشمس خير أسدن بن يدع إل بيِّن ومصيره :

مما لا شك فيه أن يدع أب غيلان بن يدع إل بيِّن هو آخر ملك حضرمي يترك نقوشاً في العقلة . وهذا في حدِّ ذاته قد يكفي للدلالة على أنه الملك الذي سقطت في عهده شبوة . ومع ذلك فإن المقاومة التي بدأت في عهد شمر يهرعش كانت بقيادة ملكين أحدهما اسمه شراحيل[٢٤] ، والآخر ربشمس (جام ٦٥٦) ، مع تقديم اسم شراحيل

---

(٢٣) نستنتج ذلك من انتداب شمر يهرعش من يقدم قرباناً إلى (سين) بشبوة بعد ضمها في مناسبة الحاضر أو الاجتماع السنوي هناك أو الحج . انظر كتابنا (تاريخ اليمن القديم) المتقدم ذكره ص ١٤١ . وهذه الحقيقة تدل على أن المعبد لم يدمر مما يعقد مسألة اختفاء النقوش خاصة من عهد أحرار يهبئر . هناك ولا شك نقوش قليلة متفرقة من المعبد أحدها على الأقل للملك وهو ذاك الذي كان حتى عام ١٩٦٧ موجوداً بمسجد الهجر (انظر كتابنا آثار ونقوش العقلة المتقدم ذكره شكل ١٧) . ولكن ليس هناك ما يعين على تحديد موضع المعبد لِلتأكد مما حدث لنقوشه ، هذا مع العلم بأن بطء أعمال الحفر ، بسبب الإمكانيات المادية والجو ، لم تسمح بعد بالكشف عن كل آثار شبوة .

(٢٤) النقش الوحيد الذي يتضمن اسم شراحيل بين نقوش العقلة يرجع إلى عهد يدع إل بيِّن بن ربشمس وهو لشراحيل ذي خصير (جام ٩٧٧) ولكنه لا يتجاوز ذكر =

فهل هو أيضاً من أحرار يهبئر ، وهل يمكن اعتبار ربشمس هنا هو نفس ربشمس أصغر أبناء يدع إل المعروفين (انظر أعلاه) ؟

مرة أخرى تبرز الأسئلة وتتوارى أجوبتها . ولكن هذا لا يقلل شيئاً من معرفتنا بالمجرى الرئيسي للأحداث . فالمقاومة الحضرمية للحميريين وإن استمرت بعد شمر يهرعش لبعض الوقت قد قضي عليها فيا يظهر أيام ذمار علي يهبر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنه (اللقب الذي طوره شمر يهرعش) ، ففي عهده يرد ذكر لشخص اسمه أغار يقول عنه النقش الحميري (الإرياني ٣٢) (ذو هملكو حضرموت) ، أي الذي ملكوه حضرموت . وهي عبارة يحتمل أن تفسر بأن حضرموت القبيلة هي التي ملّكته (جعلته ملكاً) .

= الاسم والصلة ، أي أنه مجرد توقيع يثبت مشاركته في المناسبة تماماً كنقشي شاهر أسأر بن ربيعة ذي يزأن (جام ٩٤٤ و ١٠٠٣) ، ولا نعرف شيئاً عن أذواء بهذا الاسم كما لا نعرف أين كانت تقع أراضيهم فخصير قد يكون اسم حصن / قصر للأذواء أو واد أو مدينة ، قارن (جام ٩٨٤) . ونفترض أن شراحيل من أذواء المناطق الداخلية بحضرموت . ولهذا فمن المحتمل أن يكون شراحيل قد قاد المقاومة مع ربشمس بعد سقوط شبوة . وليس في قيادة أحد الأذواء أو من هو في مرتبتهم مقاومة كهذه ما يستغرب فقد فعل ذلك في سبأ وهب إل يحوز مستنهضاً سمعي ضد ذمار علي يهبئر الحميري (منتصف ق ٢ م) ، حين دخل مارب برضى جانب من الأقيال (الإرياني ٦) . على أن كل هذا يظل احتمالاً حتى يظهر ما يدعمه أو يسقطه .

والحق أن سقوط شبوة ، أوائل القرن الرابع إذ وضع حداً للعادة التي استنها يدع إل بن رأب إل ، أواخر القرن الثاني ـ أوائل القرن الثالث ، كان بمثابة شهادة الميلاد لدولة التبابعة التي وحدت اليمن[٢٥] .

مستشفى الأميرة جريس ـ لندن

في ١٢ ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ و ٢٤ كانون أول (ديسمبر) ١٩٨٥

---

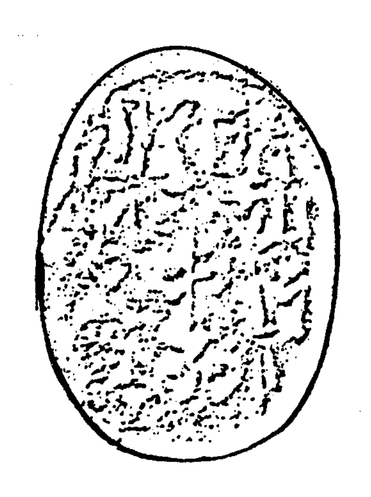
(٢٥) نقول سقوط شبوة مع أنه ليس لدينا ما يدل على قيام معركة فيها ، الأمر الذي يجعل من المحتمل أن انضواءها تحت لواء شمر يهرعش تمّ نتيجة خلاف في حضرموت كما حدث في سبأ بشأن مارب في القرن الثاني أيام ذمار يهبر (الأول) ، أو أنها أخذت بحركة التفاف خاطفة بعد الاستيلاء على منطقة المشرق (راجع المقال) ، وخاصة عبدان أو انحيازها طوعاً إلى حمير . وقد كان لعبدان موقف متميز في حروب شعر أوتر ـ إلعاذ يلط في القرن الثالث وذلك لأهمية موقف المدينة على الطريق بين شبوة وأرض قتبان (بيحان حالياً) . وهي الأهمية التي قد تفسر صعود ملشان وبنيه اليزنيين بعد خراب عبدان على يد حضرموت (نقش عبدان الكبير) . على أن استسلام شبوة بأي صورة من الصور لا يقلل من شأن المقاومة في أودية حضرموت الداخلية وقد كانت قوية ومنظمة واستمرت ربما أكثر مما نتصور .

٥

بحلف سبأ وحمير وحضرموت

أو خاتم التبابعة

نشرت جاكلين بيرن منذ حين دراسة لخاتم من مقتنيات المكتبة الوطنية بباريس CIAS Va/S 2/96.53 هو التالي نقلاً عن الدراسة المذكورة :



وقالت عن الأشكال الثلاثة التي تحتل الصف الأوسط (وهي) إنها عبارة عن رمز يتوسط مونوجرامين ، وإنها تركية تكرر ورودها في نقوش بل ومخربشات . ولاحظت بصفة خاصة أنها وردت في النقشين (C.540) لشرحبيل يعفر و (C.541) لأبرهة .

وكان جلازر قد ركز على المونوجرامين المحيطين بما اعتبره رمزاً وقرأهما (بحلف شقر) وشرحهما بما يجعل (شقر) نعتاً لـ (حلف) ، وترجم العبارة بما معناه « باليمين (أو القسم) الجليل » .

ولكن بيرن - من خلال الربط بين الإشارتين وبين أعمال الترميم الذي أمر بإجرائه كل من شرحبيل يعفر (C.540) وأبرهة (C.541) في سد مارب واستخدامهما لأعداد كبيرة من البشر في ذلك العمل الجماعي - « خدمة للمصلحة العامة » بدلاً من (ش ق ر) لأن من معاني التقرش ، في المعاجم ، التجمع .

ولما أن (C.541, 91-101) يذكر من تسميهم (رؤساء سبئيين) تقول إنهم « مكلفون من قبل الملك بالإشراف على القبائل (الشعوب) » التي شاركت في ذلك العمل فإنها تعد (أبشمر نوف) صاحب الخاتم أحد أولئك الرؤساء (؟!) .

هذا ما تقوله بيرن ، ولكننا نود أن نتقدم باقتراح مغاير لحل المسألة ..

الرمز أو المونوجرام :

إننا نميل إلى أن مفتاح اللغز يكمن فيما نتصوره نحن مونوجراماً وليس مجرد رمز حتى لو بدا أو أصبح مع الزمن كذلك . فالشكل الذي نجده على النقود المضروبة باسم القصر ريدان إنما هو في نظرنا رمز للدولة السبئية - الريدانية ، أي هو شعار ملوكها . وهو وإن بدا للناظر أقرب شيء إلى هيئة شجرة زخرفية لها ساق وغصنان وما يشبه الثمر لا يستبعد أن يكون مكوناً من الحرفين الراء والياء محورين ومكررين ، فهناك من المونوجرامات - كما نعلم - ما يقتصر على حرفين أو نحو ذلك من حروف لاسم كما في حالة ، المكون من الياء والزاي ، رمزاً - مونوجرامياً مختصراً لـ (يزأن) (C.621) . ولما أنه لا يوجد - فيما نعلم - مونوجرام آخر لاسم ريدان فإن الشكل المذكور قد يكون رمزاً مونوجرامياً مختصراً لذلك الاسم (انظر أيضاً أدناه) .

المونوجرام :

أما المونوجرام الثالث الذي قرأه جلازر ، ولم يخالفه أحد إلا بيرن هنا ، على أنه (شقر) إنما هو - فيما نعتقد - اسم القصر الملكي شقير في شبوة[1] .

المونوجرامات في العملات :

ويلفت النظر أن العملات الحضرمية كانت تحمل اسم شقير كما تحمل عملات قتبان اسم حريب (وهو اسم القصر الملكي القتباني . والفارق الوحيد بين عملات كل من حضرموت وقتبان من ناحية ، والعملات الريدانية من ناحية أخرى هو أن هذه الأخيرة تحمل اسم ريدان(بالكامل مضافاً إليه الرمز المونوجرامي موضوع الأشكال ، كما تحمل مونوجرامات أخرى لا شأن لنا بها هنا . هذا إضافة إلى أنه لم يعثر على شكل مونوجرامي لاسم حريب . كما أن الشكل المونوجرامي لشقير لم يستعمل في مسكوكة حضرمية معروفة .

وكل هذا ، وإن كان يعقد المشكلة بعض الشيء ، لا يكفي لنفي

---

(١) انظر بافقيه ، محمد عبد القادر : تاريخ اليمن القديم ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٤١

الصلة المحتملة جداً بين الرمز المونوجرامي [illegible] وريدان ([illegible]) فما زالت أقدم الشواهد المعروفة التي جاء فيها الرمز المذكور هي العملات الريدانية التي استعصى على الدارسين ترتيب نماذجها ترتيباً زمنياً موثوقاً به[٢] يساعدنا على معرفة الزمن الذي بدأ فيه استعمال ذلك الرمز والظروف التاريخية التي أحاطت به .

ولكن لما أننا أثبتنا أن الملوك السبئيين من الأسرة التقليدية هم الذين بدؤوا باتخاذ اللقب المزدوج (ملك سبأ وذي ريدان) ، وأنهم قرنوا ذلك باتخاذهم ، أو اتخاذ بعضهم ، لقباً شخصياً إضافياً من قائمة الألقاب الشخصية الحميرية / القتبانية كما في حالة ذمار علي وتر يهنعم أقدم ، بل ربما أول ، من اتخذ اللقب المزدوج[٣] ، فإن لنا أن نتساءل عما إذا لم يكن ذلك الرمز - خاصة في عملة كرب إل (وتر) يهنعم[٤] ، مهما كانت العناصر التي يتكون منها ومهما كانت هوية ذلك الملك - يرمز إلى الوضع السياسي الذي رافق إدخال اللقب المذكور ، أو بعبارة أخرى أنه رمز الدولة السبئية - الريدانية / الحميرية[٥] .

---

(٢) BAFAQIH, M.A, LUnification du Yemen Antique, Paris, 1990, 4.1.2.3

(٣) Ibid 1. VIII. 2. A.

(٤) Ibid. 3. 1. 2. B.

(٥) Ibid. 1. 1. 2. B.

مدلول الحلف في تركيبة المونوجرامات وعلاقته بطبيعة الدولة في اليمن قبل الإسلام :

وهكذا فإن مجموعة المونوجرامات الثلاثة قد يكون القصد منها القول « بحلف سبأ وذي ريدان (حمير) وحضرموت » ، أي بالحلف الذي آخى بين تلك القبائل المرموز إليها بالمونوجرامين .

وعندنا في معنى (الحلف) في المعاجم ، إنه « المعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق » ، ويقال « حالف فلان فلاناً فهو حليفه ، وبينهما حلف لأنهما تحالفا بالأيمان أن يكون أمرهما واحد بالوفاء » ـ كله في لسان العرب .

وفي (الإرياني ٦٩ الأسطر ١٥ ـ ٢٠) نقرأ :

وبمو / ذن / خرفن / فنبل / وبلتن / شمر / ذريدن / وأقول / حميرم / بعبر / مرأيهمو / إلشرح / يحضب / واخيهو / يأزل / بين / ملكي / سبأ / وذريدن / لسلم / واخونم / ولحشك / بيتنهن / سلحن / وريدن .

أي ما معناه :

« وفي هذا العام[٦] ، راسل شمر ذو ريدان وأقيال حمير سيديهم (سيدي كاتبي النقش) إلي شرح يحضب وأخيه يأزل بيِّن ملكي سبأ وذي ريدان (طالبين) السلام والتحالف وأن يتحد البيتان (القصران) سلحين وريدان » .

وبغض النظر عن مكان هذا الصلح والحلف في تاريخ العلاقات بين شمر يهحمد ملك سبأ وذي ريدان الحميري والأخوين إلي شرح يحضب ويأزل بيِّن ملكي سبأ وذي ريدان السبئيين فإن المهم هو أنه في هذه المرحلة ، التي تسبق معظم ، إن لم يكن كل ، أحداث النقش (J.576) ، تمّ تحالف بين ملوك سبأ وبين بني ذي ريدان ، ورمز إليه بالاتحاد بين القصرين سلحين السبئي وريدان الحميري ، وكان من نتائج ذلك أن تولى إلي شرح قيادة الخميسين السبئي والحميري معاً في

(٦) العام الذي يشير إليه النقش هو أحد الأعوام في التقويم السبئي بالأشخاص (الإيبوتياه) . وهو تقويم لم يتسن بعد للدارسين أن يستفيدوا منه الفائدة المرجوة لوجود ثغرات في قائمة الأشخاص الذين أرخ بهم عبر الزمن . وهناك أكثر من دليل على أن بعض الأسماء تتكرر بجذافيرها إلى درجة أوقعت من حاول وضع سلسلة مترابطة لتلك الأسماء ، خلال فترة ملوك سبأ وذي ريدان ، في أوهام ثبت الآن بطلانها ومنها الخلط بين شمّر يهرعش وشمر يهحمد ، انظر على سبيل المثال ما أوردناه نحن متأثرين بتلك الآراء في تاريخ اليمن القديم ، ص ١٢١ ـ ١٢٢

بعض المعارك ضد الأحباش في منحدرات السراة وتهامة . فنحن نقرأ في (الإرياني ٦٩ الأسطر ٢٦ ـ ٣٥) :

« وبمو / هوت / خرفن / فسبأ / وضبأ / مرأهمو / إلشرح / يحضب / ملك / سبأ / وذريدن / درم / ثنتم / عدي / سهرتن / بعلي / أعصد / حبشت / وذسهرتم / وشوعهو / خمسهو / خمس / سبأ / وذبن / أقول / وأشعب / حميرم / ووكبو / اعصدهمو / بمقرفم / بسفلت / أرض / عكم / وتأول / مرأهمو / إلشرح / يحضب / ملك / سبأ / وذريدن / وخمسيهو / خمس / سبأ / وحميرم / بوفيم / وحمدم / ومهرجتم » .

أي ما معناه :

« وفي ذلك العام غزا سيدهما إلي شرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان السهرة للمرة الثانية حاملاً على جموع الأحباش وأهل سهرة ومعه خميسه خميس سبأ وبعض أقيال وشعوب حمير وظفروا بجموعهم (جموع الأحباش) بمقرفم[٧] في سافلة أرض عك ، وعاد سيدهما إلي شرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان وخميساه خميس سبأ وحمير سالمين حامدين غانمين » .

---

(٧) (مقرفم) في النقش قد يكون اسم موضع في سافلة أرض عك ولكن لم نعثر له على أثر في المصادر التي رجعنا إليها . على أن تاج العروس يقول « القرف (من الأراضي المحمة) أي ذات حمى ووباء نقله (ابن عياد) » .

إن هـذا النقش يلقي ضوءاً يبـدد الكثير من الظـلام الـذي كان يحيق ببعض جوانب العلاقـة المتقلبـة بين الـدولتين السبئيـة والحميريـة (الريدانية) بعد سقوط الأسرة المالكـة التقليـديـة السبئيـة ، ويفسر قضايا من مثل التعـاون بين الجـانبين في (J.631) ، وأسبـاب قيـادة شعر أوتر لخميسين سبئي وحميري (C.334 & 633) ، ويبين في الوقت نفسـه أن فترات السلام بينهما قـد تؤدي إلى تحـالف ، وأن هـذا التحـالف يوصف أحيـانـاً بـأنـه (جزم) (J.5763) أي عهـد موثـق بالأيمان .

ونحن إذا تـأملنـا العبـارة التي عبر عنهـا بـالمونوجرامـات الثلاثـة حيثما وردت نجد أنها ظهرت بعد أن تمَّ ضم حضرموت التي تـأسس على ضمها قيام عهد التبابعـة ، ولمـا أن الرمز المونوجرامي كان شعـار الملـوك من أصحــاب اللقب الملكي والشخصي المـزدوج (انظر أعـلاه) قبـل ضم حضرمـوت فـإنـه لا غرابـة في أن يرمـز إلى عهـد التبــابعـة بشطريه[٨] بالاتحاد أو التضامن بين ما يمثله الرمز المـذكور وشقير رمز السلطة في حضرموت .

(٨) بافقيه ، محمد عبد القادر (موجز تاريخ اليمن قبل الإسلام) في بافقيـه وآخرون : (مختارات من النقوش اليمنية القديمة) ، تونس ١٩٨٥ ، ٧ و ٨ ، ص ٥٤ ـ ٦٥

وإذا صح هذا الاستنتاج فإنه يحق لنا أن نرى فيه تفسيراً للرأي الذي جاء في لسان العرب من أنه « قيل كان ملك اليمن لا يسمى تبعاً حتى يملك حضرموت وسبأ وحمير » .

ومعلوم أن من ملامح نظام الحكم القديم في اليمن استناد الحاكم على مستوى القيالة كما هو على مستوى الملك إلى شعب أو شعوب (قبائل) . وهذه الشعوب الثلاثة : سبأ وحمير وحضرموت كانت تحتل في دولة التبابعة كما يظهر في نقوش المرحلة الثانية على الأقل مكانة مرموقة وعليها يعتمد الملوك (Ry 509 & 510) .

المونوجرامات في نقشي شرحبيل وأبرهة :

وإذا عدنا ثانية إلى النقشين اللذين استشهدت بهما بيرن نجد أن (c. 540) ، وهو نقش شرحبيل يعفر آخر التبابعة الكبار من بني ذي ريدان ، قد اقتصر على إيراد المونوجرامات الثلاثة المترابطة كما هي في خاتم أبشمر نوف حذوك النعل بالنعل ، زين به النقش المكرس لوصف عملية ترميم العرم (سد مارب) مرتين متقاربتين . وفيه يذكر شرحبيل اشتراك حمير وحضرموت بالذات (الأسطر ٦٤ - ٧٢) في القيام بالعمل المطلوب . ولكن حتى لو كان الدافع المباشر لإيراد صيغة المونوجرامات الثلاثة في النقش هو مناسبة اشتراك تلك الأطراف الرئيسية في المملكة في ذلك العمل الهام فإن هذا لا يغير

شيئاً من المعنى العام للصيغة ولمدلول الحلف القائم قبل ذلك العمل وبعده .

أما (c. 541) وهو نقش أبرهة الذي يرقى في ظننا إلى السنوات الأولى من عهده[٩] فقد اشتمل بالإضافة إلى المونوجرامات الثلاثة المذكورة على صف آخر من مونوجرامات ثلاثة أخرى هي في نظرنا عبارة عن اسم الملك (أبره) محاطاً بلقبين اتخذهما لنفسه هما (رماحس) و (زبيمن) ، وقد جاءت في صف واحد يعلو صف المونوجرامات موضوع هذا المقال وبنفس الطريقة التي جاء بها اسمه وألقابه ، بما فيها اللقب الملكي ، في النقش نفسه وهو :

« أبره (عزلي ملكن أجعزين) رمحس زبيمن ملك سبأ وذريدن وحضرموت ويمنت وأعربهمو طودم وتهمت » (الأسطر ٤ ـ ٧) . أليس في هذا ما يجعلنا نفكر في الربط بين المونوجرامات الثلاثة واللقب الملكي (انظر أدناه) .

لقد سبق أن أشرنا في دراسات أخرى إلى تشبُّه أبرهة بشرحبيل

---

(٩) بافقيه ، محمد عبد القادر : (أبرهة تبعاً ..) دراسة قدمت في ندوة جامعة اليرموك في ذكرى مرور عام على وفاة المرحوم الأستاذ الدكتور محمود على الغول ديسمبر ١٩٨٤ ونشرت بإذن خاص في (دراسات يمنية) صنعاء ، العدد ٢٥ ـ ٢٦ ، يوليو ـ ديسمبر ١٩٨٦ .

يعفر الذي رمز إليه في النقش بلقبه (يعفر) (سطر ٩٨) . وأبرهة وإن لم يكن يمنياً في الأصل ، بل جاء إلى اليمن في عداد الحملة الأكسومية عام ٥٢٥ م ، إلا أن الانقلاب الذي جاء به إلى العرش كان انقلاباً محلياً على سميفع الكلاعي ـ اليزني ـ الجدني الخاضع للملوك أكسوم[١٠] .

إن كل شيء في هذا النقش يدل على حرص أبرهة على استكمال دواعي الشرعية اللازمة لحكمه . ولم يكن حرصه على إثبات صيغة المونوجرامات الثلاثة إلا من قبيل التقيد بتقليد تُبَّعي .

أبشمر نوف والرؤساء السبئيون :

ونأتي الآن إلى قول بيرن أن (c. 541, 91 - 101) تحدث عن (رؤساء سبئيين) أوكل إليهم الملك مهمة الإشراف على الشعوب التي وردت للعمل في السد . فما هي هذه العبارة بالدقة ؟ إنها تقول :

« وكبعدن ذتريد ضللن بحمد رحمنن وردو أشعبن حج بعظتهو قدمتن شتأهمو على مرعدهمو أخرن / وكوصحهمو أشعبن بمدت ذدأون اخرتن / وكاسيهمو أشعبن كلهمو عذبو دثبر بن عودن ذتقه بعفر بسبأ وأقولن ألهت كنو عم ملكن ونظرهمو » .

(١٠) بافقيه ، محمد عبد القادر ، (اليزنيون وخلفية الأحداث التي أدت إلى قيام وسقوط حكم الأحباش في اليمن) . المنتدى عدد ٣ دبي أكتوبر ١٩٨٣ ص ١٦ ، وأعيد نشرها في دراسات يمنية ثم في (في العربية السعيدة) صنعاء ١٩٨٧ .

أي ما معناه :

« وحيث أنه بعد أن انجاب الوباء بحمد الرحمن وردت الشعوب وفقاً للاستدعاء المتقدم بحضورهم في الموعد الثاني (الذي ضرب لهم) . وحيث كان وصولهم في فترة ذي دأون الثاني (كانون الثاني ؟) . وحيث أنه بمجيء الشعوب تم ترميم ما خرب من جسم السد (أو حائطه الامتدادي) ، الذي أقامه يعفر بسبأ والأقيال الذين كانوا بمعية الملك ونظرائهم (؟) » .

حقاً إن عبارة « بسبأ » التي تتقدم هنا « أقولن » (= الأقوال / الأقيال) تذكرنا بـ « أسبأنِ » (= الأسبوء) التي كانت تتقدم في الماضي الأقيال (J.562 & 629 مثلاً) ، ويقصد بها كما ذكرنا في دراسة أخرى البيوت أو الأبيات السبئية الثمانية أو المثامنة[١١] . ولكن ليس

(١١) بافقيه ، محمد عبد القادر : « الهمداني والمثامنة » بحث قدم في ندوة الذكرى الألفية لأبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني بجامعة صنعاء أكتوبر ١٩٨١ ، ونشر في (في العربية السعيدة) ، كأعلاه وقد درج بعض الباحثين منذ ذلك التاريخ على الحديث عن المثامنة دون إشارة إلى البحث المذكور ، ربما لعدم نشره ، مرددين الأفكار نفسها التي وردت فيه . وقد عدنا من جانبنا إلى الموضوع مرات وأصبحنا نميل الآن إلى أن المثامنة هم نفس (الأسبوء) (أسبأن) ، وإن (الأسبوء) هم أبيات ثمانية من قبيلة سبأ صاحبة مارب بالذات وهم بنو / أذواء : ثعلبان ، خليل ، سحر ، جدن ، صرواح ، مقار ، حزفر ، عثكلان . وإن ما جاء عن اقتسام المثامنة للملك فيه خلط بين دورين للمثامنة ـ دورهم في تنصيب الملك في =

هناك ما يحتم الربط بين أولئك الأسبوء - إذا صح الاستنتاج - وبين أبشمر نوف هذا ، الذي قد يكون شخصاً ذا شأن ولكنه لم يترك لنا ما نستدل به على انتمائه القبلي أو مكانته على سبيل المثال . لم يحرص على ذكر مرتبته فلا نعرف هل هو من مرتبة الأذواء / الأقيال[١٢] أم هو من مرتبة ما يوصف بـ (نظرهمو) (C.541,101) . وإذا كانت صيغة المونوجرامات في الخاتم ترجع به حتماً إلى فترة التبابعة إلا أن الربط بينه وبين عمليات الترميم المذكورة في (C.541) ، أو حتى (C.540) ليس هناك ما يحتمه .. وكل ما يمكن قوله هو أن هذا الشخص حرص على استخدام الصيغة في خاتمه لسبب نجهله[١٣] .

الخلاصة :

والخلاصة هي إن مجموعة المونوجرامات الثلاثة المترابطة في النقشين وفي الخاتم الذي استعنا به في النقاش إنما تشير أغلب الظن إلى اتحاد جناحي اليمن شرقه الحضرمي وغربه السبئي - الحميري اللذين تمَّ بهما انطلاق عهد التبابعة .

= سبأ على الأقل (قارن J.562) ودورهم أو دور بعضهم في الاستحواذ على مناطقهم والاستقلال بها بعد ذي نواس أو سيف بن ذي يزن ضمن استحواذ آخرين على أطرافهم وقيام ما تسميه بعض المصادر الإسلامية حكم الطوائف في اليمن قبل الإسلام .

(١٢) انظر بافقيه ، (الأقيال والأذواء ونظام الحكم في اليمن القديم) في هذا الكتاب .

(١٣) قارن بورود الرمز المذكور في بيستون CIAS 57.51/W7 n.10

ومعلوم أن نظام الحكم القديم في اليمن ذا الصبغة الفدرالية على أقل تقدير كان كلما اهتز بالصراعات الداخلية يعود في نهاية كل مطاف إلى الاستقرار بناء على صيغة تحالفية ودية تعقد بها مواثيق قائمة على الأيمان المتبادلة كما لاحظنا فيما تقدم .

مثل هذا تكرر خلال فترة حرب الثلاث مئة عام خاصة في منتصف القرن الثاني ولو بصفة عابرة أيام ذمار علي يهبر الأول وسعد شمس أسرع وابنه مرثد[(١٤)] ، ثم أيام شعر أوتر صاحب الخميسين السبئي والحميري (مثلاً J.633) ، ثم في عهد إلي شرح يحضب الثاني وأخيه يأزل بيّن كما يظهر من استسلام شمر يهحمد العابر لهما وقيام إلي شرح يحضب بقيادة خميس سبأ وحمير (الإرياني ٦٩) .

بل إن انتصار بني ذي ريدان النهائي قرب نهاية القرن الثالث قد تمّ بشيء من التراضي أومأت إليه مصادر الإخباريين[(١٥)] ، ودلّ عليه انتقال ياسر يهنعم وابنه شمر من ظفار إلى مارب لاستلام القصر سلحين سلمياً (الإرياني ١٤) .

وحين أضاف شمر يهرعش اسم (حضرموت ويمنة) إلى اللقب

(١٤) بافقيه : موجز تاريخ اليمن قبل الإسلام المتقدم ذكره فقرة ٤ ـ ٥ و ٦

(١٥) انظر بافقيه ، محمد عبد القادر : (الحارث الرائش ونسبه المختلف فيه) . في Melanges Linguistiques offerts à Maxime Rodinson Paris, 1985, P430 وفي دراسات يمنية (العدد ٢٠) ، ثم في هذا الكتاب .

الملكي ، مفتتحاً عهد التبابعة مطلع القرن الرابع قبل إتمام إخضاع حضرموت ، فإنما فعل ذلك بعد الاستيلاء على شبوة (J.662) ، ومن ثم القصر شقير . وهناك قرائن معينة تجعل من المحتمل أن ضمَّ شبوة قد تمَّ دون عنف .

إن الصيغة التي تمثلها المونوجرامات الثلاثة العائدة في تقديرنا إلى فترة التبابعة قامت على تجاهل سلحين القصر الملكي العتيق بمارب أو على اعتبار أن الرمز يشمل كلاًّ من سلحين وريدان ، أو يشمل ما يمثلانه معاً . ومعلوم - من ناحية أخرى - أن سلحين ظل قائماً أيام شمر يهرعش (مثلاً J.652) ، ولا نعرف شيئاً محدداً عن مصيره بعد ذلك سوى ورود اسمه في النقش (CIAS 95.11/W7 no.1) الذي يرجعه بيستون إلى الجزء الأخير من القرن الخامس الميلادي . ولكن ذلك التاريخ مسألة تقديرية قابلة للنقاش . أما شقير فهناك رأي يقول بتدميره في وقت من الأوقات غير محدد.(١٦) . على أنه مهما يكن من أمر القصرين بعد شمر يهرعش فإن ريدان ظل وحده ، معظم أيام التبابعة ، القصر الملكي الذي يمثل مركز السلطة الفعلية(١٧) . ولكن كل هذا لا يمنع من أن تحتفظ

---

(١٦) عن فكرة تدمير شقير النظر :

Breton, J-F, «Fonction et Historique du Monument» dans Raydan 4, 1981, «3. les destructions» P183-185

(١٧) أشير إلى الأسرة الحاكمة (التبابعة) في ظفار في نقش من منتصف القرن الخامس =

الصيغة التي تمثلها المونوجرامات الثلاثة بأهميتها كرمز لوحدة الشعوب الأساسية في الدولة .

وفي الأخير لا يفوتنا أن نلاحظ أن الصيغة إذا كانت تشير ، كما نعتقد نحن ، إلى الشعوب أو الكيانات الرئيسية في دولة التبابعة عاكسة الطبيعة الاتحادية لنظام الحكم في اليمن قديماً فهي إنما تتماشى في الوقت نفسه مع صيغة اللقب الملكي نفسه[١٨] الذي يعكس بدوره تلك الطبيعة للحكم .

عدن ٢٥ ذي القعدة ١٤٠٧ و ٢١ تموز ١٩٨٧ م .

= (R 50858) بعبارة « أبعل ريدان » أي أصحاب القصر ريدان التي عرفت من قبل في نقوش أتباع بني ذي ريدان .

(١٨) انظر بافقيه : (في العربية السعيدة) صنعاء ١٩٨٧ ، موضوع (اللقب الملكي الحميري) .

٦

اليزنيون والجدنيون

من القيالة إلى الملك

توطئة :

حتى اكتشاف نقوش ينبق (بافقيه ١٩٧٩)[☆] لم يكن يعرف عن اليزنيين (الأذواء فالملوك) شيء سوى ما كان من أمر ظهورهم بقوة أيام يوسف أسأر يثأر ، المشهور بذي نواس ، وما هو معروف من المصادر العربية عن مقاومتهم لحكم أبرهة وأسرته .

ثم حدث أن نشرت بيرن نص النقش الذي نسميه نحن (نقش عبدان الكبير) (بيرن ١٩٨١) دون تعليق عليه وتولينا نحن ذلك بإذن منها (بافقيه ١٩٨١ م) .

ولقد اكتفينا حينذاك بالشرح الإجمالي لعبارات النص وإبراز مضامينه دون الدخول في تحليل لغوي مفصل لمفرداته إلا ما كان له أثر بالغ على فهم مضمون من مثل : أرخ ، تَبكُّر ، هُتقفَ[١] .

(☆) انظر المراجع في آخر المقال .

(١) انظر مقالنا (عودة إلى نقش عبدان الكبير) في ريدان ٥ عدن ١٩٨٨

واقترحنا تصويبات أهمها تصويب قراءة (عمد قيسن) في النص كما نشرته بيرن والذي قلنا إنه (٠عبد قيسن) أي (عبد القيس) القبيلة المعروفة ، وهو ما أكدته قراءة جديدة في الموقع قام بها روبان وإن لم يشر إلى ما فعلناه (روبان ١٩٨٦ ، ص ١٨٣) . ولم يكن امتناعنا عن محاولة الشرح التفصيلي إلا مراعاة لما تواضع عليه علماء النقوش من ترك شرح النقش (أو ترجمته) لمكتشفه أو لمن عهد إليه بذلك . وكانت بيرن قد نصت في مقالها على أن حمود السقاف كان بصدد القيام بالترجمة .. ولكن الانتظار طال ..

وفي الأثناء طالعنا روبان (المرجع أعلاه) بإضافات وتحسينات في قراءة النص أدخلها نتيجة زيارة قام بها إلى الموقع ، وتتركز في :

- استكمال قراءة تاريخ النقش الذي ظهر أنه العام ٤٧٠ من التقويم الحميري (= ٣٥٥ م)[٢] .

- تقويم قراءة عبارة جاءت مضطربة ناقصة عند بيرن (انظر بافقيه ١٩٨١ ، ص ٣٨ ك) فأصبحت عنده « بسين على مو بأرن سجه بينن أرض نزر وأرض غسن » وشرحها بـ « بالسي على آبار سجا بين أراضي نزار وغسان » (روبان كأعلاه) .

---

(٢) في (بافقيه ١٩٨٠ هـ٣) قدرنا تاريخ النقش بـ (٤٠٠ + س) من التقويم الحميري وقلنا إنه يسبق نقشاً من عام ٤٩٢ ح .

إن أهم ما تكشف عنه نقش عبدان هو تحديد أرض نزار ، وهو ما أشرنا إليه من البداية ، ثم عدنا إليه بتفصيل أكثر فيما بعد (١٩٨٤) . ولم يكن أحد ، فيما نعلم ، قد تصدَّى لمحاولة تحديد أرض هذه المملكة التي تبلور حول ذكراها النسب النزاري عند الإخباريين والنسابة[٣] .

وتأتي قراءة روبان هذه لتجعل من السي ، وهو موضع ذكر في الشعر الجاهلي[٤] ، نقطة تلتقي عندها أو على جانبيها أراضي المملكتين ، ودارت فيها معركة مع عشائر تعد في صلب نزار (بافقيه ١٩٨٤ الفقرة عن أرض نزار و هـ ٢٠) .

وما زال الزميل روبان يواصل محاولات تحسين قراءة النص تحت مظلة البعثة الأثرية الفرنسية في حين يواصل السيد حمود السقاف - كما قيل لنا - محاولة الشرح . ولكن حبذا لو أن المركز للأبحاث الثقافية[☆] يتولى التنسيق بين المهتمين بالنقش ونقوش أخرى يعلم كما نعلم نحن أنها موجودة في شعاب وجبال منطقة الشرق التي كانت

(٣) انظر مقالنا : (الأنساب والسير اليمانية عناصرها ومصادرها) في ريدان ٥

(٤) السي : قال زهير بن أبي سلمى :

« أصك مصلم الأذنين أجنى   له بالسي تنوم وآء »

وانظر (السي) في معجم البلدان لياقوت الحموي .

(☆) المركز اليمني (بعدن) أصبح يسمى فرع الهيئة العامة للآثار والمخطوطات والمتاحف .

أوسان في يوم من الأيام أبرز الممالك فيها ، والتي ظلت طويلاً حلبة تنافس بين قتبان وحضرموت قبل أن تسيطر عليها هذه الأخيرة في فترة ملوك سبأ وذي ريدان ، والتي أصبحت عماد الأهمية التي اكتسبها اليزنيون تحت التبابعة ، والتي لجؤوا إليها حين حزبهم الأمر فاعتصموا بجبل كدور فيها فراراً من أبرهة (بافقيه ١٩٨٢ م ص٢) .

في هذه المنطقة وفي موقع اسمه هجر أم ذيبية بوادي ضرا اكتشف المواطنون مصادفة عام ١٩٨٥ م مقبرة قديمة تحوي قبورها كنوزاً رائعة ، فسارع المركز حين علم بالاكتشاف إلى القيام بحفريات إنقاذ شارك فيها السيد / ريمي أودوان ، عضو البعثة الأثرية الفرنسية ، الذي صادف الاكتشاف وجوده في البلاد في مهمة أخرى .

وأدت تلك الحفريات والترداد على نقش عبدان الكبير إلى العثور على عدد من النقوش الهامة في نفس الوادي (ضرا) الذي هو كصنوه عبدان من أودية المشرق ، والذي يبدو أنه كان فيه عدد من الأذوائيات الصغيرة التي شارك أذواؤها في معارك خاضتها حضرموت ضد الحميريين (نقش المعسال ٣ ، وبافقيه ـ روبان ١٩٨٠) .

ومن بين النقوش التي عثر عليها في ضرا نقشان سبق أن نشرا منذ عهد بعيد فأمكن تحديد موضعيهما بدقة أكثر من ذي قبل .

أحد هذين النقشين المنشورين هو النقش الموسوم (R.3856)

من مـوضـع اسمـه أم مرجلـة . وصـاحبـه شخص اسمـه غـالب ... بن دوسم بن قسم (بالسين الثانيـة) لم يقل إنـه قيل ولم يستخـدم علامـة الأذوائية المعتادة (ذو) مكتفيـاً ، لا ريب ، بـ (بن) التي تستخـدم في النسب كما في عربيتنا وتستخدم للـدلالـة على مرتبـة الإمـارة كما في (بن جدن) من الأسبوء / المثامنة و بن همـدان (من الأقيـال)[٥] . وكان بن قسم صاحب النقش تابعاً لملوك قتبان التي تدل نقوش أخرى على امتـداد سلطـانهم إلى ضراء ، ولكن قسم في نقـوش القرنين الثـاني والثـالث الميـلاديين تـأتي اسماً لقبيلـة (شعـب) تحـارب السبئيين إلى جـانب حضرموت وقتبـان (إريـاني ١٣ فقرة ٦) . وتوحي مؤشرات مختلفـة إلى أنهـا كانت تـابعـة لأذواء يلقب أصحـاب القصر يحضر في مـدينـة حلـزوم (قـارن بجـام ٦٢٩ ص ٢٤ ـ ٢٩) ونفهم من (نقش عبـدان الكبير) أن سلطـان ملشـان أريم وبنيـه كان يشمـل أذوائيـة يلقب هذه (بافقيه ١٩٨١ ، ص ٤٠ ، فقرة ٢) .

أمـا النقش الثـاني وهـو (R.4069) ، الـذي سنعـود إليـه عنـد الحديث عن بني لحيعة يرخم ، فنكتفي في شـأنـه بـالقول بـأن إعـادة اكتشـافـه صحبت معهـا اكتشـاف تـاريخـه وهـو عـام ٥٩٥ ح (= ٤٨٠ م) ، بخـلاف مـا قلنـاه من قبـل استنـاداً إلى لـونـدن

---

(٥) في (R.3856/5) يتحـدث بن قسم هـذا عن أتبـاعـه « الشعب ذي محرضـو ومشرقيتن » (قارن بما في جام ٦٢٩ س ٢٤ ـ ٢٩) .

(بافقيه ١٩٧٩ ص ٥) ، وقد ثبت الآن أنه يسبق نقشاً آخر بعام واحد ، أصحابه هم نفس أصحاب هذا النقش ، وقد اكتشفته البعثة الفرنسية في خرائب مدينة قديمة بالجوف تعرف اليوم باسم (حزمة أبو تور) (روبان ١٩٨٥ ص ١٨٥) . هذا ويسمى الموضع الذي خط فيه (R.4069) بقرن الأملح أو القرن الأملح .

بنو ملشان .. وبنو لحيعة يرخم :

كل هذا يعود بنا إلى نقطة قد تبدو عابرة في مقالنا الذي قدمنا به نقوش ينبق لأول مرة وذلك عندما لفتنا الأنظار إلى احتمال حدوث تغيير في السلالة اليزنية في وقت لم نستطع حينها تحديده بدقة (بافقيه ١٩٧٩ ص ٦) - تغيير جاء نتيجة ظهور أسرة جديدة هي أسرة لحيعة يرخم التي اتخذت إضافة جديدة إلى لقب السلالة اليزنية وهي (جدن) التي جاءت بعد (يزأن) مباشرة متقدمة على (يلغب) . وكانت مثل هذه الإضافة عندما ترى في لقب من ألقاب السلالات القيلية / الأذوائية تفسر بأنها وليدة اتحاد حدث بين سلالتين أو أسرتين ، وهوم تفسير له وجاهته وقد استخدمناه في بعض ما كتبنا .

ولعل أشهر الإضافات من هذا القبيل أو أكثرها استرعاء لانتباه الدارسين في الستينات هي إضافة (همدان) إلى (بتع) (C.2 مثلاً) ، إذا اعتمدنا ترتيب الاسمين ، أو (بتع) إلى (همدان) إذا

اعتمدنا حقيقة كون الذي اتخذ الإضافة يفترض أنـه من (بني همـدان) أقيال حاشد . فهل كان ما حدث نتيجة اتحـاد بين سلالتين أم أنـه كان شيئاً آخر ؟ الاحتمالات كثيرة ! ولكن إذا افترضنا أنه كان اتحـاداً فهل يمكن اعتبار الاتحاد قاعـدة تنطبق على الأحوال الأخرى ومـا أكثرهـا ـ ومنها حالة (يزأن وجدن) هنا ؟

علينا قبل أن نحاول الإجابة أن نتذكر أن نقوش المعسال ، التي لم تنشر كاملة إلى اليوم والتي كان من حظنا أن قمنا بالاشتراك مع الزميل روبان باستخراج نصوصها من الصور التي أخذتها البعثة الفرنسية لها ، كشفت حقيقـة لم تكن معروفـة من قبل وهي إمكان إحلال قيل محل قيل بتـدخل من الملوك ، تلـك الحقيقـة التي ألمـح الهمـداني إلى احتمال حدوثها وإن لم يـذكر دور الملوك في العمليـة صراحـة (انظر بـافقيـه ١٩٨٧/ب ص ١٢٨) .

كما أن تولي القيل قيالة مقولة لم تكن في الأصل تابعة لسلالته قـد يكون أمراً عابراً ، فهذا ما يحتمل أنه حدث أيـام إلي شرح يحضب حين تـولى نـوف بن همـدان قيـالـة غيمان إلى جـانب حـاشـد (جـام ٥٧٦ + ٥٧٧ س ٦ ـ ٧) ، إذ ربمـا كان ذلـك نتيجـة وقـوع هوف عثث أصحح الغيماني في أسر الأحباش الذين أوفد إليهم مفاوضـاً في مدينـة سواء كما يقول النقش (جـام ٥٨٥) . هـذا على افتراض أنـه

القيل الرئيسي لغيمان . على أن (نقش المعسال ٥) يقدم الدليل القاطع على هذه الحالة ففيه نرى قيلاً حميرياً يتقلب في عدد من المقولات أيام شمر يهحمد ، ثم كرب إل أيفع ، وأخيراً ياسر يهنعم .

(١)

بنو ملشان

ولنعد إلى ملشان وبه الأسرة الأخرى والأسبق والتي بدأت مسيرتها منطلقة من القصر (يزأن) بمدينة عبدان تحت ظل التبابعة في بدايات القرن الرابع الميلادي .

لدينا حتى الآن من النقوش الرئيسية لهذه الأسرة نقشان هما (نقش عبدان الكبير) المقابل تاريخه لعام ٣٥٥ م كما تقدم ، ونقش لأقيال من فرعين أحدهما هو بنو ملشان والآخر بنو نمران وهو النقش الموسوم (R.5085) والمؤرخ بعام ٥٦٠ ح (= ٤٥٥ م) أي بعد ٩٠ عاماً من كتابة النقش الأول وقبل ٣٥ عاماً من أقدم نقش معروف لبني لحيعة يرخم اليزنيين الجدنيين موضوع دراستنا في هذا المقال .

إن نقش عبدان الكبير خُطَّ بعد أحداث كثيرة تلت استيلاء الحميريين على شبوة (جام ٦٦٢ مثلاً) وإعلانهم ضم حضرموت الذي قام عليه نظام التباعة ـ أحداث عامة منها غزوات واسعة في كل

الأنحاء في السراة وأرض الأزد ومهرة وأرض نزار ، وأحداث خاصة تتعلق بحياة أبناء الأسرة وما يسمى بتبكُّر كل فرد من أفرادها الذكور عند بلوغه سناً معينة كما نعتقد ثم اكتمال تثقيفه أو تأهيله لتولي مسؤولياته القبلية عند بلوغه سنّاً أخرى كما نفهم من كلمة (هثقف) . وهي أحداث تتصل بحياة ثلاثة من الأجيال في الأسرة ، الأب وأبناؤه وأحد أحفاده على الأقل . وقد دار بعضها خلال عهدين على الأقل من عهود الملوك الذين حكموا بعد ذمار علي يهبر الذي استمرت المقاومة في وادي حضرموت إلى عهده (الإرياني ٣٢) .

يحدثنا نقش عبدان نفسه عن تعرض مدينة عبدان لغضب حضرموت ، وهذا لا يمكن تعليله إلا بانحيازها إلى حمير في إحدى المراحل من الصدام المتكرر بين حمير وحضرموت وذلك بعد أن كانت المدينة من قبل تابعة أو ممالئة لحضرموت .

ولما أنه في عهد أحد أواخر الملوك الحضارم كان (ذو يذأن) ، بالذال على الطريقة الحضرمية ، اسمه شاهر بن ربيعة (انظر أدناه) ، ولما أن نقش عبدان لا يذكر اسم والد ملشان فإننا نفترض ، لما تعودناه من النقوش ، أن يكون ملشان هذا طارئاً على أذوائية يزأن . فهل هو من أذواء يلغب أصحاب البيت / القصر يحضر في حلزوم ؟ أم هو طارئ على الأذوائيتين معاً ؟ الله وحده يعلم .

في نقشي شاهر بن ربيعة ذي يزأن المتشابهين (جام ٩٩٤ و ١٠٠٣) اللذين تركهما في العقلة بالقرب من شبوة لم يتجاوز المكتوب فيهما الاسم واللقب ، وليس لدينا من أي مصدر آخر قبل ذلك التاريخ ما يدلنا على مكان الأذوائية حتى جاء نقش عبدان الكبير نفسه ليقول لنا إنه ضمن إعادة بناء عبدان التي دمرها الحضارمة كان بناء (بيت يزأن) . وهذا يجعلنا نفسر اللقب بأنه قائم على النسبة إلى البيت / القصر تماماً كما هو الحال بشأن لقب بني ذي ريدان والقصر ريدان في ظفار الحميرية(٦) .

ومع ذلك فنحن لا نعرف متى بني ذلك القصر لأول مرة في عبدان ، فالإشارات النقشية إلى المدينة ، ومنها نقش من القرن الثالث أيام شعر أوتر السبئي (CIAS 39.11/03 No3) ، لا تذكر يزأن بأية صورة من الصور . نقول هذا مع علمنا بأن الحجة السلبية لا تغني شيئاً في وجه أية معضلة . على أن (ذا يزن) كان منذ القدم اسماً لمحفد بمدينة (ضيفتن) (R.2687) التي هي في ظننا مركز القبيلة (ضيفتن) (انظر بافقيه ١٩٨٧ ـ أ هامش ٢) .

إن كل ما يمكننا قوله بثقة هو أن ملشان هو أحد الأذواء

---

(٦) نقل جواد علي في المفصل ٥٩٧/٢ عن ابن دريد قوله أن يزن اسم موضع دون تحديد طبيعة الموضع وحدوده .

المشارقة الذين انحازوا إلى حمير ، أو أنه حميري جيء به ليتولى القيالة في عبدان تلك المدينة العريقة الاستراتيجية في الشرق ، وأنه في كل الأحوال طارئ على الأذوائية اليزنية بالذات . أما اتخاذه لقب القيل وهو ما يبدو أنه لم يكن معهوداً في النظام الحضرمي أو القتباني فأمر آخر (انظر بافقيه ١٩٨٧ ـ أ ص ١٤٤ ـ ١٤٥ وهامش ٣) .

وإذا افترضنا أن ثاران يهنعم الذي ورد ذكره في نقش عبدان الكبير هو ثأران يهنعم الذي شارك أباه الحكم عام ٤٤٣ ح (= ٣٢٩ م) وأنه والد ملكيكرب يهأمن والد أبي كرب أسعد التبع الكبير فإن هذا سيعني أن عهد أسرة ملشان في القيالة اليزنية واكب عهود هذه الأسرة من الملوك ربما من أيام ذمار علي يهبر (الثاني) . فالنقش الرئيسي الثاني لبني ملشان (R.5085) وتاريخه هو ٥٦٠ ح (= ٤٤٥ م) يقع في عهد شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد آخر التبابعة الكبار ، الذي عاش إلى ما وراء عام ٥٧٢ ح (= ٤٥٧ م) وأحداث (R.5085) تسبق ترميم شرحبيل للعرم سد مارب للمرة الأخيرة بخمسة أعوام .

ومن مقارنة لقب أسرة بني ملشان في النقشين المذكورين والشعوب (القبائل) التي ذكرت على أنها تابعة لهم نجد أنهم كانوا :

(أ) في عام ٣٥٥ م : أذواء يزأن ويلغب وكبران ، وتتبعهم قبيلتا ضيفتن ومشرقن[(٧)] .

(ب) في عـام ٤٤٥ م : أذواء يـزأن ويلغب وذي كبران وخسين وصدقين[(٨)] وذي يصبر وتتبعهم قبيلتا ضيفتن ورثحم .

ويحيرنا اختفـاء المشرق (مشرقن) في النقش الأخير خـاصـة مع الاحتفاظ بـ (يلغب) في اللقب ، فهل يعني ذلـك فقـدان المشرق ؟ ولكن كيف نفسر ظهوره في المرحلة التـاليـة (انظر أدنـاه) ؟ أغلب الظن أنه لا دلالة كبيرة لذلك[(٧)] .

ثم ماذا يعنيه انقسام السلالة إلى فرعين أحدهما يحمل الاسم القديم (بنو ملشـان) ، والآخر لـه اسم جـديـد هو (بنو نمران) ؟ ومن هو نمران ؟

المهم هو أننا إذا اعتبرنا أنه من الصعب تصور أقيال يزنيين بعيـداً عن (بيت يزأن) في عبدان فـإنـه يتعين علينـا القول بـأن الأسرة في وضعها ذاك كانت مسيطرة على رقعة تمتد ما بين عبدان وعماقين الـذي

(٧) يوصف الشعبان في بعض النقوش بشعب (بالمفرد) (بافقيه ١٩٨١ ص ٣٢ مثلاً) وقد يفسر هذا إسقاط مشرقن أحيـانـاً . وإلى هـذه المرحلـة ينبغي إرجـاع نقش (ينبـق ٣٨) الـذي نصـه هـو « بريـل ذو يـزأن ويلغب وكبران قيـل الشعبين (شعبنهن) رثحم وضيفتن ومشرقن » (باعتبارهما شعب واحد) .

(٨) لا يتكرر الاسمان في أي نقش آخر معروف ، ويحتمل أنهما ملحقان بكبران .

يصف النقش الأخير قيامهم بأعمال ري فيه والذي يحرصون على وصفه بأنه واديهم (سرهم) . وعبدان مع عماقين وجردان الذي يقع بينهما من أودية الشرق في المصادر الإسلامية كما بيَّنا في دراسة سابقة (١٩٧٩ ، ص ٥ ، وهامش ٤) .

كل هذا بالإضافة إلى أن زيادة (ذي يصبر) في اللقب و (رثحم) كشعب إن لم يدل على اتساع في النفوذ فلا يدل على تقلصه ، ولكن التغيير في حدِّ ذاته باعث على التأمل ويتطلب المزيد من الشواهد لفهمه كما ينبغي .

(٢)

اليزنيون الجدنيون بنو لحيعة يرخم

على أن التغيير الحقيقي هو الذي يحمل إلينا خبره النقش (R.4069) العائد إلى عام ٥٩٥ ح (= ٤٨٠ م) فالأقيال فيه هم :

شرحبيل يكل (I)
شراحيل يقبل
مرثد إلن أحصن
سميفع أشوع (I)

الذين يفترض أنهم أخوة أو في مصاف الأخوة فهم جميعاً يوصفون بأنهم بنو لحيعة يرخم .

و

لحيعة يرخم (II)

سميفع أشوع (II)

اللذين يقول النقش إنهما ابنا شرحبيل (يكمل) .

وهم أذواء :

يزأن

وجدن (إضافة جديدة)

ويلغب

ويصبر

وتتبعهم قبائل :

ضيفتن

ورثحم

ومهرة (إضافة جديدة)

وهم أيضاً كبراء أو كبار (كبور) سيبان (القبيلة العريقة الكبيرة المعروفة) . فما هو الجديد في الوضع ؟ إنه بلا شك :

- جدن بين ألقاب الأسرة .

- سيبان بين القبائل ، والحرص على تبيان كون العلاقة معها

تختلف عن العلاقة بين أولئك الأقيال والقبائل (الشعوب) الأخرى وهو ماسنعود إليه .

والنقش يؤكد أيضاً ارتباط يصبر (أو ذي يصبر) برثحم التي وردت لأول مرة في (R.5085) بين القبائل التابعة لليزنيين ، وهم غالباً سكان المدينة القديمة رثحم التي ذكرت بين أراضي ومدن سيبان وذكرت بعدها مباشرة عبدان (R.3945/9-10) .

ونحن نعرف أن اسم المكان في النقوش يطلق أحياناً على ساكنيه في (مشرقن) بالذات . ولكن المهم هنا هو أن نعرف هل ظلت العلاقة بين رثحم وسيبان قائمة عبر تلك القرون أم لا .

إن استمرار العلاقة ، إذا ثبت ، يعقد الأمور ، وذلك لأن رثحم ذكرت في (R.5035) دون سيبان . هذا ولم تذكر سيبان في أحداث المشرق اللاحقة حين شارك أهله في حروب حضرموت مع حمير . ولكن ذكر منها ، بعد ذلك بوقت قصير نسبياً ، بعض زعمائها إلى جانب زعماء قبائل حضرمية أخرى في سياق أخبار إحدى الحملات الحميرية على السرير[٩] (الإرياني ٣٢) .

(٩) السرير اسم يطلق إلى عصرنا هذا على مقطع من وادي حضرموت شرقي الكسر وغربي المسيلة وفيه تقع مدينة شبام الحضرمية التاريخية ، وقد يُحَوَّر في أفواه الناس وبعض النصوص خاصة الشعر الحميني إلى « السليل » .

فلننظر إلى مسألة سيبـان من زاويـة أخرى هي زاويـة العلاقـة التي نراها هنا بينهم وبين الجدنيين ، فمنذ ظهور اسم (جدن) في لقب اليزنيين وحتى آخر نقش معروف لهم ظـل اليزنيـون الجـدنيـون كبراء سيبان ، فكيف ترى نشأت تلك العلاقة ؟

هنـاك طريقـان محتملان للوصول إلى الجـواب المنشـود : طريـق وعر قـديم هـو طريـق العـلاقـة المحتملـة قـديمـاً بين سيبـــان وعبـــدان (R.3945) والعلاقة بين عبدان واليزنيين .

ولكن عـدم ذكر سيبـان (صراحـة على الأقـل) في نقـوش أسرة ملشـان ، التي دامت في المقـولـة مـا قـد ينـاهـز القرن ونصف القرن ، وذكرهـا في نقـوش اليزنيين الجـدنيين بني لحيعـة يرخم بـانتظـــام حتى النهاية يرغمنا على الالتفات نحو الزاوية الجدنية .

وأول مـا ينبغي تقريره من هـذه الـزاويـة هـو أنـه ليس هنـاك ما يمنع أن توكل إلى سلالة من طبقة الأقيال / الأذواء إمـارة قبيلـة في موضع يبعد عن مواطنها الأصلية . فلدينا حالة بني سخيم أقيـال يرسم أحد أثلاث سمعي أصحـاب شبـام الغراس الـذين كانوا يكلفون ، منـذ منتصف القرن الثاني (جام ٦٠١) بـالتعـامل مع خولان الأجـدود في أنحاء صعدة لتمردها والـذين انتهى بهم الأمر ، تحت التبـابعـة ، إلى أن أصبحوا أقيالاً لخولان هذه (جـام ٦٧٠) ممـا جرَّ انتقـال يرسم بقضهـا

وقضيضها إلى أنحاء صعدة حتى أصبحت في نظر النساب من خولان . ولقد تولى الجدنيون ، قادة جيش الأعراب الحميري من مركزه في نشق ، مسؤولية القضاء على المقاومة الحضرمية لحكم التبابعة عندما انتقلت إلى وادي حضرموت . أفلا يجوز أن يكون ذلك قد أدى إلى نشوء علاقة خاصة لهم بسيبان ؟ (انظر « جدن » في نسب حضرموت عند الهمداني في الإكليل ٣٢٧/٢ـ٣٣٠) .

إن الجدنيين كما قلنا مراراً في دراسات متعددة هم من الأسبوء / المثامنة كبار عشائر قبيلة سبأ مارب[١٠] الذين وإن كانوا من طبقة مساوية للأقيال / الأذواء بل وكانوا يتقدمون عليهم في بعض المراحل على الأقل (جام ٥٦٢ مثلاً) إلا أنه لم تكن لهم مقولات / أذوائيات كالأقيال والأذواء الذين هم في الأساس رؤساء شعوب (قبائل) لها كيانها المستقل في تاريخ سابق ولها أراضيها المحددة . ولكن ذلك لم يكن ليمنع ـ في ظننا ـ أن يتولى أحد الأسبوء مقولة خاصة في ظروف استثنائية ، بل إن بني ذي كبير أقيان أقيال بكيل في ربع شبام (كوكبان) ربما كانوا في الأصل من كبار عشائر سبأ قبل انتقالهم إلى ذلك الموقع الذي وطن فيه سبئيون . على أن غالبية الأسبوء كانوا

---

(١٠) جاءت في (R.3945) عبارة (معشرة سبأ) التي يمكن أن تقرأ (معاشرة) ويفهم منها أن العشائر أو البطون السبئية عشرة ولكن هذا يحتاج إلى مزيد من القرائن .

أصحـــاب ممتلكات في مـــارب وفي الأراضي السبئيـــة الأخرى أو التي انتزعها السبئيون لأنفسهم (قارن بـ R.3945) ، وخاصـة بعض مـدن الجوف كنشق ونشان . وممن ذكر بتلـك الصورة بنو مقـار المعـدودون في المثامنة (بافقيه ١٩٨٣ـأ 1.V.2) . ولا بـد أن وجود قيـادة سعـد تالب يتلف الجدني كبير الأعراب بنشق ، في مطلع القرن الرابع ، إنما جاء نتيجة وجود أملاك له في تلك المدينـة وربما في غيرهـا من مـدن الجوف السبئية الأخرى .

وقد يكون من بين تلـك المـدن مـدينـة قـديمـة اسمهـا (منهيتم) اكتشفهتهـا البعثـة الفرنسيـة في مـوقـع يعرف اليـوم بحـزمـة أبي ثـور (روبـان ١٩٨٥ ص ١٨٤) ، ففـي مـوقـع تلـك المـدينـة وبين بقـايـا خرائبها عثر على نقش تاريخه هو ٥٥٦ ح (= ٤٨١ م) ، يتأخر عامـاً واحداً عن (R.4069) ، وأصحابه هم نفس الأقيال في ذلك النقش مع فـارق هـام هو أن الأخوة الكبـار يـوصفـون فيـه بـأنهم (بنـو لحيعـة يرخم) ، وفـــارق آخر تفصيلي هـــو أن صغـــار الأسرة وهم لحيعـــة يرخم (II) وسميفع أشوع (II) يوصفون بـأنهم (بنـوهم) وليس (بنـو شرحبيل) بـالتحـديـد كما جـاء في النقش الأسبـق ، وهـو أسلـوب في التعبير معروف لا ينبغي أن نتوقف عنده طويلاً .

أما اللقب فهو أذواء :

يزان

جدن

يصبر (؟)[١١] .

والشعوب تأتي بترتيب مختلف بعض الشيء وفيها زيادة ، فهي :

رثحم

ضيفتن

سأكلن } جديدتان

ركبن = الركب

ثم يقولون إنهم :

كبراء (كبور) شعبهم سيبان كما في (R.4069) .

فهل يعني ذلك حدوث تغيير خلال عام واحد ؟

والإجابة بلا وبنعم واردتان .

فإذا قلنا (نعم) فإن ذلك سيعني أن (R.4069) كتب في

---

(١١) تآكل الاسم في النقش بعوامل التعرية ولكننا نرجح أنه (يصبر) التي تتماشى مع (رثحم) التي قدمت على ضيفتن . ولعل إسقاط (يلغب) كان من باب الاختصار اكتفاء بيزأن ، وكذلك اختفاء (كبران) التي لم تعد إلى الظهور في النقوش اللاحقة المعروفة .

مرحلة انتقالية من تاريخ السلالة الطارئة على البيت / القصر يزأن .

وإذا قلنا (لا) فذلك سيعني أنهم عمدوا إلى الاختصار في ذلك النقش وفصلوا هنا .

ولكن الحقيقة رهن باكتشاف المزيد من الأدلة والقرائن . وحتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود في هذه المسألة علينا أن نلاحظ المهم ؛ وهو أن الأقيال حرصوا على ذكر انتمائهم إلى (لحيعة يرخم) وأنهم يقدمون هنا رثحم على ضيفتن . وإذا كانت المعطيات لا تساعد على تفسير قاطع لتقديم رثحم فإن ذكر (لحيعة يرخم) هنا وعدم ذكره هناك قد يكون مرجعه أننا هنا في أرضٍ هم سادتها من الأساس ، أو على الأقل أننا هنا في الأرض التي تتبع (لحيعة يرخم) الذي سبق أن ألمحنا في دراسة سابقة إلى أنه قد يكون من جدن ، وبنو / أذواء جدن هم من سبأ والمدينة (منهيتم) سبئية عبر التاريخ .

ولا ينبغي أن يشغلنا تقدم نقش ضرا (R.4069) على نقش حزمة أبي ثور فيخامرنا شك في عراقة وجود هذه الأسرة في الجوف . وإذا كان علينا أن ننشغل بشيء فهو كيف آلت المقولة اليزنية بالذات إلى بني لحيعة يرخم . وهل كل من ذكروا في النقشين كأخوه لأب واحد ؟ وهل لحيعة هو الأب المباشر ؟ إن ما يدعونا إلى هذا التساؤل

ماجاء في نقش عبارته غريبة وقد تعرضنا له من قبل وهو (J.1030) (بافقيه ١٩٧٩ ص ٦) الذي يقول :

تميم / ذو حذية
مقتوى / بنيهن
لحيعة / يرخم
ذو جد [ن /] وذو يزأن
وتف / لقيب / ذو يزأن

فسواء كان لحيعة هنا هو (I) أو (II) أو حتى (III) (انظر الشجرة آخر المقال) فالسؤال هو هل المراد من (ذو جدن) و (ذو يزأن) مجرد إيراد اللقب بصيغة مختلفة ، أم أريد به التأكيد على أن السلالة مركبة من فرعين لكل منهما استقلاله يجمعهما من هم بمثابة الأبناء إليه ، وتكون البنوة في هذه الحالة من الصلب بالنسبة إلى أحدهما ومن خلال البنات بالنسبة إلى الآخر مثلاً .

إن الجواب القاطع يتوقف على معرفة تاريخ النقش وهوية لحيعة ومناسبة وجوده أو وجود مقتوية في المنطقة التي كتب فيها النقش . على أن ملاحظة أخرى لا تخلو من دلالة لا ينبغي أن تفوتنا وهي تقدم اسم (جدن) في النقش ذاته على (يزأن) ، وهو مالم يحدث في نقش آخر معروف ، واقتصار نقش آخر (للشخص نفسه

غالباً) على وصف لحيعة يرخم بذي جدن (Ry 513 & 514) دون إضافة (يزأن) .

ألا يكفي كل هذا ليجعلنا نتصور أن التغيير الذي حدث مهما كانت طبيعته وأبعاده إنما كانت اليد الطولى فيه لبني / أذواء جدن ؟

إن ما نحاول الوصول إليه في هذه المعالجة هو البداية الحقيقية لمسيرة الأسرة اليزنية التي وصلت إلى العرش الحميري ، والتي يعود إليها الملك الشهير الذي تسميه معظم المصادر الإسلامية سيف ، ويسميه بعضها كالمسعودي على الأقل (بافقيه ١٩٨٣ ب = ١٩٨٧ جـ ص ٨٣) معد يكرب ، ثم تتبع تطورها من هناك .

ونعتقد أن ما استعرضناه حتى الآن كاف للدلالة على أن البداية تأتي زمنياً في وقت بين النقشين (R.5085) و (R.4069) ، فقبل ذلك كانت الأسرة أو السلالة اليزنية (أي التي تحمل لقب ذي يزن) هي أسرة ملشان أو بني ملشان (نقش عبدان الكبير) التي جاء بها التبابعة إلى البيت يزأن في عبدان في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي . أما الأسرة اليزنية الملكية المتأخرة فهي من (بني لحيعة يرخم) الجدني الأصل .

أما إذا انتقلنا إلى ملابسات هذا التغيير فنجد أنه حدث أغلب الظن بعد عهد شرحبيل يعفر ، وربما في عهد شرحبيل ينكف

بـــالـــذات ، وهــو ملـــك لا نعرف عنـــه مـــا يشفي غليــلاً (G.537 & 4969)[١٢] ، وقبـل عـام ٥٩٥ ح (= ٤٨٠) ، وإن أرض قبيلـة سـأكلن ، التي تعرف اليـوم بظفـار من سلطنـة عمـان في أقصى الشرق ، وبلاد قبيلـة الركب في أقصى الغرب كانتـا تـابعتين لأولئـك الأقيال ، وكذلك ميناء قنا الحضرمي العريق ضمناً ، أي معظم الثغور الكبرى إن لم يكن كلها إذ لا ذكر لعدن في النقوش من هذه المرحلة .

وأن يكون للجدنيين ، أو حتى لليزنيين من أسرة ملشـان قبلهم ، نفوذ في (سأكلن) فليس بالأمر الـذي يصعب فهمـه وتبريره في ضوء مـا نعرفـه من تـاريخ الأسرتين . ولكن امتـداد النفوذ إلى بلاد الركب هو مدعاة التساؤل . فإن كان ذلك إقطاعاً قديماً من التابعة للجدنيين فما علينا إلا انتظـار المزيـد من القرائن النقشيـة وغيرهـا عليـه ، وإلا فالبديل هو حدوث تغيير قد يكون مقـدمـة للأحـداث التي جرت في تلك البقعة خلال القرن السادس[١٣] .

---

(١٢) ذكر شرحبيـل ينكف في وثيقـة مسيحيـة حبشيـة اتهمتـه بقتـل مبشر في نجران (انظر بيستون ص ٢٧٢) وهذا الخبر إذا صح فله دلالات تصعب الإحـاطـة بهـا هنا .

(١٣) إن اسم (لحيعـة يرخم) الـذي يبـدو أنـه اسم مـؤسس الأسرة وهـو اسم تكرر مـا لا يقل عن مرتين في أجيـال بعـده يـذكرنـا بلحيعـة ذي شنـاتر الـذي تتهمـه المصـادر الإسلاميـة بـاغتصـاب الحكم قبل ذي نواس . وهـذا قـد يعني خلطـاً من الإخباريين بين أحداث حقيقية .

ومن الأمـور المحيرة أيضـاً أن اسم (مهرة) الـذي ورد في (R.4069) سقـط في نقش (حزمـة أبي ثور) ، فهل هو نتيجـة سهو أو انتقـاء وشبيـه بإسقـاط يلغب في اللقب ومشرقن في الشعوب . أم هل يدل ذلك على تمرد جـديـد وخروج لمهرة التي سجلت لهـا النقوش حركات تمرد (نقش عبـدان الكبير س ٢١ ـ ٢٤ وبـافقيـه ١٩٨١ ص ٣٦ جـ) واشتراك في ثورات سابقة (المعسال ٤) .

إن الفترة بعـد شرحبيل يعفر شـديـدة الغمـوض كما لاحظنـا من قبل (بافقيه ١٩٧٣ ص ١٥٤) ، وفيهـا على مـا يبـدو أخـذت أعراض الشيخوخة تظهر على دولـة التبـابعـة التي شـارفت حينهـا القرنين من عمرهـا . وهنـاك من يرى من المحتمـل أن الصراعـات العقيـديـة التي صاحبها تكالب على السلطـة في الـداخل وتـدخل رومـاني ـ أكسومي من الخارج قد بدأت في وقت مبكر نسبياً .

بنو لحيعة يرخم في حالة تعبئة (!) :

والثـابت ، على أي حـال ، هـو أنـه بعـد مضي ثـلاثـة عقـود من السنين نجد أنفسنا وجهـاً لوجـه مع سميفع أشوع (I) أصغر الأخوة بني لحيعـة يرخم (I) وهو يقوم بجولـة في السـاحـل الحضرمي يبلـغ فيهـا مـدينـة الأسعى (الأسعـاء = الشحر حـاليـاً) وهي مينـاء آخر لـه أهميته ، ويترك في طريق عودتـه عنـد توقفـه بوادي عمـاقين نقشـاً في

شعب صغير اسمه ينبق (بافقيه - روبان ١٩٧٩ ينبق ٤٧) نلمس فيه ، كما قلنا من قبل ، استحواذ اليزنيين - الجدنيين على كل ما كانت تمثله دولة حضرموت القديمة التي أصبحت منذ قرنين قبل ذلك بمثابة الجناح الشرقي لدولة التبابعة (بافقيه ١٩٧٩ ص ٦) .

وكان يرافق سميفع في مهمته تلك من أبناء الأسرة كل من :

١ - معديكرب يجد :

الذي لم يسبق له ذكر في النقوش المعروفة والذي يبدو من ترتيب الأسماء كما لو أنه أخ أصغر لسميفع وإن لم يذكر من قبل[١٤] . ولدينا من متحف المكلا نقش (م ١٥٧) ناقص ورد فيه هذا الاسم كما ذكرت فيه بساين (بالسين الثانية) المذكورة لأول مرة في هذا النقش بين عناصر اللقب . ولكن ذكر (ذمنكرم) في سياق مبتور ، في السطر الذي يسبق السطر الذي ذكرت فيه بساين ، يتلو ذلك عبارة أقول ومـ [حرج ؟] يعقد الأمور إذ لم تذكر (ذمنكرم) في ألقاب اليزنيين .

---

(١٤) نتوقع أن يتأخر ذكر صغار أبناء الأقيال في وثائق الأسرة حتى بلوغهم سن (التبكُّر) (بافقيه ١٩٨١ م ص ٣١) أو (التثقيف) (انظر : بافقيه : عودة إلى نقش عبدان الكبير) في ريدان ٥ عدن ١٩٨٩

٢ ـ لحيعة يرخم (II) ابن شرحبيل يكمل (II) .

٣ ـ شرحبيل يكمل (II) ابن لحيعة يرخم (II) .

والكل ـ كما يقول النقش ـ بنو لحيعة يرخم (I) .

ويحرص سميفع ومن معه على إيراد قائمة نخالها كاملة للأذوائيات (المناطق) التي تتبعهم وأهاليها ، فمن حيث اللقب فقد أصبحوا أذواء :

يزأن
وجدن
وبساين (بالسين الثانية) .
ويلغب
وغيمان (هل هي غيمان جنوب صنعاء ؟) .
ويصبر
وميفع (على مصب وادي حجر إلى الشرق من قنا) .
وجردان (من أودية المشرق تقدمت الإشارة إليه) .
ورخيه (من الأودية الفرعية لوادي حضرموت في الغرب) .

ومن حيث القبائل التابعة لهم فهي :

ضيفتن

ورثحم

وسأكلن

وسكرد (بالسين الثانية = سقطرى)[١٥] .

ومطلفتن

وهم « قبض (قباض ؟) قارن بـ (Ry510) وكبور (كبار) شعبهم سيبان وحضرموت وقنا وأمر .. » والاسم الأخير ناقص . وهذا قد يعني أن كبارتهم امتدت إلى حضرموت القبيلة التي يرأسها عادة كبير (انظر C.541 مثلاً) .

ولكن اختفاء اسم الركب في هذا النقش مسألة مثيرة للتساؤل إذ نراه من المستبعد أن يكون ناتجاً عن سهو أو رغبة في اختصار . فهل خرجت الركب عن دائرة نفوذ الأسرة .

إن الإجابة على هذا السؤال مرتبطة بمعرفة الأوضاع العامة في المرحلة التي خط فيها وهي مرحلة يكتنفها غموض شديد بسبب قلة النقوش التي تعود إليها . ومع ذلك فالنقش (ينبق ٤٧) إن لم يعد إلى عهد يكرب يعفر آخر التبابعة المعروفين فهو غير بعيد منه ، إذ لدينا من عهد ذلك الملك نقش تاريخه ٦٣١ ح (= ٥١٦ م) ، يتأخر ستة أعوام تقريباً عن نقشنا هذا ، وفيه نرى معديكرب يقوم في

(١٥) هذا ماذهب إليه فالتر مولر وحبذه آخرون (مولر ١٩٧٨) .

حشد أتباعه بالتجول في المناطق الشمالية ويبلغ مأسل الجمح . وهو عمل قد يوحي باستقرار الأحوال لولا أننا نعلم من مصادر أخرى أن معديكرب ربما كان يعاني من ضائقة مالية وأنه ربما كان واقعاً تحت تأثير المسيحيين في نجران (بافقيه ١٩٨٣ ب = ١٩٨٧ ج ص ٩٦)[١٦] .

ومن ناحية أخرى فإن النقوش المعروفة لأسرة لحيعة يرخم اليزنية ـ الجدنية عودتنا على عدم الإشارة إلى الملك الحاكم بحيث أننا لا نستطيع معرفة موقفهم من السلطة المركزية . وهكذا فإن غاية ما يمكن قوله عن الصورة التي يرسمها هذا النقش (ينبق ٤٧) هو أن نفوذ بني لحيعة يرخم (I) قد اتسع اتساعاً كبيراً وإن ذلك كان بصورة من الصور وراء مواقفهم اللاحقة .

بنو شرحبيل يكمل (I) وثورة ذي نواس :

يروي لنا (جام ١٠٢٨) أحداثاً عاصفة تعود بدايتها إلى عام ٦٣٢ ح (= ٥١٨ م) تقريباً أو إلى ثلاثة عشر شهراً قبل تاريخه (بافقيه ١٩٧٣ ص ١٥٤ ـ ١٥٧) ـ أحداث هي أشبه بالثورة يقودها

---

(١٦) المتبادر المسيحية التي تحدثت عن التدخل الأكسومي في اليمن في القرن السادس فيها تداخل وغموض وقد توصل بيستون من مناقشتها إلى احتمال قيام حملتين أكسوميتين على اليمن وتولي ملك حميري مسيحي قد يكون أسبق من سميفع أشوع (انظر بيستون ١٩٨٤ ص ١٧٤ ـ ٢٧٦) .

ملك جديد اسمه يوسف أسأر يثأر يعتنق اليهودية وينكل بالمسيحيين في ظفار وبلاد الركب ويحاصر نجران ، واليزنيون من سلالة لحيعة يرخم هم أركان حربه وقادة جيوشه ، ولكنهم كلهم من الجيل الثاني والثالث ، فهم في النقش :

لحيعة يرخم (II) .
سميفع أشوع (II) .
شراحيل أشوع (يذكر لأول مرة) . بنو شرحبيل يكمل (I) .
شرحبيل أسعد (يذكر لأول مرة) . (ابن لحيعة يرخم I) .

شرحبيل يكمل (II) . هعان أسار (لأول مرة)	بنو لحيعة (يرخم II) .

لحيعة يرخم (III) بن سميفع (أشوع II ؟) .
مرثد إلن يمجد بن شراحيل (أشوع ؟) .

وقد ذكر صغار الأسرة بمناسبة الدعاء لهم لا غير .

وتذكر نقوش أخرى من الفترة ذاتها قيلاً اسمه شراحيل يقبل (Ry 508 وجام ١٠٣١) هو ابن شرحبيل يكملْ (II) لعله هو نفسه صاحب النقش (جام ١٠٢٨) حيث جاء اسمه (شراحيل ذو يزأن) . وهو فيما يبدو أصغر سناً من لحيعة يرخم (II) وسميفع أشوع

(II) إذ لم يـذكر في (R.4069) أو (ينبـق ٤٧) ، ولعلـه كان خـلال ثورة يوسف أسأر في سن أهلته من القيام بالأدوار التي تحدث عنها في نقوشه (انظر أيضاً معالجتنا المستقلة له في شجرة النسب) .

سميفع أشوع (II) (؟) على عتبة العرش :

وهكذا عندما نأتي إلى نقش حصن الغراب (C.621) وتاريخه هو ٦٤٠ ح (= ٥٢٥ م) ، أي بعد ثمان سنوات من (جام ١٠٢٨) ، فإنا نجد أن الوضع قد اختلف تماماً عما كان عليه ، بل إنه لا ذكر للأخوة بني شرحبيل يكمل قادة ذي نواس وأنصاره اللهم إلا أن يكون سميفع أشوع صاحب النقش الرئيسي هو سميفع الثاني ، أما الآخران (لأنهم ثلاثة) فهما :

شرحبيل يكمل (III/II ؟) .
معد يكرب يعفر .

وقد جاء بعد الأسماء عبارة « بني لحيعة يرخم » (انظر أدناه) .

وقد حفروا نقشهم على صخرة ماوية المحصنة على أثر عودتهم من أرض الحبشة ومع اجتياح جحافل الأحباش أرض حمير وقتلها للملك الحميري (الذي لا يذكر النقش اسمه) وأقياله الحميريين والأرحبيين كما يقول النقش ذاته . وحرصوا ـ كعادتهم خاصة في (ينبق ٤٧) ـ على

إيراد كشف تفصيلي بالمناطق التي تتبعهم[١٧] ، فهم أذواء :

الكلاع

وذي يزن

وجدن

ومثلن

وشرفن (الشرف : انظر الصفة) .

و يثعن

و يسرم

و يرس (بالسين الثانية) .

ومكربم

وعقهت

وبساين (بالسين الثانية) .

و يلغب

وغيمان

و يصبر

وجبحم

(١٧) في اعتقادنا أن الحرص على ذكر المقاطعات والقبائل بالتفصيل في الحالتين دليل إظهار تحشد في مواجهة أحداث متوقعة .

وجدوين

والكسر (بوادي حضرموت) .

ورخية

وجردان

وقبلن

وشرجي

وبني ملحم

أما قبائلهم فهي :

وحاظة
ألهان } المرتبطة بالكلاع
السلف

ضيفتن
رثحم } القديمتان

الركب (المستعادة أغلب الظن) .

مطلفتن (وردت في ينبق ٤٧) .

سأكلن

سكرد

وهم أيضاً كبار ومحارج سيبان ذي نسف[١٨] .

هذا هو إذن سميفع أشوع الذي قلب ظهر المجن لـذي نواس بعـد أن كانت أسرته عماد حركـة ذلـك الملـك الـذي ذهب البعض إلى أنـه نفســه من اليزنيين[١٩] .. فمن هو سميفع هـذا ؟ هل هـو سميفـع الثـاني الذي ورد ذكره في النقوش ابتداء من عـام ٤٨٠ م (R.4069) ونقش حزمة أبي ثور و (جام ١٠٢٨) وإن لم يذكر في (ينبق ٤٧) ؟

إذا كان هذا هو ذلك الشخص فإن عمره في عـام ٥٢٥ م يكون في أنحاء الستين (٤٥ سنة الفـارق بين R4069 و C621 + عمره حين ذكر لأول مرة في آخر القائمة) .

ليس لدينـا في نقوش الأسرة شخص آخر بهـذا الاسم سوى سميفع أشوع (I) بن لحيعة يرخم (I) أصغر أخوتـه في (R4069) والـذي ذكر في (ينبق ٤٧) كما نرجح ، وقـد قـال النقش عنـه وعن الآخرين أنهم بنــو لحيعــة يرخم . ورأينـــا كيف أن سميفـــع (II) الـــذي ذكر في

---

(١٨) « نسف » هو لقب أو نعت للقبيلة على سبيل التبـاهي أو نسبـة إلى مكان . وإذا كان لقباً فقد ذكر لأن الشعب مذكر .

(١٩) هذا هو رأي عرفان شهيد الذي أشرنا إليـه في (بـافقيـه ١٩٨٣ ب = جـ ص٩٥) وهو رأي قابل للنقاش . والمصادر العربية الإسلامية توحي بأن اسم يوسف اتخذه هذا الملك عند تهوده . وهناك مصادر ترجع بأصله إلى الحيرة .

(جام ١٠٢٨) جاء في الترتيب بعد لحيعة يرخم (II) وقال النقش عنهما وعن أخوين لهما إنهم أبناء شرحبيل يكمل (I) .

أما في هذا النقش (C621) فقد جاءت بعد الأسماء عبارة (بني لحيعة يرخم) ، فهل قصد بذلك (أ) لحيعة يرخم (II) الأخ الأكبر لسميفع (II) فتكون تلك النسبة مقتصرة على شرحبيل يكمل (II) ومعد يكرب يعفر ، أم قصد بذلك (بْ) لحيعة يرخم (III) بن سميفع أشوع (II) نفسه ، فيكون شرحبيل يكمل هنا هو الثالث بالاسم واللقب وأخ أكبر لمعد يكرب والاثنان حفيدان لسميفع ، ومن ثم فوصفهما بأنهما (بنيهو) في الحالتين مقبول . أم أن سميفع صاحب النقش الرئيسي أراد أن يعود بنا إلى مؤسس السلالة لحيعة يرخم (I) الذي هو بمثابة أب للأسرة كلها ؟

إن نقش أبرهة (C.541) يذكر قيلاً اسمه معد يكرب يقول إنه ابن سميفع وهذا لا ينطبق على معد يكرب يجد (ينبق ٤٧) لأنه يتقدم على لحيعة يرخم (II) ، ولا بد أن المقصود هو معد يكرب يعفر الذي يحتمل أن يكون ابناً لسميفع (II) أو لأخيه لحيعة يرخم (II) الذي نعرف له ولداً باسم شرحبيل يكمل (II) .

إن ما يهمنا هنا هو هوية سميفع هذا ، الذي خذل ذا نواس

والذي اعتلى العرش بعد ذلك كما يقول بروكوبيوس والـذي يعود إليـه نقش مثلوم (Ist.7608 bis) يظهر منـه أنـه اعتنق المسيحيـة ، هل هـو سميفع أشوع (I) أم هو سميفع أشوع (II) ؟

حقـاً إنـه لا يستبعـد أن يكون سميفع أشـوع (I) من سن سميفـع أشـوع (II) ، ابن أخيـه ، أو أن الفـارق بينهما في السن لا يـذكر (R.4069) ، ولكن عدم ذكره في (جام ١٠٢٨) يجعل من المحتمل أنـه كان قد اختفى في ذلك التاريخ .

وهكذا يبقى سميفع أشوع (II) مرشحاً وحيداً (راجع ما تقـدم) فهو :

- قد شهد دخول بني لحيعة يرخم على المقولة اليزنية .
- وخاض معارك يوسف أسأر .
- وكان مع أخيه الأكبر لحيعة يرخم (II) وآخرين بجـانب الملـك وهـو يرابـط حـول بـاب المنـدب تـوجسـاً من قـدوم الأحبـاش (جام ١٠٢٨) .

وهـا هـوذا بعـد ثمـان سنـوات يـدير دفـة سفينتـه إلى الاتجـاه المعاكس .

فما هي الأحداث التي قادت إلى هذا التحول الكبير والخطير في « أمور الدنيا والدين » فجعلت سميفع يتحول إلى النصرانية ويقبل بعرش في حماية ملوك الحبشة ؟ عرش لم يلبث أن انتزعه منه أبرهة القائد العسكري في الجيش الحبشي بدعم من أقيال يمنيين (بافقيه ١٩٨٣ م ب = ١٩٨٧ م جـ ص ٩٩ - ١٠٢) ؟

لا مجال هنا للخوض في هذه القضايا الشائكة التي لم يتفق عليها الدارسون على كثرة ما اقترحوه كأجوبة وحلول ، وذلك بسبب من شح الوثائق النقشية وتضارب ، بل وتحيز في المصادر المسيحية ، وخلط ، إن لم يكن تخليط ، في المصادر العربية التي كتبت بعد حين في الإسلام .

ثم أن ما ندبنا أنفسنا لمعالجته في هذه العجالة إنما هو الطريق الذي سلكه بنو لحيعة يرخم اليزنيون الجدنيون ، بل والكلاعيون آخر الأمر[٢٠] ، منذ أن وضعوا أقدامهم في القصر يزأن في عبدان حتى بلوغ أحدهم العرش الحميري ليصبحوا بذلك آخر الأسر اليمنية الحاكمة لليمن

(٢٠) لاحظ تقدم (الكلاع) في اللقب في (C.621) وانظر (بافقيه : ١٩٨٣ ب = ١٩٨٧ م جـ ص ٩٨) .

موحـداً أو شبـه موحـد قبـل الإسـلام ، فهـل وفقنـا أم ترى أن نقشـاً جديداً يكتشف أو خبراً مطوياً في صحف لم تنشر بعـد يظهر فيطرح علينا أسئلة جديدة ؟

هكذا عودنا علم النقوش .

صنعاء : ٢٤ رجب ١٤٠٨ هـ و ١٢ آذار (مارس) ١٩٨٨ م .

(روجع في ١٩٩١/٧/٩ م)

المراجع

١ ـ بافقيه ، محمد عبد القادر ، ١٩٧٣ م ـ تـاريخ اليمن القـديم ، بيروت ١٩٧٣ م ، ١٩٧٩ م ـ مقال :

New Light on the Yazanite Dynasty, in Proccedings of the Seminar for Arabian Studies (PSAS) 9 London, 1979 P.P. 5-9

١٩٨١ م ـ هوامش على نقش عبدان الكبير ، في ريدان ٤ ، عدن ـ لوفان ١٩٨١ م ـ ص ٢٩ ـ ٤٨

The Site of Kadür, in (PSAS), 12, London, 1982, P.P. 1-5

١٩٨٣ م أ : رسالة دكتوراة دولة :

Le Yemen à la des rois de Sabà et de dü-Raydän, Thèse de Doctorat dEtat es Lettres et Sciences Humaines (en polycopie) Paris IV, Sorbonne, 1983

ونشرت تحت عنوان :

LUnification du Yemen Antiqoe, Paris, 1990

(ب) اليزنيون وخلفية الأحداث التي قـادت إلى قيـام وسقوط حكم

الأحباش في اليمن ، في المنتدى ٣ دبي أكتوبر ١٩٨٣ م ، وفي (في العربيــة السعيــدة) ، صنعــاء ١٩٨٧ م ص ٨٣ ـ ١٠٦ ، ١٩٨٤ م ـ (مملكة نزار وإقليم البحرين) ، في المنتدى دبي يناير ١٩٨٤ م ، وفي (في العربية السعيدة) ، صنعاء ١٩٨٧ م ص ١٠٧ ـ ١١٨

١٩٨٥ أ ـ الحارث الرائش ونسبه المختلف فيه ، في :

Melanges Linguistiques offerts à Maxime Rodinson Edtès par Ch. Robin, Paris 1985, P.14 et Suiv.

(ب) (بنو جرة وبنو ذرانح بين سبأ وحمير) ، في اليمن الجـديـد ، أغسطس ١٩٨٥ ، وفي (في العربية السعيـدة) صنعـاء ١٩٨٧ م من ٦٣ ـ ٨٢

(جـ) (الحنفـاء العرب قبل الإسلام .. مشروع إطـار تـاريخي) ، في الشرق الأوســط ، جــدة ، عــددي يــومي ١١ و ١٤ سبتمبر ١٩٨٥ م . وفي (في العربيــة السعيــدة) صنعـــاء ١٩٨٧ م من ١٥٥ ـ ١٨١ . ١٩٨٧ م (أ) (الأذواء والأقيـال ونظـام الحكم في اليمن القديم) ، في اليمن الجديد فبراير ١٩٨٧ م ، ودراسـات يمنيـة ٢٧ ، صنعاء ، ١٩٨٧ م ، ص ١٤١ ـ ١٥٤

(ب) (الهمـداني والمثـامنـة) ، ألقيت في نـدوة الهمـداني بجامعــة

صنعاء أكتوبر ١٩٨١ م . ونشرت في (في العربيـة السعيـدة) ، صنعاء ، ١٩٨٧ م ، ص ١١٩ ـ ١٣٢

(جـ) (في العربية السعيدة) ، صنعاء ، ١٩٨٧ م .

٢ ـ بافقيه ، محمد عبد القادر روبان :

Inscriptions inedites de Yqnbuq, dans Raydän 2, Aden-Louvain 1979, PP. 15-26

١٩٨٠ ـ مع كرستيان روبان : « أهمية نقوش جبل المعسـال » ، في ريدان ٣ عدن ، لوڤان ١٩٨٠ ص ٩ ـ ٢٩

١٩٨٥ ـ مع آخرين : (مختـارات من النقوش اليمنيـة القـديمـة) ، تونس ١٩٨٥ م .

٣ ـ بيرين ، جاكلين : J. Pirenne

Deux Prospections historiques au Sud-Yemen..., dans Raydän 4, Aden-Louvain 1981, PP. 205-240

٤ ـ بيستون A.F.L. Beeston

«Judaism and Christianity» in (J.Chelhod), L Arabie du Sud.. 1, Paris, 1984, CHXI, PP. 271-278

٥ ـ روبان ، كرستيان :

Du Nouveau sur les Yazanides dans PSAS 16, London, 1986, PP. 181-197

٦- ريكمانز ، جاك : (حضارة اليمن قبل الإسلام) ، ترجمـة د / علي محمد زيد في دراسات يمنية ٢٨ صنعاء ، ١٩٨٧ م ، ص ١١١ - ١٢٨

٧- مولر ، ف : W.W.Müller

Weihrauch, in arabische product und seine Beduntung in der Antike, (pauly-Wissons): Realencyclopaedie der classisch en Altertumswissen-schaft, 1978, PP. 200-777

٧

أبرهة ... تبَعاً !

تأملات في عهده في ضوء نقشه الكبير[1]

سبق لنا أن تعرضنا لأبرهة بإيجاز في بحث لنا عن اليزنيين منشور توصلنا فيه إلى أنه اعتلى العرش في أعقاب انقلاب وصفناه بأنه « ليس إلا انقلاب قصر » ، وقلنا فيه إن القوة الحقيقية التي مكنت حكم أبرهة من الثبات هي ثوة يمنية بالدرجة الأولى ، ثم قارنا بين حالته وحالة « محمد علي باشا الذي جاء ضابطاً في القوة التركية وانتهى به المطاف مؤسساً لأسرة حاكمة في مصر » ، وخلصنا من ذلك كله إلى أن دوره « الحقيقي في التاريخ ربما كان نجاحه - ولو إلى حين - في إيقاف نزعة التفكك والتحلل التي بدأت أواخر أيام معديكرب يعفر أو بعده » .

---

(١) قدمت هذه الورقة إلى ندوة جامعة اليرموك في ذكرى مرور عام على وفاة الأستاذ الدكتور محمود الغول (ديسمبر ١٩٨٤) ، ونشرت بإذن خاص في دراسات يمنية ، العدد ٢٥ - ٢٦ ، صنعاء ، يوليو - ديسمبر ١٩٨٦ ، ص ٨٦ - ١٠٧ . وقد أدخلنا هنا تعديلات قليلة .

ونود في هذه الورقة[٢] أن نعمق تأملنا في أحداث وطبيعة عهده مستندين في ذلك ـ بصفة خاصة ـ إلى نقشه الكبير (C1H541) الذي تركه بجوار العرم (أو سد مارب) إلى جانب نقش واحد من مشاهير التبابعة هو شرحبيل يعفر بن أبكرب أسعد (C1H540) وهو التبع الأصغر أو الآخر عند الإخباريين .

والحق أن نقش أبرهة هذا هو أحد الوثائق السياسية الهامة عن القرن السادس الميلادي إن لم يكن أخطرها على الإطلاق .

ولكن لا سبيل إلى فهمه حق الفهم ما لم نحاول أولاً أن نضع العهد برمته في سياقه التاريخي الصحيح . كما أنه لا سبيل إلى تقويم العهد دون أن نفهم النقش فهماً سليماً .

ونرى أنه ، من أجل الوصول إلى الفهم المنشود ، يتعين علينا أن نمهد لدراسة النقش باستعراض سريع للأحداث التي سبقت مجيء أبرهة إلى العرش ومهدت له السبيل إليه ، وهي الأحداث المتعلقة بعصر التبابعة الذين جاء أبرهة ليحيي سياساتهم ، كما نرى أنه من أجل الوصول إلى التقويم المطلوب للعهد علينا أن نلم إلماماً سريعاً بالأحداث التي جرت بعد كتابة النقش خلال حكمه ثم الأحداث التي أدت إلى اختفاء أسرته وما ترتب على ذلك كله .

---

(٢) انظر مراجع الورقة في آخرها ، أما رموز النقوش المستشهد بها فيها فهي المتعارف عليها وتشير إلى الناشر أو النشرة أو الموقع .

عصر التبابعة :

التبابعة (جمع تبع) هم الملوك من بني ذي ريدان الحميريين الذين استطاعوا بعد توحيد مملكتي سبأ وذي ريدان (أو سبأ وحمير) على أيديهم ، في نهاية القرن الثالث الميلادي ، أن يتوجهوا إلى توحيد الممالك اليمنية في دولة واحدة كخطوة أساسية وضرورية لمد ظل سلطانهم إلى الأراضي المعدّية في شمال شبه الجزيرة .

قبلها كان الأحباش يحتلون تهامة اليمن بأكملها من عدن إلى جازان ، ويتحكمون بذلك في تجارة البحر الأحمر كلها . وكان الأحباش قد أتوا إلى اليمن في نحو مطلع القرن الثالث حلفاء للسبئيين في مواجهة الحميريين الذين كانوا قد بلغوا في القرن الثاني أوج ازدهارهم الاقتصادي والسياسي بفضل سيطرتهم على الموانئ اليمنية الجنوبية ـ الغربية التي تحكموا من خلالها في التجارة مع بلاد الزنج .

ولقد ظل أوار الحرب مشتعلاً ، طيلة القرن الثالث ، بين الأطراف المتنافسة على الساحة اليمنية وهم الأكسوم وحبشة في الغرب منطلقين من تهامة ، وحضرموت في الشرق ، وسبأ في الشمال ، وحمير في الجنوب . ولم تنفرج ضائقة تلك الحروب التي تعود بدايتها إلى القرن الأول الميلادي إلا بتحقيق الوحدة (إذا جاز لنا استخدام هذا التعبير الحديث) بين سبأ وحمير ، إذ بذلك زال التناقض بين

العنصرين الكبيرين المذكورين بما يمثلانه من أراض واسعة ومنيعة تمتد بين عدن ونجران ، وكثافة سكانية كانت هي الوقود الأساسي لحرب الثلاث مئة عام . وساعد ذلك على قيام القاعدة التي ارتكز عليها حكم التبابعة الذين يغطي عصرهم القرنين الرابع والخامس منقسماً إلى مرحلتين دامت كل واحدة منهما قرناً من الزمان تقريباً .

بعد أن تحققت تلك الوحدة في العهد المشترك لياسر يهنعم وابنه شمّر ، وحيداً على العرش ، يواصل تصفية الجيوش الحبشية في تهامة (C.1H407) ، ثم لا يلبث أن يتوجه إلى ضمّ حضرموت وينجح في احتلال عاصمتها شبوة ، وما كان ليتسنى له أن يفعل ذلك لو لم يكن قد نجح في القضاء على النفوذ الحبشي في تهامة اليمن . وعند ذاك أدخل شمر يهرعش إضافة جديدة إلى اللقب الملكي الذي كان (ملك سبأ وذي ريدان) فأصبح (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنه) ، وبه بدأت المرحلة الأولى من عصر التبابعة .

وبهذا يمكننا أن نفسر ما ذهب إليه بعض الإخباريين من أن شمر هو أول التبابعة ، وأن التبع هو الملك الحميري تحديداً ، الذي يمتد ظل سلطانه ليشمل حضرموت (المملكة القديمة) ويمنه (أي الشحر ذلك الساحل الجنوبي الطويل الخاضع من قبل لحضرموت) .

وسبق أن توصلنا في بحث آخر منشور إلى أن الحملات التي يشير

إليها شاهد قبر امرئ القيس بن عمرو (ملك العرب كلها) (نقش النمارة) ، والتي بلغت أطراف نجران من مملكة شمر ، إنمّا حدثت لدى انشغال شمر يهرعش بترتيب الأوضاع الداخلية في اليمن .

ولقد استمرت جيوب المقاومة لسلطة التبابعة ، طرفاً من القرن الرابع ، في جبال السراة خاصة في عسير (الطود) وفي الأغوار الغربية المتاخمة لها من ناحية البحر (تهامة ، خاصة تهامة الشام) . كل ذلك إلى جانب انتقال المقاومة الحضرمية إلى بعض المناطق الداخلية وتكرار تمرد القبائل في بلاد المهرة . وصاحب ذلك أيضاً تحرشات من القبائل النزارية ـ المعدية التي أخضعها من قبل امرؤ القيس بن عمرو . فكان لا بد أن يقترن الرد على تلك التحرشات في الشمال بعمليات تهدئة الأوضاع في المناطق اليمنية الوعرة أو النائية التي داب الأعراب فيها على الشغب (نقش عبدان الكبير) ، فكل تلك الاضطرابات كان لها أثرها على اقتصاد البلاد الذي كان عماده تجارة القوافل البرية بين الموانئ الجنوبية في اليمن والثغور الشمالية في الشام والعراق .

وأدى النجاح في إخضاع أولئك الأعراب في نحو نهاية القرن الرابع أيام أبكرب أسعد (التبع الأوسط والأشهر عند الإخباريين) إلى إدخال إضافة أخرى وأخيرة إلى اللقب الملكي وهي عبارة (وأعرابهم طوداً وتهامة) . وكانت تلك بداية المرحلة الثانية والأخيرة التي دامت حتى نهاية القرن الخامس .

وفي ظل ذلك الملك الشهير وأبنائه بدأت سياسة الاندفاع نحو وسط وشمال شبه الجزيرة تؤتي ثمارها ، وهي السياسة التي بدأها أسلافه ولعب الأذواء اليزنيون فيها دوراً عسكرياً قيادياً بارزاً ، كان بداية صعودهم .

ولم يكن مصادفة أن جاء حكم الملوك من كندة ، أسرة حجر بن عمرو آكل المرار ، في القبائل المعدية مصاحباً لبلوغ المد الحميري في شبه الجزيرة أقصى مداه . فهنا نجد التفسير لكل ماأورده الإخباريون عن العلاقة بين حكم كندة وبين التبابعة .

ولقد أسهمت تلك السياسة في تحقيق التقارب بين القبائل العربية كلها حتى أنه ربما جاز لنا القول بأن القرن الخامس هو الذي شهد وضع الأساس لتقارب اللهجات العربية ، ذلك التقارب الذي تولدت منه تلك اللغة الأدبية الراقية الفصحى ، لغة الشعر الجاهلي المعروف .

على أن قيام تلك الحركة الأدبية العربية اقترن بضعف دولة التبابعة وجنوح شمسهم نحو المغيب ، ضعف لم تتجمع لدينا بعد كل عوامله ، كما أنه ليس هنا مكان تناول المعروف منها بالتفصيل . وكل ما يمكن قوله هو أن العوامل التي أدت إلى ذلك الضعف عديدة ومتنوعة ، وأن من بينها الأمراض التي جاءت بها الشيخوخة لنظام

دام قرنين من الزمان فأدت إلى تحلله وتفككه من الداخل وعجزه عن التحكم في الأطراف . كل ذلك في جو من صراع عقائدي ديني كان متأججاً في الدول المجاورة ، ويسير جنباً إلى جنب مع تصادم المصالح بين قطبي ذلك العصر الفرس والروم .

ولم يكن اليمن بمنأى عن الصراع العقائدي الديني ، فقد وجدت كل من اليهودية ثم النصرانية طريقها إليه ، وقامت لها فيه جيوب قوية كانت بؤراً طبيعية للحريق الكبير الذي أتى على دولة التبابعة الحميريين في النهاية .

ففي نحو العام ٥١٠ م كان اليزنيون يسيطرون على نصف مملكة التبابعة الشرقي ، والذي يرمز إليه في اللقب الملكي بعبارة (وحضرموت ويمنه) (ينبق ٤٧) . ولكنه في عام ٥١٦ م كان معديكرب يعفر يزاول نشاطاً ما في موضع متقدم من وسط شبه الجزيرة (فلبي ٢٢٨) ، وذلك قبل عام واحد على الأكثر من قيام ثورة عارمة بقيادة يوسف أسار يثأر (ذي نواس) الذي يضفي عليه أتباعه ومناصروه لقب (ملك كل الشعوب) أي كل القبائل . ويتضح من النقوش أن اليزنيين ، اليهود عقيدة آنذاك ، كانوا قادة جيوشه ، وأركان حربه في المعارك التي قادها بنفسه ضمن حروبه الممتدة فيما بين باب المندب ونجران (Ja.1028) .

ولقد سلط من الأضواء ما يكفي ويزيد على قصة تعذيب نصارى نجران التي فسرت بها مصادر قديمة ومؤلفات حديثة التدخل الحبشي الأخير الذي جاء في ركابه أبرهة .

ولكن أحداً لم يلتفت ، بالقدر الكافي على الأقل ، إلى ما ينطوي عليه نقش يزني آخر هو نقش حصن الغراب (C1H621) الذي أمر بزبره سميفع أشوع ، الكلاعي اليزني الجدني ... إلخ ، لأن عودته من أرض الحبشة في الوقت نفسه الذي اجتاحت فيه القوات الحبشية أرض حمير وقتلت ملك حمير (هكذا) وأقيالـه الأرحبيين كما يقول النقش نفسه في عبارات إن لم تكن تدل على التواطؤ والشماتة فهي في أفضل الأحوال عبارات محايدة فيها ترقب وتربص ، وإن كنا نميل إلى ترجيح التواطؤ من جانب اليزنيين مع الأحباش .

ثم لا نلبث أن نرى على العرش ملكاً باسم سميفع أشوع ترك لنا نقشاً جاءنا مثلّماً (هو من مقتنيات متحف إسطنبول) يدل على تبعيته الصريحة لملوك الحبشة .

ورغم ما نراه من سكوت المصادر العربية الإسلامية المعروفة عن عهد ذلك الملك وكأنه لم يكن ، فإن مصادر أجنبية معاصرة (بروكوبيوس + ٥٦٠ م) تصرح بأن تنصيبه كان على يد ملك الحبشة وأن سقوطه كان نتيجة لثورة جاءت بأبرهة محله .

أما متى حدثت تلك الثورة أو ذلك الانقلاب فأمر تختلف فيه المصادر العربية التي تجعل الحاكم المغلوب على أمره قائداً حبشياً اسمه ارياط ، لعله قائد القوة الحبشية الساهرة على حماية المصالح الحبشية وحماية ممثلها الرمزي المحلي سميفع ، هذا في حين أن بروكوبيوس المعاصر للأحداث لم يعط تاريخاً محدداً لها .

ونتيجة للاختلاف في تقدير مدد العهود التي تعاقبت بين مجيء الأحباش وبين مجيء الفرس ، تأتي الصعوبة والاختلاف في تحديد مكان نقش أبرهة الكبير من عهده على الرغم من أنه نقش مؤرخ يعود إلى عام ٥٤٣ م .

محتوى النقش(☆) :

يتكون نقش أبرهة ، الذي نحن بصدده ، من مئة وستة وثلاثين سطراً يرد فيها سرد الأحداث ، التي زبر من أجلها ، وفق تسلسلها الزمني كعادة النقوش الرسمية وخاصة الملكية منها . ولهذا فإن خطوات تفصيلية من حدث كبير تتداخل أحياناً مع خطوات من حدث كبير آخر نتيجة للتقيد بالتسلسل الزمني . وفي نقش أبرهة هذا هناك حادثان رئيسيان هما : ثورة أو تمرد في مشارق اليمن ، وترميم العرم إثر تعرضه لخراب .

(☆) النص المعتمد هنا قائم على مضاهاة ما نشر في C1H ونسخة جام .

الرحمن في الثالوث (الأسطر ١ ـ ٤) :

ويستهل أبرهة النصراني نقشه ، قبل الديباجة المعهودة التي تذكر اسم صاحب النقش ومركزه وألقابه ، بعبارة « بخيل (أي بقوة) وردء ورحمة الرحمن .. إلخ » التي تذكرنا بما فعله سلفه سميفع أشوع النصراني أيضاً ، بل وبما فعله قبلهما كذلك يزنيون يهود في عهد يوسف أسأر يثأر ذكروا جميعاً اسم (الرحمن) .

لقد تسبب اسم (الرحمن) ، حين ورد لأول مرة في القرآن الكريم ، في جدل أثارته قريش الوثنية إذ خيل إليها أن الدين الجديد الداعي إلى التوحيد إنما يناقض نفسه بنفسه .

ولكن القرآن الكريم حسم الموقف بقوله تعالى : ﴿ ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ فأزال بذلك اللبس الذي وقع فيه الوثنيون .

و (الرحمن) كما هو معروف من أكثر الأسماء الحسنى ، بعد لفظ الجلالة (الله) ، وروداً في القرآن الكريم وبه سميت إحدى سوره . وفي اللسان (مادة رحم) رواية طريفة لابن منظور عن الزجاج تقول بأن « الرحمن اسم من أسماء الله عزَّ وجلَّ مذكور في الكتب الأولى » وأن « الرحمن اسم مختص لله تعالى لا يجوز أن يسمى به غيره ولا يوصف » .

وإذا عدنـا إلى نقش أبرهـة نجـده يـذكر بعـد (الرحمن) عبـارة ومسيحه روح قدس » استكمالاً للثالوث عند النصارى .

وفي هــذا الصــدد لا يفـوت المرء أن يـلاحــظ بعض الفروق في التعابير وبين سلفه سميفع الـذي نقرأ في نقشـه ، كثير الثلمـات ، بعـد (الرحمن) قوله : « وابنه الكريشت (المسيح) الغالب » . كما نجد في النقش لفظة (نفس) محل (روح) .

وهذا الاختلاف في الألفـاظ رغم اتصـال العهـدين قـد تكون لـه دلالتـه ، كبرت أو صغرت ، خـاصـة وأن أبرهــة لم يستعمـل لفظــة (ابنه) واكتفى بدلاً عن ذلك بقوله (مسيحه) .

والسؤال الـذي ، كما يقولون ، يطرح نفسـه هو : هل كان أبرهـة يمثل مذهباً مسيحياً مختلفاً عن المذهب الذي كان يمثله سميفع ؟

إننـا نكتفي بـالسؤال ونـدع الإجـابـة عليـه للمتخصصين في علم الأديـان . ولكنـا نقـول إن هـذا الاختـلاف ، إذا كانت لــه جــذور عقيدية ، قد تكون لـه انعكاسـاتـه السيـاسيـة التي لم نكتشفهـا بعـد . فالخلاف المذهبي في ذلك العصر كثيراً ما ارتبط بـأنواع الصراع الأخرى أو عبر عنها .

ولعلـه يجوز لنـا أن نرى في اختلاف التعبير بين العهـدين دليـلاً على التصاق سميفع بـالأكسوميين من جهـة ، وعلى ابتعـاد أبرهـة عنهم

من جهة أخرى ، خاصة إذا تذكرنا ما يقوله بروكوبيوس عن أصل أبرهة .

ألقاب أبرهة (الأسطر ٤ ـ ٥) :

وإذا جئنا إلى ألقاب أبرهة في نقشه هذا فإنا نراه يتخذ لقب التابعة الطويل الذي ابتدعه أبكرب أسعد . وهو غالباً اللقب نفسه الذي اتخذه أيضاً سلفه سميفع .

ولكنا لا نلبث أن نلاحظ أيضاً فوارق أخرى هنا بين العهدين من حيث وصف علاقة كل منهما بملوك الحبشة . فأبرهة يقول عن نفسه أنه (عزلي) الملك الأجعزي . في حين أن سميفع يصف نفسه بأنه عاقب نجشت (نجشت جمع نجش = نجاشي) الأكسوميين . ويجمع الشراح على أن اللفظين عاقب وعزلي إنما يصفان الشيء نفسه وهو تمثيل ملوك الحبشة في اليمن ، ويضعون في محل اللفظين المذكورين عند الشرح أو الترجمة ألفاظاً من مثل (نائب) .

أننا إذا تذكرنا أن سميفع حرص على وصف حكام الحبشة بأنهم أمراهمو (أي أمراؤهم / أسيادهم) في حين أنه لا أثر لذلك الوصف أو ما يشابهه في نقش أبرهة ، فإنه يصعب اعتبار ذلك الفرق أمراً لا دلالة له خاصة وأن أبرهة ، بعد أن استتب له الأمر تماماً ، أسقط عبارة « عزلي الملك الأجعزي » (Ry506) .

إننا نميل إلى أن إحساس سميفع كان قوياً ، وأن مرجع ذلك هو أنه كان مديناً بملكه للأحباش كما تقول المصادر المعاصرة صراحة . وهو وضع يختلف عن وضع أبرهة الذي تجمع المصادر ، على اختلاف في التفاصيل بينها ، على أنه جاء إلى العرش في أعقاب ثورة أو تمرد .

إن سميفع في استخدامه لصفة (عاقب) بالنسبة إلى نفسه (وأمرائه) بالنسبة إلى ملوك الحبشة لا يكاد يختلف عن بعض الأقيال أو الأذواء الذين كانوا عمالاً للملوك في مقاطعات معينة من اليمن خلال التاريخ القديم .

وتبقى في الديباجة بعد ذلك عبارة رحس (رماحس ؟) وزبين التي تتكرر في النقش في صورة (مونوجرامين) يحيطان (بمونوجرام) اسم أبرهة في صف واحد يتلوه صف آخر من ثلاثة مونوجرامات أحدها تحت (رحس) في اليمين ، وثانيها تحت (أبرهة) في الوسط ويرمز إلى ريدان ، وثالث تحت زبين في اليسار ويرمز أغلب الظن إلى شقير (قصر ملوك حضرموت) . وقد جاءت (رحس زبين) في هذا النقش بعد عبارة عزلي الملك الأجعزي (عزلي إلخ) وبقيت لفظة زبين ملحقة باسم أبرهة وقبل لقبه الملكي (Ry 506) ومن ثم فإنها قد تكون لقباً أو نعتاً خاصاً استحدثه أبرهة لنفسه جرياً على عادة الأقيال والأذواء والملوك في اليمن .

حادثان رئيسيان (الأسطر من ٩ ـ ١٣٢) :

أما الوقائع التي زبر من أجلها النقش فتندرج ـ كما سبق أن قلنا ـ تحت حادثين داخليين أساسيين تتخللها ـ كما سنرى ـ حادثة وصول وفود خارجية إلى أبرهة .

والحدث الأساسي الأول ، حسب التسلسل الزمني هو حدث مركب يجمع بين تمرد يزيد بن كبشة الزعيم الكندي وثورة أقيال المناطق الشرقية في الوقت نفسه . وهو ما يمكن أن نصفه بثورة المشرق . أما الحدث الأساسي الثاني فهو خراب العرم .

تمرد يزيد بن كبشة (الأسطر ٩ ـ ١٣) :

يتصدر تمرد يزيد بن كبشة أخبار الحدث الأول الذي وصفناه بثورة المشرق . وقد ربط بعض الدارسين للنقش بين تمرد يزيد وتمرد ، أو بالأحرى ثورة ، الأقيال من سبأ وآل ذي يزن ربطاً محكماً يجعل من الحركتين حركة واحدة ووصفها بأنها ثورة وطنية .

ولا شك أن من ذهب ذلك المذهب له عذره ، خاصة وأن النقش بعد أن بدأ بذكر تمرد يزيد استخدم للربط بينه وبين ما أسماه أيضاً تمرد الأقيال لفظة و (عمهو) ، أي معه ، مع يزيد .

ولكن هل كان يزيد حقاً هو الرأس والعقل المدبر لتلك

الثورة ؟ وهل كانت تلك حقاً ثورة واحدة محكمة التدبير ؟ أم أن (وعمهو) تشير إلى مجرد التزامين بين الحركتين : حركة يزيد وحركة الأقيال ؟ سؤال مفتوح ، يمكن أن تختلف الإجابات عليه .

إن يزيد بن كبشة ، الذي قد يكون من أخوال امرئ القيس بن حجر الشاعر ، هو ولا شك من فرعْ الأمراء أو الزعماء الكنديين الذين استقروا آنذاك مع بعض من قبيلتهم في أطراف حضرموت الغربية نتيجة لتاريخ طويل بدأ باشتراكهم في جيش الأعراب الحميري الذي قام في مطلع القرن الرابع بعملية إكمال إخضاع حضرموت منطلقاً من نشق في الجوف (Ja665) ومتخذاً من العبر ، ذلك الموقع الاستراتيجي في الطرف الشمالي الغربي من حضرموت ، هدفاً ومدخلاً لعملياته في الوادي .

وكان يزيد ، كما حرص النقش أن يسجل ، خليفة (أي عاملاً) لأبرهة قبل حدوث التمرد أو الثورة . وكان قد أقسم يمين الولاء للملك الجديد . وليس هناك ما يدل على أن مبايعته الأولى لأبرهة جاءت قسراً بعد مقاومة فشلت بعكس الحال مع الأقيال الثائرين .

إن يزيد لم يكن إلا زعيماً للأعراب في تلك المنطقة الحساسة ، وإذا كان له نفوذ آخر فلا يعدو أطراف وادي حضرموت الغربية كمنطقة الكسر ، أما قلب الوادي وقبيلة حضرموت التي كانت تابعة

لليزنيين عام ٥١٠ م (ينبق ٤٧) فقد انفصلت عنهم عـام ٥٢٥ م إبـان قدوم الحملة الحبشيـة (C1H621) ، ولعلهـا ظلت مستقلـة أو مواليـة للسلطة المركزية في ظفار أو صنعاء قبل وبعد مجيء الأحباش .

وفي نقش عبدان الكبير ما يشير إلى حدوث صدام بين حضرموت وبين اليزنيين في القرن الرابع . وبهـذا يمكن تفسير غـارة يـزيـد على حضرموت وأخذه أو أسره لمازن هجان الأذموري ، وهو العمل الوحيد الذي شارك به يزيـد في ثورة المشرق إذا صح أن حركتـه كانت جزءاً منها . كما أنـه بهـذا أيضـاً يمكن تفسير وجود كبير حضرموت في ركب الأقيال الموالين لأبرهة كما سيأتي .

إمـا لمـاذا حرص أبرهـة على أن يبـدأ نقشـه بـالحـديث عن تمرد يزيد ، ومن ثم التشهير به ، فلأنه قد هاله أن يخل يزيد بالعهد الذي قطعـه على نفسـه حين استخلفـه ، لا من حيث كـون ذلـك خيـانـة وحسب ، وإنمـا لأن ذلـك العمـل كان من شـأنـه لـو نجـح أن يضعف قبضة أبرهـة على منـاطق بـالغـة الأهميـة ممـا يزيـد من خطورة ثورة الأقيال .

ولا بـد أن اطمئنـان أبرهـة لـولاء الأعراب في نـواحي العبر إلى جـانب خضوع حضرموت لـه هو الـذي سهل انطلاق جره ذي زبـانر لفرض نفـوذ الملـك الجـديـد في المشرق معقـل اليزنيين ، كما أثبتنـا في

دراسات سابقة منشورة ، واتخاذه من حصن كدور المنيع مركزاً للإدارة الجديدة .

على أن ذلك العمل في ذاته ومع وجود قيل يزني من غير الثوار في صف الملك كما سنرى ، إنما هو دليل على أن الأمر لم يكن قد استتب تماماً لأبرهة في تلك المناطق قبل أحداث النقش . فآل ذي زبانر الذين منهم جره هم من أذواء المناطق الغربية المعروفين في النقوش ، ذكروا أحياناً إلى جوار بني جره الأقيال الذين تقع مقولتهم حول جبل كنن جنوب صنعاء .

ثورة المشرق (الأسطر ١٣ ـ ٢٤) :

أما الأقيال الثائرون فبعضهم ، حسب الترتيب في النقش ، من سبأ وهم : مرّة وثمامة وحنش ومرثد من الأساحر (أو آل ذي سحر) وحنيفة ذو خليل (من آل ذي خليل) ، ومن اليزنيين وهم : معديكرب بن سميفع (الملك المعزول حتماً) ، وهعّان وإخوته بنو أسلم .

وقد اعترض الأقيال المذكورون سبيل جره ذي زبائر ، الذي أنفذه أبرهة ليدير المشرق ، وقتلوه ودكوا مصنعة كدور الحصن الذي سبقت الإشارة إليه .

وإذا كان أبرهة قد حرص على أن يبدأ نقشه بالتنديد بتمرد عامله يزيد ، وربط بينه وبين ما اعتبره تمرداً من الأقيال ، فإنه عندما جاء إلى تفاصيل أحداث ذلك التمرد والثورة بدأ بمقتل جره وتدمير مصنعة كدور من قبل الأقيال ، ثم انثنى ليذكر ما فعله يزيد . وكان ما فعله لا يزيد عن جمع بعض من أطاعه من كندة للإغارة على حضرموت ، الموالية للملك كما افترضنا ، وأسر مازن هجان الأذموري والعودة إلى العبر . ولا شك أن من أطاعه كان جانباً من الأعراب الذين كانوا تحت رئاسته .

على أن هذا العمل من يزيد على بساطته الظاهرية يشكل في حدِّ ذاته حماية لثورة الأقيال إن كان قد حدث بقصد أو بغير قصد . وخلاصة القول هي أن يزيد الذي سارع إلى مبايعة أبرهة حين أطيح بسميفع ، سارع أيضاً إلى الانقلاب عليه حين رأى أقيال المشرق وفيهم معديكرب بن سميفع يثورون ، كما سارع في النهاية إلى تجديد الولاء لأبرهة قبل أن تتحرك القوات التي حشدها كما سيأتي .

الصريخ وحشد القوات (الأسطر ٢٤ ـ ٤١) :

وحين بلغ أبرهة الصارخ أو الصريخ ، ربما من بقايا قوات جره في المشرق ، بادر إلى جمع المقاتلين من الأحباش وحمير بالآلاف . وكان ذلك في شهر دي القياظ / حزيران من عام ٥٤٢ م ، واتخذوا

طريقهم في مرتفعات سبأ لينطلقوا من صرواح الموقع السبئي القديم المتقدم في الهضبة ، إلى (نبط) وهو موقع لا يعرف أحد مكانه الآن ، ويحتمل أن يكون في الجوف أو أطرافه إذا كان منطلقهم نحو العبر (قارن بحالة نشق في القديم) .

وما أن بلغوا نبطاً حتى أنفذوا سراياهم إلى كدور . وكانت السرايا مكونة من قبائل إلو ، ولد ، وحمير ، ومعها عاملان من عمال أبرهة هما طه وعودة الجدنيين .

ولم تتحرك أية قوة إلى العبر ، وذلك لأن يزيد وفر عليهم المشقة إذ وافى الملك بنبط وجدد له الولاء قبل تحرك السرايا . وكان عمله ذاك فيه إضعاف لثورة الأقيال .

وهنا لنا أن نسأل إلام كان يهدف أبرهة من جمعه المقاتلين الأحباش ، الذين لم يشتركوا في السرايا المرسلة لإخضاع الأقيال الثائرين ، والذين لم يرد لهم ذكر بعد ذلك .

إننا نرى في الرد على ذلك أن أبرهة حين بلغته أخبار الثورة كان يتوقع أن يخوض معركة كبيرة . ولكن تراجع يزيد وفّر عليه استخدام الأحباش في تلك المناطق التي لم يألفوها .

ثم لا ينبغي أن يفوتنا أن نلاحظ ـ في الوقت نفسه ـ أن الذين تولوا إخضاع ثورة الأقيال كانوا من العنصر الحميري في قوات أبرهة ،

أي من سكان المناطق الغربية وخاصة في المرتفعات الغربية في صنعاء كإلو . وهي حقيقة ذات أهمية خاصة . كما أن العاملين اللذين اختارهما أبرهة لإدارة المشرق بعد جرة كانا من الجدنيين الذين انفصلوا عن اليزنيين بعد أن كانوا متحدين معهم أو تابعين لهم منذ أواخر حكم التبابعة الحميريين . وهي حقيقة هامة أخرى تعد إلى جانب الأولى في مقدمة عوامل فشل اليزنيين في البقاء على العرش كما سنرى .

صريخ سبأ (الأسطر ٤١ ـ ٤٦) :

وفيما كان أبرهة ينتظر نتيجة إرساله السرايا إلى كدور قدم إليه صريخ (مستغيث) من سبأ إذ أن العرم قد أصيب بخراب في أجزائه المختلفة التي يعددها النقش مستخدماً اصطلاحات ليس من اليسير إيجاد المقابل لها (انظر المعجم السبئي) . وكان ذلك في شهر ذي المذرأ/ تموز عام ٦٥٧ ح و ٥٤٢ م .

أخبار انهيار التمرد والثورة (الأسطر ٤٦ ـ ٥٥) :

ولم يطل بأبرهة الانتظار إذ سرعان ما جاءته الأخبار بأن الأعراب الذين تمردوا مع يزيد من قبل جددوا ولاءهم وقدموا الرهائن منهم عربوناً لذلك ، وبأن السرايا التي أرسلت إلى كدور ألقت القبض على الأقيال المتمردين / الثائرين .

استدعاء القبائل لترميم العرم (الأسطر ٥٥ ـ ٦٣) :

وهكذا فإن أبرهة حين استدعى القبائل للعمل (سخرة) في ترميم السد وإصلاح ما أصاب مارب المدينة من أضرار ، كان باله قد هدأ وقلبه قد اطمأن . وقد حدد لورود القبائل وبدء العمل موعداً هو شهر ذي الصراب / تشرين الأول . ويحرص النقش على أن يذكر أنواع العمل المطلوب لترميم السد وتبلغ ثمانية ، معظمها مصطلحات لم يتم التوصل إلى ما يقابلها في عربيتنا (انظر المعجم السبئي) .

قداس بيعة مارب (الأسطر ٦٣ ـ ٦٧) :

وبعد توجيه الاستدعاء واستسلام الأعراب (كما يحرص النقش أن يؤكد مجدداً) سار أبرهة إلى مدينة مارب حيث قدَّس بيعتها (أو أقام قداساً فيها) ، وهي بيعة بها قسيس يرعى الجماعة النصرانية هناك .

ووجود البيعة بمارب واستغاثة أهلها بالملك يدلان على أن اشتراك الأساحر وذي خليل في ثورة المشرق لم يكن لها صلة بمارب ، ولا شك أن قدوم أبرهة إلى المدينة إنما كان لتدشين عملية الترميم . وإذا ربطنا بين ذلك وحرص أبرهة على تأكيد خضوع الأعراب له فإن إقامة القداس تكون لتقديم الشكر إلى الرحمن على النجاح في إخماد ذلك التمرد الخطير ولطلب العون والمباركة لأعمال الترميم .

الصعود نحو العرم لبدء العمل (الأسطر ٦٧ ـ ٧٢) :

ولهذا فقد تلا القداس صعود الملك ومن معه نحو العرم ، عند مخرج وادي أذنه من منحدرات الهضبة ، وتسلق الجبل المحيط بالمخرج للحصول على الأحجار اللازمة لإقامة أساس حاجز المياه وهو الجزء الأساسي للعرم .

الوباء (الأسطر ٧٢ ـ ٧٥) :

ولكن ما أن بدؤوا في وضع الأساس حتى حدثت وفيات ومرض (وباء) بين القبائل وأهل المدينة . وعندما رأى الملك أن الهلاك قد أخنى على القبائل أذن لهم أحبوشهم وأحمورهم (أحباشهم وحميرييهم) بالانصراف (أي توقف العمل) .

مبايعة الأقيال الثائرين (الأسطر ٧٦ ـ ٨٠) :

وبعد الإذن بالانصراف ورد الأقيال الذين اعتصموا بكدور ، في صحبة السرايا التي أرسلت لإلقاء القبض عليهم ، وبايعوا الملك .

الأقيال والأذواء الموالون للملك (الأسطر ٨٠ ـ ٨٧) :

ومن ثم عاد الملك من العرم إلى مدينة مارب ربما يصحبه الأقيال الذين كانوا موالين له ومنهم (كما يقول النقش) :

١) أكسوم ذو معاهر ابن الملك .

٢) ومرجزف ذو ذرانح .

٣) وعادل ذو فائش وذو ثولمن (لعلها ثوجمن = الثوجم) ، والشعب ورعين وهمدان والكلاع ومهدم وثاه .

٤) وعلس ذو يزن وذو ذبيان وكبير حضرموت وذو فرنه .

ولا شك أنه كان من بين هؤلاء أقيال لبعض القبائل التي استدعيت للعمل ثم انصرفت إلى حين ، غير أنه يستبعد اشتراك قبائل المشرق الثائرة رغم وجود علّس ذي يزن بين الأقيال . وهذا يجعلنا نتساءل عن هوية ذلك القيل الحقيقية ، وهل كان من الأصل من الأقيال اليزنيين أم أنه قيل ولاه الملك أمر تلك المقاطعة كما ولى ابنه أكسوم (أو يكسوم كما يرد في الشعر عند تكنية أبرهة) ، قيلاً لمقاطعة ردمان ذات الوضع الجغرافي المتميز بين أراضي سبأ وأراضي حمير . ولما أننا نجد في أنساب الجدنيين اسم علس فإننا لا نستبعد أن يكون علس هذا في الأصل من آل ذي جدن الذين انحازوا إلى أبرهة ضد سميفع .

كما يستبعد أيضاً اشتراك قبيلة حضرموت البعيدة ، خاصّة مع اضطراب الوضع في مشارق اليمن قبل ذلك بوقت قصير . ولا بد أن كبير حضرموت (إذا لم يكن المقصود به علّس ذا يزن نفسه) ، هو

شخص آخر غير مازن هجان الأذموري الذي كان يزيد قد أسره ربما في غيبة ذلك الكبير عن الوادي .

ولا بد أن إيراد هذه القائمة المنتقاة من أقيال وأذواء اليمن كانت لإظهار ما كان يتمتع به أبرهة من تأييد في البلاد . كما يحتمل أنهم كانوا قد توافدوا لمؤازرته (هذا إذا لم يكونوا هم أعوانه في الانقلاب ضد سميفع) . وكل ذلك قد يرجح أن بداية العهد لم تكن بعيدة عن أحداث التمرد والثورة وخراب العرم أي عام ٥٤٢ م .

والحق أن الطريقة التي ورد بها ذكر الأقيال الموالين لا تعني بالضرورة أنهم عادوا مع الملك من العرم . فالعبارة التي تتناول العودة تقول : « ومنها عاد (بصيغة المفرد) الملك إلى مارب . ولم تقل إن الأقيال كانوا معه في عودته تلك . وإنما بدت كأنها فقرة مستقلة وردت للغرض الذي ذكرناه لا غير وهو إظهار ما يتمتع به الملك من تأييد .

هذا ولتلاحظ بأن أراضي أولئك الأقيال ـ الأذواء (فيما عدا اليزنيين) تمتد فيما بين ريدة شمالاً ، ووعلان وثات شرقاً ، ومخلاف رعين جنوباً ، وبلاد مهدم والثوجم والكلاع (من الشمال إلى الجنوب) في مغارب الهضبة .

وفود الدول (الأسطر ۸۷ ـ ۹۲) :

وهنا ينتقل النقش إلى ذكر حدث هام لا صلة له بالحدثين الرئيسيين : الثورة وخراب العرم . وقد استخدمت في إيراده الأداة نفسها التي قدم بها كل من الحدثين المذكورين وهي الكاف (ك) أي عندما أو بما أن أو بمناسبة . فالنقش يقول : وسطروا ذن مسندن كقسد إلخ أي كتبوا هذا المسند عندما تمرد إلخ .. (الأسطر ٩ ـ ١٠) كمدخل لرواية أحداث الثورة وسحقها . كما يقول : وكوصحهمو صرخم بن سبأ إلخ .. ، أي وعندما بلغهم صارخ أو صريخ (مستغيث) من سبأ إلخ (الأسطر ٤١ ـ ٤٢) كمدخل لرواية أحداث خراب العرم وبدء ترميمه .

وها هو يعود ويستخدم الأداة نفسها للمرة الثالثة كمدخل لحدث مستقل هو ورود الوفود بمستوياتها المختلفة من كافة الأقطار ذات الروابط التاريخية والعلاقات التجارية مع اليمن . فنحن نقرأ أولاً : وكوصحهمو محشكت نحبشين أي وعندما (أو بما أنه) بلغ إليهم أو وصل إليهم سفراء النجاشي (ملك الحبشة) ، ثم ووصحهمو : سفراء ملك الروم ووفود ملك فارس ورسل المنذر (اللخمي) ورسل الحارث بن جبلة (الغساني) ورسل أبي كرب بن جبلة (حاكم عربي شمالي بلا شك) .

ويأتي ذكر توارد الوفود في أعقاب ذكر قائمة الأقيـال الموالين التي تأتي بدورها بعد ذكر مبايعة الأقيال الثـائرين وقبل استئنـاف العمل في ترميم العرم الذي خصص له الجزء الأخير من النقش .

فهل قصد أبرهة أن يقول بأن الوفود كلها جـاءت في الفترة بعـد مبايعة الثائرين له وقبل استئناف العمل في العرم ؟

إن الفسحــة بين تجمـع القبــائــل للمرة الأولى (تشرين الأول) والموعـد المضروب لعودتهم (كانون الثـاني) تبـدو فترة قصيرة نسبيـاً . ومع ذلـك فـإنـه ليس هنـاك مـا يمنـع من أن يكـون أبرهـة قـد التزم التسلسل الزمني . على أنه لا يعقل أن يكون وصول الوفود قـد حـدث دفعة واحدة . كما أن هناك غموضاً حول مكان استقبال الوفود فـأبرهـة لم يذكر أنه غادر مارب إلى عـاصمتـه . وهـذا يجعلنـا نفترض أنـه بقي بمارب كل تلك المدة . ولعل الوفود كانت قد تحركت من أوطانها قبل أحداث التمرد في المشرق وبعـد أن أحس الحكام الـذين أوفـدوهـا بـأن أبرهة قد أحكم قبضته على البلاد . كما يحتمل أنها تجمعت في العـاصمـة ثم استقدمت إلى حيث كان يقيم الملك .

ولكن مهما يكن من أمر كل ذلك فإنـه لا يمكن تفسير الغرض من وصولها إلا بشيء واحـد مشترك وهو تهنئـة أبرهـة بتوليـه الحكم وبحث العلاقات والمصالح المتبادلة مع النظام الجديد .

وإذا صح هذا التفسير فإن مكان النقش برمته لن يكون بعيداً عن بداية حكم أبرهة إلا بقدر ما يحتاجه بلوغ خبر استقراره على العرش إلى تلك الأقطار من وقت .

فأبرهة ، على ما يبدو ، تمكن من فرض سلطانه خلال فترة قصيرة من الإطاحة بسميفع . ولم يكن التمرد والثورة إلا حادثاً عابراً رغم خطورته . بل لعل الوفود التي قصدته من الخارج لم تسمع بالحادث قبل وصولها إلى اليمن .

ونعزو نجاح أبرهة الخاطف إلى عوامل ثلاثة محتملة :

١ ـ التخطيط المسبق للانقلاب/الثورة التي أوصلت أبرهة إلى العرش . وهو تخطيط تمَّ في سرية وشاركت فيه أطراف عديدة . هذه الأطراف كلها من زعماء المناطق الغربية من بعض الأسر سبئية الأصل كآل ذي جدن وبعض كبار الأقيال الحميريين أو الذين غدوا يعدّون من حمير في ظل حكم التبابعة الطويل كذي فائش وهمدان . وكلها أسر لها من الأسباب ما يجعلها تتربص باليزنيين .

٢ ـ عنصر المفاجأة التي بوغت بها أقيال المشرق والتي سهلت الإطاحة بسميفع الذي يقول بروكوبيوس إنه حوصر في قلعة . ومثل هذا قد حدث في القرن الثالث مع بعض الفوارق ، وذلك حين أسر شعر أوتر صهره إلعازيلط ملك حضرموت وهو بذات غيل من أرض

قتبان تفصله عن عـاصمتـه الرمـال . وأرسل في الوقت نفسـه ، مفرزة سبئية مكونـة من ثلاثين رجلاً وحسب ، احتلت القصر شقير في شبوه بسهولـة مـذهلـة قبـل أن يفيـق الحضـارمـة من صـدمـة المبـاغتـة (الإرياني ١٣) . ومعروف أن أسرة حضرميـة أخرى هي التي حكمت حضرموت بعـد ذلـك ـ هي أسرة أحرار يهبئر التي سبق لهـا أن ثـارت على إلعازيلط .

٣ ـ موقف حضرموت من اليزنيين من الأساس . وانتهازية يزيد من البداية . ثم عدم جدية العمل الذي قام به حين ثار المشرق ، ربمـا لعجزه عن جمع قوة كافيـة للصمود ، الأمر الـذي سهل سحق الثـورة في مهدها .

إن استقبال الوفود في تلـك المرحلـة من مراحل تطور الأحـداث التي يصفها النقش لبمثابـة الخـاتمـة السعيـدة لقصـة استيلاء أبرهـة على الحكم .

عملية ترميم العرم وتكاليفها (الأسطر ٩٢ ـ آخر النقش) :

أما الجزء الأخير من النقش فكله مكرس لوصف سير أعمـال ترميم العرم ، وقد قدم له بنفس الطريقة التي قـدم بهـا للأحـداث الرئيسيـة أي باستخدام الأداة (ك) = (بمناسبة ، وعندما ، وبمـا أنـه) ، ربمـا لأن تلك كانت البداية الحقيقية للعمل الذي توقف من قبل في بدايته بسبب الوباء . فالنقش يقول : (وكعبدن ذتريـد ضللن بحمـد رحمنن

وردو أشعبن) إلخ . أي وبما أنه بعد أن انحسر الضلال (الهلاك / الوباء) بحمد الرحمن وردت القبائل إلخ .

وليس في هذا الجزء ، الذي يشكل من ناحية عدد أسطره ما يعادل ثلث النص كله تقريباً ، ما يضيف شيئاً إلى معلوماتنا عن الأوضاع العامة . فهو قاصر على وصف عملية الترميم وتكاليفها . وفي هذا الجزء يتشبه أبرهة بشرحبيل يعفر الذي يشير إليه بلقبه (يعفر) (سطر ٩٨) . ويبدو أنه اتخذ من نقش ذلك التبع (C1H540) دليلاً له في الإعداد للعملية وتنفيذها . كما أنه أراد بوضع نقشه هذا إلى جوار ذلك النقش أن يتباهى بذلك الإنجاز العظيم الذي يجاري فيه ما قام به قبله شرحبيل ، بالإضافة إلى ما حققه من انتصار وذيوع صيت . وكل ذلك لما يجعل اتخاذه اللقب الطويل لقب التبابعة اسماً على مسمى واستئنافاً لسياسات العصر الذهبي القديم عصر التبابعة بعد انقطاع دام بضعة عقود . ويتجلى ذلك بقوة من نقش سبقت الإشارة إليه (Ry506) شاءت الصدف أن يصل إلينا في حالة حسنة . فمنه نعلم أن أبرهة وجه ضربة إلى معد بأثر تمرد قام به بنو عامر ، (ابن صعصعة من هوازن على رأي جواد علي) ، وأدت إلى استسلام معد كلها وتقديمها الرهائن ، كما يحرص النص على أن يقول : ثم استخلف أبرهة عليهم المنذر (اللخمي غالباً) الذي وضع ابنه رهينة لدى أبرهة مقابل استخلافه أو استعماله .

وليس فيما فعله أبرهة التبع أو ما فعله المنذر اللخمي (إذا صح الاستنتاج) ما يدعو إلى الاستغراب ، فما كان لحاكم في ذلك العصر مهما بلغ من القوة أن يسيطر سيطرة مباشرة على مناطق شاسعة تتخللها الرمال كتلك التي تمتد فيما بين اليمن والحيرة . وأبرهة ، بعد ، إنما استبدل ملوك كندة بملوك الحيرة . وهذا يجرنا إلى تاريخ انهيار حكم كندة في معد ، وتقدير البعض عام ٥٤٨ وقتاً لمقتل حجر والد امرئ القيس ، وهو مجرد تقدير قابل لأن يعدل وأن يقدم ليستقيم ما جاء في النقش عن استخلاف المنذر على معد كلها .

الخلاصة

أما ما جرى بعد ذلك ـ بما فيه حملته الشهيرة على مكة ، والتي تختلف الآراء حول تاريخها ، والتي يقال إنها حدثت قبل وفاته مباشرة ـ فلا سبيل إلى الخوض فيه في هذه الورقة .

وأما ما يقال عن زمن الحملة الفارسية التي جاءت بآخر الملوك اليزنيين ، وهو معد يكرب حسب رواية المسعودي مثلاً ، أو سيف حسب غالبية الروايات ، فهو أمر لا يعنينا منه ، في هذا السياق ، إلا مسألتان :

المسألة الأولى : أن ذلك يحدد نهاية عهد أسرة أبرهة التي حكم منها بعده كل من :

(أ) أكسوم (كما في النقش ويكسوم كما في الشعر والمصادر العربية) الذي كان قد بلغ مبلغ الرجال في صدر حكم أبيه بدلالة كونه تولى قيالة ردمان كما يفهم من النقش .

(ب) ثم أخوه مسروق ، الذي لم يعرف إلا من المصادر العربية الإسلامية والذي يقال تارة بأن أخواله من آل ذي يزن وتارة بأنهم من آل ذي جدن - وهو اختلاف يعكس ، أغلب الظن ، التداخل بين حظوظ تلكما الأسرتين أو المقولتين اللتين ارتبطتا معاً بصورة ما منذ القرن الخامس وحتى نهاية الربع الأول من القرن السادس وقت الحملة الحبشية عام ٥٢٥ م (C1H621) وافترقتا بعد ذلك كما رأينا . وتحديد نهاية حكم الأسرة إذا صح أنه كان في نحو عام ٥٧٥ ، كما هو الرأي السائد ، يساعدنا على معرفة المدة التي قضتها في الحكم بغض النظر عن فترة كل واحد من ملوكها (وهذه مسألة أخرى فيها نظر) ، إذ أنها تصبح أكثر من ثلاثين عاماً إذا كانت بداية حكم أبرهة في نحو العام ٥٤٠ م ± ، كما نتصور ، وأكثر من أربعين عاماً إذا صح ما ذهب إليه البعض من حيث كون الانقلاب على سميفع قد تمّ مبكراً في نحو العام ٥٣٠ م ± . فكلا التقديرين كاف لحكم أب وابنه من بعده ، خاصة وأن حكم الثاني منهما انتهى بانتفاضة مدعومة من الخارج أودت بحياته .

والمسألة الثانية : هي وصول اليزنيين مجدداً إلى العرش بعد فترة لا تقل عن ثلاثين عاماً ، وهي فترة طويلة تبرر الروايات التي تقول بأن الساعين إلى استرداد العرش منهم كانا اثنين ، أب مات بباب كسرى بعد أعيته محاولة إقناعه بالتدخل ، كما أعيته محاولة إقناع قيصر من قبله ، وابن هو الذي نجح فيما فشل فيه أبوه كما يقول الإخباريون في قصة تختلط فيها الحقيقة بالخيال .

وذلك إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أن التدخل الفارسي إنما حدث في لحظة مؤاتية بعد أن حدثت تحولات على الصعيدين المحلي في اليمن والدولي في العلاقات بين الفرس والروم - تحولات حتمت التدخل وسهلته في آن واحد .

على أن العبرة من وصول اليزنيين إلى العرش بتلك الصورة إنما تؤكد ما ذهبنا إليه من عجزهم في استلام الحكم بدون دعم خارجي لوجود معارضة قوية لهم في مغارب اليمن حيث يقع مركز السلطة ، وهو غالباً صنعاء المدينة التي تتوسط الهضبة ، في حقل رحب من حقولها الثمانية اسمه الرحبة ، تحيط به مقولات (مقاطعات) أقيال كثيري العدد والعدة ، آباؤهم أو البعض منهم هم الأقيال الأرحبيون الذين قتلوا على يد الأحباش (C1H621) دون أن يحرك اليزنيون ساكناً (؟) .

ولا عجب في أن آخر ملوك أسرة أبرهة حين جاءته القوات المعادية استقبلها في جيش لا يستهان به من كهلان (وهي ترمز إلى سبأ) وحمير ومن الأعراب أيضاً كما تقول بعض المصادر الإسلامية (انظر المسعودي) .

على أن هذا كله إنما يزكي استشراء نزعة التفكك التي بدأت منذ حين خاصة بعد يوسف أسأر (كما يفهم من رواية للهمداني) والذي خذله بعض الأقيال في مواجهة الأحباش كما تقول المصادر ومنها الطبري .

وهي النزعة التي كان من أسبابها ونتائجها أيضاً محاولة اليزنيين الوصول إلى الحكم بأي ثمن . وكان الثمن باهظاً .

وهي هي النزعة نفسها التي جعلت أقيال الهضبة المناوئين لليزنيين ، مع كثرتهم يلجؤون هم بدورهم (ولأسباب موضوعية أخرى لا سبيل إلى بسطها) إلى الاستعانة بزعيم طارئ عليهم ، هو أبرهة ، ضد سميفع ، تماماً كما فعل المصريون ، ذات يوم في العصر الحديث ، حين التف زعماؤهم حول محمد علي باشا . وما فعل الأقيال ذلك إلا لفشلهم في الالتفاف حول واحد منهم كما كانوا يفعلون في العصور السابقة ، ولحاجتهم ، هم أيضاً ، إلى دعم القوة الحبشية الموجودة بين ظهرانيهم .

ومن ثم فإن النهاية المأساوية للملك اليزني الأخير (إن كان اسمه معديكرب أو كان سيف) كما تصورها المصادر العربية الإسلامية ، بأسلوبها الذي يطغى عليه الخيال القصصي ، إنما كانت نهاية متوقعة . فقد جاءت نتيجة حتمية وطبيعية بعد أن زادت واتسعت خروق الثوب القديم الذي نسجه التبابعة فتمزق ورقعه أبرهة .

وهكذا توزع اليمن إلى مناطق متفرقة يحكمها الأذواء الذين يرمز إليهم أحياناً بالمثامنة (وهي ثمانية من الأسر اقتسمت الملك بعد سيف بن ذي يزن) حسب رواية أوردها ابن رسول في (طرفة الأصحاب) لعلهم كانوا أبرز الأذواء في المناطق الغربية في تلك المرحلة . (راجع أيضاً دراستنا عن المثامنة في الجزء الأول من هذا الكتاب) .

ولقد اضطر الفرس إلى التخلي عن فكرة الاحتماء وراء ملك محلي ، ربما لاستحالة ذلك ، واقتنعوا بحكم صنعاء وما حولها حيث كانت تتمركز قواتهم . فكانت تلك حصتهم من اقتسام تركة التبابعة . ولم يكن عاملهم فيها عندما جاء الإسلام أكبر مكانة من غيره من الأذواء الذين توجه إليهم الرسول عليه الصلاة والسلام بالدعوة .

مراجع الورقة

تقوم هذه الورقة على استخلاص النتائج من استطلاعات ميدانية في بعض المواقع الأثرية مثل (ينبق) وهو شعب متفرع من وادي عمقين من أودية ما يعرف بالمشرق معقل اليزنيين قديماً ، و (كدور) وهو جبل منيع ذو مزايا فريدة اكتشفنا فوقه (آثار المصنعة) أي القلعة التي ذكرت في نقش أبرهة ، وحصن الغراب المعروف قديماً بـ (عر) (جبل) ماوية وفيه النقش الموسوم بـ (C1H621) . أما الأحكام التي أرسلناها إرسالاً في ثنايا الورقة ولم نقيدها بهوامش تفصيلية لكثرتها فهي نتائج مناقشات مفصلة في الدراسات والمقالات المذكورة أدناه والتي أوردنا فيها المصادر والمراجع بالتفصيل . وهدف هذه الورقة هو لَمُّ شتات الأفكار المتصلة بعهد أبرهة في تلك الدراسات والمقالات متخذين من نقش أبرهة (C1H541) ، لأول مرة ، عموداً فقرياً لمحاولة فهم أسباب قيامه وطبيعته ومكانه في السياق التاريخي منذ ظهور الحميريين وحتى ظهور الإسلام ، وهي الفترة التي تشمل القرون الستة الأولى لعصر الميلاد وهذه المراجع هي :

١ ـ عرب الشمال وعرب الجنوب : محاضرة في جامعة عدن أبريل ١٩٧٨ م ، نشرت فيما بعد في مجلة التراث التي يصدرها المركز اليمني للأبحاث ، وأعيد نشرها في الجزء الأول من هذا الكتاب .

٢ ـ أضواء على الأسرة اليزنية (بالإنكليزية) : ورقة قدمت في ندوة الدراسات العربية بكمبردج بعد اكتشاف نقوش ينبق عام ١٩٧٨ م ، ونشرت في نشرة الندوة : PSAS Vo19 1979

٣ ـ موقع كدوز (بالإنجليزية) : ورقة عمل قدمت في الندوة أعلاه في دورة عام ١٩٨١ بعد اكتشاف آثار القلعة هناك عام ١٩٨٠ ، ونشرت في : PSAS Vo111 1981

٤ ـ يمنه : الحلقة المفقودة في سلسلة اللقب الملكي الحميري : مقالة ضمن كراسة تذكارية مهداة إلى عالمة النقوش ، النمساوية ماريا هوفز ، نشرت في جراتز عام ١٩٨١ . وفي الجزء الأول من هذا الكتاب .

٥ ـ الهمداني والمثامنة : ورقة قدمت في ندوة الهمداني بجامعة صنعاء ، أكتوبر عام ١٩٨١ ، نشرت في الجزء الأول من هذا الكتاب .

٦ ـ هوامش على نقش عبدان الكبير : تعليق على النص بإذن مكتشفته الدكتورة جاكلين بيرن : نشر في ريدان (حولية الآثار والنقوش اليمنية القديمة) في العدد نفسه الذي حوى نص النقش كما نشرته العالمة المذكورة من غير شرح أو تعليق (العدد ٤ ، ١٩٨١) .

٧ـ عودة إلى نقش عبدان الكبير : نشر في عدد ريدان ٥ ، عدن ، ١٩٨٨

٨ـ اليزنيون ، خلفية الأحداث التي أدت إلى قيام وسقوط حكم الأحباش في اليمن : مجلة (المنتدى) دبي ، عدد ٣ ، أكتوبر ، ١٩٨٣ ، وأعيد نشرها في الجزء الأول من هذا الكتاب .

٩ـ مملكة نزار وإقليم البحرين : المجلة نفسها أعلاه ، عدد ٦ يناير ، ١٩٨٤ ، وفي الجزء الأول من هذا الكتاب .

١٠ـ هموم عدي بن وداع : المجلة نفسها ، عدد ٨ ، مارس ، ١٩٨٤ ، وفي الجزء الأول من هذا الكتاب .

١١ـ موجز تاريخ اليمن قبل الإسلام : وهو الفصل الأول من القسم الأول من كتاب (مختارات من النقوش اليمنية القديمة) اشترك في تأليفه الكاتب مع الأستاذ بيستون والدكتور روبان والمرحوم الأستاذ محمود الغول ، تونس ، ١٩٨٥ ، والفصل قائم على تلخيص وتنقيح نتائج رسالة دكتوراة دولة في التاريخ من السوربون (باريس) ٤ يونيو ، ١٩٨٣ ، مع إضافات تتعلق بالفترة التي لا تشملها الرسالة وهي عصر التبابعة .

١٢ـ الحارث الرائش ونسبه المختلف فيه : مقالة ضمن كراسة تذكارية مهداة إلى العالم المعروف مكسيم رودنسون . وأعيد نشرها هنا .

٨

الأنساب اليمانية

عناصرها ومصادرها

تعرضت الأنساب وما يتصل بها من أخبار ، بغضّ النظر عن منشئها ، للتحوير والتحريف المستمر من عدة وجوه ، وبفعل عوامل كثيرة تداخلت تلك الأنساب والأخبار وتضاربت وتشعبت إلى درجة أصبحت معها محاولة إرجاع العناصر التي تتكون منها إلى مواضعها الأصلية من الزمان والمكان مرتبة في سياق منطقي ، وتنقيتها من الشوائب ، وفرز (صحيحها من سقيمها) على رأي الهمداني ، مهمة بالغة الصعوبة لوعورة مسالكها .

ومع ذلك فإنه لا يمكن تنكب طريق الأنساب والأخبار وإسقاطها من الحساب عند تناول التاريخ العربي القديم ، فهي تضم في ثناياها الكثير من الحقائق وإن جاءت مشوهة بالحذف والإضافة والتقديم والتأخير ، شأنها شأن كل خبر قديم تتقاذفه الألسن وتلعب به الأهواء عن وعي وغير وعي . وهي ، حتى في جوانبها الموغلة في الإغراب ، متمثلة في الأساطير ، ليست خيالاً طليقاً ولا أحلام

يقظة ، وإنما هي وليدة جهد فني هادف تحكمه قواعد يلعب فيها الرمز دوراً ملحوظاً .

إن عملية تركيب الأنساب (مشجرات) وصياغة الأخبار المتصلة بها (سير) ، بما فيها من أساطير ذات روايات متضاربة في كثير من الأحايين لهي في حدّ ذاتها عملية تاريخية لها في كل حالة من حالاتها دلالاتها المتعلقة بأحوال الزمن الذي وضعت فيه ، وبجذور تلك الأحوال في الماضي ، ومن ثم التاريخ القديم .

ولسنا هنا بصدد تقديم دراسة تفصيلية لهذه القضية فتلك مهمة تنوء بها أقوى الأكتاف ، ولا بد من أن يتوفر عليها ويتظاهر باحثون متخصصون في مساقات مختلفة وخاصة في ميادين اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا ، كما لا بد أن يسبقها مسح توثيقي يتعقب الأخبار القديمة المنبثة في مصادر التراث ويكشفها (أي يفهرسها فهرسة تفصيلية) لتكون في متناول الدارسين بكل شواردها .

ولقد ضاق الأولون قبل الآخرين بحجاج اليمانيين كما ضاقوا بحجاج إخوتهم النزاريين فيما عرف بالصراع اليمني النزاري أو القحطاني العدناني ، إلى غير ذلك من المسميات المختلفة التي لا تخلو من دلالة لما انطوى عليه ذلك الحجاج من مبالغات يصعب قبولها .

كان الإيغال في الادعاءات هو الظاهرة التي اتسم بها ذلك الصراع

الذي كان مبعثه سياسياً صرفاً ، صراع يذكرنا في مبالغاته ـ مع الفارق ـ بالنقائض الشعرية في العصر الأموي نفسه الذي ترعرعت فيه دعوتا القحطانية والنزارية .

وقد استدعي في المعركة واستنفر لها كل الأنبياء الذين حفلت بهم الكتب المقدسة بل وغيرهم ممن لا وجود لهم هناك (الإكليل ٢٧٥/٢ ـ ٢٩٢) وانتحلت أمجاد الفاتحين ، وخاصة الإسكندر المقدوني ، ونسبت إلى أشخاص حقيقيين أو وهميين في الجانبين ، وجمع من ذلك كله تاريخ أو سيرة كما أطلق عليه في مصادر الإخباريين . أو قل أعيدت صياغة ما تخلف من أخبار في الأذهان بعد حشوها بهذه الإضافات .

كان عهد التبابعة الذي سادت فيه حمير كل العرب لَمّا يمض على انقضائه إلا ما يزيد عن القرن بقليل حين بدأ تدوين ، أو إعادة تدوين ، تلك الأخبار في الإسلام . وكان عهد أبرهة الذي دانت له معد كلها (ريكمانز ٦٠٥) كما دانت من قبل التبابعة ، ما زال حيّاً في أذهان من عاشوا في صدر الإسلام ـ عاشه آباؤهم وولد البعض منهم فيه . ومن هنا جاء التركيز على شخصيات من مثل شمر يهرعش وأبيه ياسر يهنعم ، أو (ناشر النعم) تصحيفاً على الأغلب ، وأبي كرب أسعد ، بل وأبي يكسوم أبرهة الأشرم الذي وصف أحياناً بأبرهة اليماني ، كما في قول ابن الخطيم :

فـإن نلحـق بـأبرهـة اليماني   أو النعمان يـوجهنـا وعمرو

كثيرون هم الـذين تعرضوا للخلاف النزاري القحطـاني مستعينين به في محاولة فهم وتفسير بعض الأخبار وخلفياتها ، ولكن إلى أي حـد يمكن الاعتماد على معطيات ذلك الخلاف وحده ؟

إنـا نحـاول في هـذه الـدراسـة إبراز دوافع أخرى غير دوافع نزعتي القحطـانيـة والنزاريـة حين يتعلـق الأمر بصيـاغـة أنسـاب اليمانيين وأخبارهم مشيرين إلى تعدد المدارس وانقسامها منقبين ، بقدر ما تسمح به دراسة كهذه ، عما تمثله أو ترمز إليه ، منطلقين من حقيقـة هـامـة هي أنه فيما يتعلق بـالأنسـاب اليمانيـة وحـدهـا مجموعتـان من المصـادر واحدة شمالية والأخرى جنوبية ..

(1) المصادر الشمالية

-١-

(أ) التحالف القحطاني :

يتسم مـا وصل إلينـا من المجمـوعـة الشماليـة من مصـادر أنسـاب القحطانيين وأخبارهم بسمتين أساسيتين :

(أ) خـدمـة أغراض التحـالف القحطـاني ، الجـديـد أو الموسع في الإسلام ، خدمة مباشرة .

(ب) إهمال ، متعمد أو غير متعمد ، لتفاصيل كثيرة نتيجة جهل أو تجاهل للخلافات اليمنية الداخلية التي ظلت تتفاعل منذ القدم والتي ربما احتدمت في المراحل الأخيرة قبل الإسلام حين استشرت نزعة التحلل والتفكك[1] ، وهي حقيقة تتجلى قوية من مجرد وجود روايات مختلفة بل ومتقاربة في أخبار المجموعة اليمنية[2] .

---

(١) عالجنا هذه القضية لأول مرة في (الهمداني والثامنة) ورقة قرئت في ندوة الهمداني بجامعة صنعاء أكتوبر ١٩٨١ م ، وفي دراسات لاحقة منها :

١ ـ اليزنيون وخلفية الأحداث التي أدت إلى قيام وسقوط حكم الأحباش في اليمن (مجلة المنتدى) عدد ٣ ، دبي ، أكتوبر ١٩٨٣ ، (هـ) وما بعدها وأعيد نشره في دراسات يمنية عدد ١٣ ، سبتمبر ١٩٨٣ ، ص ٧٢ وما بعدها .

٢ ـ (أبرهة تبعاً) ورقة قدمت للندوة التي عقدتها جامعة اليرموك في ذكرى مرور عام على وفاة العالم الكبير الأستاذ الدكتور محمود الغول رحمه الله وهي منشورة هنا .

٣ ـ (موجز تاريخ اليمن قبل الإسلام) وهو الفصل الأول من القسم الأول من كتاب مختارات من النقوش اليمنية تأليف بافقيه ، بيستون ، رويان ، الغول وإصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس ، ١٩٨٥ ، فقرة ٨ ـ ٤ ، ص ٦١ ـ ٦٢

٤ ـ مقالنا (الحنفاء العرب قبل الإسلام) مشروع إطار تاريخي (٢) في الشرق الأوسط عدد الجمعة ٨٥/١٠/٤ ، ص ١٠

(٢) تناولنا هذه المسألة لأول مرة في (الحارث الرائش ونسبه المختلف فيه) مقالة نشرت ضمن كتاب مهدى إلى العالم والكاتب الفرنسي المعروف مكسيم رودنسون بعنوان : =

لقد أضاف التحالف بين القبائل العربية السورية ومن وفد عليها مع الفتح الإسلامي من قبائل يمنية بعداً جديداً لمفهوم اليمنية وأدى إلى ترسيخ ذلك المفهوم وتوسيعه .

ولم يك بروز ذلك التحالف إلا فصلاً في قصة الصراع السياسي على السلطة في الدولة الإسلامية الجديدة . وهو صراع ظهرت إرهاصاته في الخلاف الذي جرى في السقيفة ولما يوارى بعد جثمان الرسول الطاهر ﷺ ، في قبره .

ولكن الخلاف المذكور لا يعد مع ذلك بحال من الأحوال مقدمة للصراع القحطاني النزاري بالذات ، فذلك صراع لاحق نشأ في سوريا ، ولم تكن الظروف ولا الدوافع في الحالتين متطابقة .

ثم إن الأنصار والمهاجرين سرعان ما أعادوا رصّ صفوفهم وراء الصِّدِّيق - رضي الله عنه - وواجهوا جميعاً حركة الرِّدة ، التي استهدفت أول ما استهدفت بقاء الدولة الإسلامية ، وقضوا عليها في مهدها . وهو ما يدل ، في حدِّ ذاته ، على أن جرح السقيفة قد اندمل سريعاً ، هذا إذا جاز وصف ذلك الاختلاف العابر بالجرح .

= Melange Linguistiques offerts a Maxime Rodinson Paris 1988 entre P. 412 et 434

وأعيد نشره في دراسات يمنية (بإذن من الناشر الأصلي) عدد ٢٠ ، أبريل ، يونيو ، ١٩٨٥ ، ص ١٨ وما بعدها .

وحتى في صفين والجمل حين ظهرت المجموعات اليمنية طرفاً في النزاع ، ضمن الأطراف الأخرى ، فلم يكن لها موقف موحد بل كانت موجودة في المعسكرين المتخاصمين على السواء .

ولعلنا نستطيع القول بأن الخلاف حين أطل بوجهه أيام معاوية لم يخرج عن دائرته المرسومة لخدمة التوازن الذي كان ينشده الخليفة الداهية الذي احتفظ لنفسه بدور الحكم في المجادلات والمناظرات بين الفريقين .

كما أنا لا نستبعد أن يكون استماعه إلى قصص عبيد بن شرية محصوراً في دائرة الاهتمام الطبيعي بأخبار الماضين أو تزجية الوقت بالمسامرة للترويح عن النفس .

ومع ذلك فإن القحطانية في شكلها الذي تقدمه كتب التراث ولدت في أرض ذلك العهد وفي أجوائه وفيها ترعرعت ، ثم أخذت تدخل حلبة الصراع السياسي قوة من القوى الفاعلة ، خاصة بعد أن تمّ تكريسها في مرج راهط[٣] .

ولعل بداية قيام حركة تدوين النسب القحطانية في الشمال تعود إلى المدينة المنورة حيث نشأت علوم الحديث والتفسير التي

---

(٣) من المحزن أن بعض الأقلام تناول ظاهرة الردة من منظور إقليمي ضيق فيدافعون عن قضية أثبت التاريخ خسرانها حين كنسها من طريقه بسهولة مذهلة .

صاحبها انتشار القصص التي كان يرويها أمثال كعب الأحبار من مسلمة يهود اليمن تفسيراً لبعض ما جاء في القرآن الكريم من قصص الغابرين . ومنها قصص استعين بها في صياغة ما يسميه البعض (الملحمة القحطانية) . ويظهر أثر ذلك في مثل قصص قوم عاد ولقمان وملكة سبأ وتبع حيث تكون للقصة انعكاسات دينية أو تتصل بالتوراة وتاريخ اليهودية في اليمن .

على أن قصة سيل العرم تبدو أكثر القصص التصاقاً بأهداف التحالف القحطاني في سوريا ، ففيها وجد التفسير المريخ لسبئية بعض القبائل الشمالية من خلال ربطها بالأزد . وفي سبيل تحقيق ذلك الغرض تجوهل تاريخ خراب العرم (سد مارب) الحقيقي ولم يفهمه أولئك الرواة المفسرون أو لعلهم فهموه وتحاموه لأمر في نفس يعقوب ، وأصبحت القصة عندهم داخلة في عداد الماضي غير المحدد بزمن . هذا مع أن الأزد لم يكونوا في مارب حين حدث التصدع ، قبل الأخير ، أيام أبرهة ، وإنما كانت لهم مملكة أو مملكتان كما كانت لغسان مملكة أخرى في شامة[٤] (النصف الشمالي من شبه الجزيرة) منذ القرن الثالث الميلادي على الأقل (زيد عنان ٧٩) .

---

(٤) انظر مثلاً بافقيه وروبان : (من نقوش محرم بلقيس) ريدان ١٩٧٨ ، ص ٥٣ ، تعليقاً على نقش (عنان ٧٥) ، وقد أثبت نقش عبدان الكبير أن ممالك الأسد وغسان ونزار المذكورة في النقش كانت تتقاسم فيا بينها النصف الشمالي من شبه =

حقاً أن سبئية أو تسبؤ ذلك الحشد من القبائل في شتى أنحاء جزيرة العرب ليذكرنا بما يتسم به اسم سبئي من شمولية في المصادر الكلاسيكية الاغريقية القديمة وهو ما فسره البعض بقيام اتحاد سبئي يضم الممالك اليمنية القديمة في فترة من الفترات نتيجة تعاظم شأن سبأ بعد حملات كرب إلى وتر بن ذمار علي (R3945) .

ومع ذلك فسبأ النسابين في المصادر الجنوبية على الأقل هي غير سبأ القبيلة صاحبة مارب (انظر أدناه) . وإنما سبأ عند عامة النسابين ملك هو الأكبر ، أي الأول بين من حمل الاسم المذكور ، وتجسدت فيه عندهم ذكرى العهد الذي كان فيه اسم سبأ الدولة الطاغية على غيره من أسماء الكيانات أو الممالك اليمنية الأخرى .

لقد جاء الإسلام وسبأ في مارب قبيلة من قبائل ليست هي الأعز جانباً ولا الأكثر نفراً ، ولم يعد لمارب ، بعد سيل العرم ، إلا ذلك الصيت الذي يتخلف عن مجد عريق والذي يمكن أن نفسر به أمثال تلك الإشارة الشاردة في شعر سلامة بن جندل التميمي حين يقول :

ألا هل أتت أنباؤنا أهل مارب كما قد أتت أهل الدبا والخورنق

= الجزيرة العربية (شامة في النقوش) وأن حدودها تلتقي بعضها ببعض انظر مقالنا : (هوامش على نقش عبدان الكبير) ريدان ١٩٨١/٤ ، ص ٣٨ ـ ٣٩

فلم يبق لسبأ من جنتيهم إلا جنتان ذواتي ﴿ أُكلٍ خمطٍ وأثلٍ وشيءٍ من سدرٍ قليلٍ ﴾ .

هذا وأن علاقة الأزد بمارب وقصة العرم كما تصورها بعض روايات الإخباريين إذا حلت مشكلة نسب الأزد ومن خلالهم غسان فإنها لا تحل مشكلة نسب قبائل أخرى شمالية داخلة في التحالف الجديد ، أو حاول القحطانيون اجتذابها إليه ، وهي القبائل التي عرفت بأنها قضاعية .

واللافت للنظر في أمر تلك القبائل اشتراكها في النسب ، وهي في أقصى الشمال ، مع أخرى في أقصى الجنوب من مثل بني مجيد ومهره من أرباب الإبل . فهل يعني ذلك استقراراً قديماً لجاليات يمنية من أصحاب القوافل التجارية في تلك البقاع وتكاثرها فيها ؟

المعلوم أنه في فترة الازدهار اليمني القديم قبل الميلاد كانت الجاليات اليمنية تنتشر في أجزاء كثيرة من العالم القديم بدءاً بأعالي الحجاز جرياً فيما يبدو على سنة السبئيين الذين هاجر فروع منهم إلى الهضبة الإرترية(٥) .

---

(٥) انظر :

BAFAQIH, M.A., L Unification du Yemen Antique, Paris,1990

وكذلك (موجز تاريخ اليمن قبل الإسلام) في (مختارات من النقوش ..) المتقدم ذكره أعلاه فقرة ١ ـ ٤ ، ص ١٥

ليست هذه محاولة جديدة لتفسير انتساب ذلك العـدد الكبير من القبائل الشامية واليمنية إلى قضاعة ، وإنما هي مجرد ملاحظـة لا يمكن تجنبهـا . أمـا المشكلـة فمن التعقيـد بمكان جعل بعض علمـاء الأنسـاب يحاولون الخروج منها بحل مريح يجعل من قضاعة جذماً مستقلاً بذاته إلى جـانب الجـذمين الآخرين قحطـان ونـزار وكفى الله المـؤمنين شر القتال .

(ب) لماذا قحطان ونزار ؟

ونحن إذا فرغنـا من أمر الأزد وقضـاعـة فتبقى أمـامنـا قضيـة اختيار قحطان ، دون غيره ، مرجعاً أو جداً أسطوريـاً أعلى لتحـالف القبائل اليمنية سواء من يعتقد أنه هاجر شمالاً في الجاهلية العتيقة ومن خرج في فترة الفتوحات الإسلامية الأولى .

وإنه ليحق للمرء أن يتساءل لمـاذا لم يتوقف النسـابون اليمانيون ، شماليون.وجنوبيون ، عند سبأ ، بعد أن استخدموا قصة العرم لإثبـات سبئية فقحطانية الأزد ، وخاصة حين كان المنـافس لليمن هو القيسيَّـة وحدها ؟

أيكفي لتفسير إبراز اسم قحطـان ، وهـو في الـواقـع اسم قبيلـة عربية معروفة في النقوش ، ما وجده النسابون من إمكان الربـط بينـه وبين يقطان في التوراة ؟

إن هذا يجعل دور الإسرائيليات في قضايا النسب القديم دوراً حاسماً ولكن بعيداً ، هذه المرة ، عن القصص القرآني إذ لا ذكر لقحطان في القرآن .

إنها أسئلة لا يمكن تجاهلها حتى لو كانت محاولات الإجابة لا يمكن أن تخرج عن نطاق الرجم بالغيب .

ومع ذلك فإن أحداً لا يستطيع أن يجزم بأن القحطانية جاءت في الإسلام ، فهذا على سبيل المثال هو كليب أخو المهلهل يقول فيما نسب إليه من شعر :

على كل أبيض من نزار يساقي الموت كرهاً من يساقي

ويقول :

لقد عرفت قحطان جدي غداة خزاز والحقوق دوان

ففي هذين البيتين نجد مقابلة بين نزار وقحطان في معرض الفخر بانتصار قوم كليب الذين يسميهم نزاراً على خصومهم الذين يسميهم قحطاناً .

ويوم خزاز أو خزازي الذي يتحدث عنه الشاعر الربعي هو نفس اليوم الذي ذكره بعده بوقت طويل نسبياً وفي معرض فخر عام الشاعر التغلبي الذي لم يحضر الموقعة ، نعني عمرو بن كلثوم ، في

قوله :

ونحن غـداة أو قـد في خـزارى   رفـدنـا فـوق رفـد الرافـدينـا

وفي ذلك قال بعض نقاد الشعر القدامى إنه يوم ما كان ليدرى به لو لم يذكره عمرو في شعره . وهو قول يلقي ظلالاً من شك على صحة قول كليب (وهو أقدم) ولكنه لا يقوم حجة على صدق أو عدم صدق نسبة الشعر إلى الشاعر .

هـذا ولم يكن يـوم خـزاز أول أيـام اليمانيـة والنزاريـة ففي نقش عبـدان الكبير وصف تفصيلي لحملات حميريـة على أراضي نـزار ومعـد (هكـذا !!) في القرن الرابـع الميـلادي والفـارق الـوحيـد بين تلـك الحملات ويوم خزاز هو أن الأولى كانت مقـدمـة لإخضـاع نزار ومعـد لليمن في حين أن يوم خزاز ربمـا كان مقـدمـة لانعتـاق نزار من هيمنـة اليمن .

ويوم خـزاز الـذي لا يعرف أحـد تـاريخـه على وجـه التحـديـد يكـون ، إذا صحت نسبـة الشعر إلى كليب ، قريبـاً من نهـايـة القرن الخامس وهو الوقت الذي أخذت فيـه دولـة التبـابعـة في الانحـدار ممـا جعل كندة تواجه التحديات دون دعم يذكر مما أدى إلى سقوطها بعـد ذلك بوقت غير طويل[٦] .

---

(٦) يختلف المؤرخون في تقـدير تـاريـخ مقتـل حجر بن الحـارث والـد امرئ القيس =

إن المقـابلـة بين نزار وقحطـان هنـا تـذكرنـا بـالعلاقـة بين نزار المملكة القـديمـة في إقليم البحرين[7] وقحطـان المملكـة المجـاورة أسفل اليمامـة والتي عرفت في بعض المراحـل بمملكـة كنـدة وقحطـان (جام ٦٣٥) ، وهو أمر له دلالته من حيث أن الأنساب في مراجعها ومستوياتها العليا تستند إلى ذكرى مجد قديم يتمثل في تحـالف أو دولـة وهو ما ينطبق على سبأ كما ينطبق على حمير .

-٢-

الحق أن صيغـة الأنسـاب ومـا يتصل بهـا من أخبـار في الأعمـال المعروفة التي يمكن اعتبارها قحطانية شماليـة تبـدو صيغـة توفيقيـة في أحسن الأحـوال ، وتلفيقيـة في أسوئهـا مسخرة لخـدمـة التحـالف القحطاني في بعده الجديد الذي سبقت الإشارة إليـه والـذي أوجـدتـه أوضاع الحكم وصراعات الأروقة في البلاط الأموي .

= الشاعر (الملك الضليل) ، وهو التاريخ الذي انفرط فيه عقد الحكم الكنـدي في معد . ولكن تقـديراتهم لا تتقـدم بـأي حـال عن تـاريخ ثورة يوسف أسـاريثـأر (ذي نواس) الذي جاء على أنقاض دولة التبابعة الحميريين حوالي ٥١٧
وانظر مقـالنـا (الشعر الجـاهلي واليمن) في دراسـات يمنيـة ٤١ صنعـاء - أغسطس ١٩٩٠ م ، ص ٣٣ ، وفي آخر هذا الكتاب .

(٧) انظر مقالنا (مملكة نزار وإقليم البحرين) في (المنتدى) عـدد ٦ ، دبي ، ينـاير ١٩٨٤ م ، ص ٦ ومـا بعـدهـا ، وأعيـد نشره في (دراسـات يمنيـة) ص ٥٧ وما بعدها . وفي العربية السعيدة جـ ١ ص ١٠٧

وتبرز هذه الظاهرة في التيجان مثلاً أكثر منها في أخبار عبيد بن شريه ، وهما العملان الرئيسيان اللذان وصلا إلينا في صورة أقرب ما تكون إلى التاريخ من ناحية اتباع نوع من التسلسل الزمني .

ومع أن بعض جوانب الاختلاف بين العملين فيه ما يشي باختلاف المصادر أو المدارس التي قام عليها كل منهما فإنها على النقيض من الاختلافات في المصادر الجنوبية ، يصعب تتبعها إلى منابعها . فهناك على سبيل المثال اختلاف صريح في متناول كل من عبيد بن شريه ووهب بن منبه صاحب التيجان لنسب الحارث الرائش ، اختلاف يبدو فيه عبيد أقرب ما يكون إلى أفكار المدرسة التي يمثلها الهمداني وهي مدرسة كهلانية في مجملها تتعارض مع أفكار المدرسة الحميرية الصرفة كما يمثلها نشوان بن سعيد الحميري . هذا في حين أن ما يورده التيجان لا يمثل وجهة النظر الحميرية ، ومن ثم قد يمكن اعتباره كهلانياً ، ولكنها كهلانية غير كهلانية الهمداني .

وهكذا إذا تركنا جانباً أخبار عبيد التي تغلب عليها صبغة المسامرة والعناية البارزة بالأشعار[٨] فإن نظرة على سلسلة النسب في

---

(٨) انظر ذيل (كتاب التيجان) من ملوك حمير عن وهب ، ص ٣٢٣ وما بعدها ، (أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها على الوفاء والكمال) . طبعة مصورة أصدرها مركز الدراسات والأبحاث اليمنية .

التيجان (انظر الجدول رقم ١) ومقارنتها ولو جزئياً بما في سلاسل النسب عند المجموعة الجنوبية كما وصلت إلينا (انظر مثلاً جدول رقم ٢) تظهر جلياً ما نقصده بالتوفيق والتلفيق .

ففي مراتبها العليا تتكون سلسلة النسب في التيجان من أسماء تبرز أهل الركن الجنوبي الغربي من اليمن ، سكسك ومعافر ، وهم أذواء لم يبلغوا يوماً مستوى الملك (س ٤ ـ ٧) .

ـ ثم تعرج بعد ذلك مباشرة على أبناء عاد وهو ما يمكن تفسيره بتأثير القصص القرآني كما قد يمثل أفكار مدرسة ضاعت أخبارها (س ٨ ـ ١١) .

ـ ومن خلال ربط الحارث (وهو نفسه الرائش) بالهمال بن عاد إلخ (س ١١) تخرج بقضية نسب ذلك الملك من دائرة الصراع الكهلاني الحميري كما يظهر في المصادر الجنوبية ، وتدخل به دائرة أخرى[٩] أوسع .

ـ أما الأسماء التي تفصل بين الحارث وناشر النعم (ياسر يهنعم) فهي في جملتها شبيهة بما عند الهمداني ونشوان وإن تقدم ذكر الصعب

---

(٩) يجد القارئ صورة أشمل لتاريخ النساب للحارث والرائش (الحرث) عند ابن خلدون في تاريخه طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات المصورة ، بيروت ١٩٧١ م ، ٢/٥٠ ـ ٥١

ذي القرنين هنا كثيراً (س ١٢ ـ ١٩) وأضيف اسمان (س ٢٠ ـ ٢١) تمشياً مع الاتجاه العام للسلسلة .

ـ إنها وإن اتفقت مع المصادر الجنوبية من حيث الفصل بين شمر يهرعش وأسعد أبي كرب ، أو تبان أسعد أبو كرب ، بأسماء لا صلة لها بالواقع (س ٢٤ ـ ٢٧) إلا أنها تتميز بإيرادها أسماء يفترض أنها أزدية (س ٢٥ ـ ٢٧) .

ـ ثم تتميز قرب نهايتها بكثرة الأسماء الصحيحة أو القريبة من الواقع وذلك في الفترة بين أسعد أبي كرب وسيف بن ذي يزن حيث يرد اسم أبرهة الأشرم مع التأكيد على حبشيته ، بل وتذكر ابنه يكسوم من بعده (س ٣٧ ـ ٣٨) .

(جدول رقم ١)

تسلسل الملوك في كتاب (التيجان)

١	سبأ
٢	حمير
٣	وائل
٤	السكك بن وائل
٥	يعفر بن السكك
٦	عامر ذو رياش (أول الأذواء)

٧	المعافر بن يعفر
٨	شداد بن عاد
٩	لقمان بن عاد
١٠	الهمال بن عاد
١١	الحارث الرائش بن الهمال
١٢	الصعب ذو القرنين
١٣	أبرهة
١٤	العبد بن أبرهة
١٥	عمرو بن أبرهة
١٦	شرحبيل بن يعفر
١٧	الهدهاد
١٨	بلقيس
١٩	رحب عم بن سليمان
٢٠	مالك بن عمرو يعفر
٢١	عمرو بن الحارث بن معتاض
٢٢	ناشر النعم
٢٣	شمر يهرعش
٢٤	تبع صيفي بن شمر يهرعش
٢٥	عمرو بن عامر مزيقيا

٢٦	عمرو
٢٧	ربيعة نصر
٢٨	تبان أسعد أبو كرب
٢٩	حسان بن تبان
٣٠	عمرو بن تبان
٣١	عبد كاليل
٣٢	تبع بن حسان
٣٣	ربيعة بن مراثد
٣٤	حسان بن عمرو
٣٥	لحيعة بن ينوف[١٠]
٣٦	ذو نواس ، زرعة بن تبان أسعد[١١]
٣٧	أبرهة الأشرم
٣٨	يكسوم
٣٩	سيف بن ذي يزن

(١٠) هذا هو الملك الذي ثار عليه ذو نواس وليس في المصادر النقشية ما يؤيد حدوث ذلك أو ينفيه . وقد تعرض اسم لحيعة للتحقيق في المصادر المختلفة ؛ وينوف هو بلا شك لقبه الشخصي ولكن الإخباريين يجعلون اللقب اسم أب كما في هذه الحالة ، أو يجعلونه اسماً لشخص آخر كما فعل الهمداني في حالة علهان نهفان .

(١١) لنلاحظ أن سبعة ملوك يفصلون بين ذي نواس وتبان أسعد (ص ٢٩ ـ ٣٥) ومعلوم أن هناك ما لا يقل عن نصف قرن بين أقدم نقش مؤرخ معروف =

II ـ المصادر الجنوبية

ـ١ـ

أما المصادر الجنوبية (اليمنية) المحلية فتعكس ما احتفظ به الأسلاف وتوارثه الخلف متواتراً مقترناً بتقلبات العلاقات بين الجماعات الباقية في اليمن حتى بعد قرون من ظهور الإسلام .

وأهم الأعمال المعروفة في هذه المجموعة هو بلا منازع الإكليل للهمداني (ت بعد ٣٣٦ هـ غالباً) ثم القصيدة الحميرية لنشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣ هـ) وشرحها المسمى خلاصة السيرة الجامعة(١٢) ، وأخيراً طرفة الأصحاب في علم الأنساب لابن رسول (ت ٦٩٦ هـ) آخر ورثة علوم اليمن القديم وإن كان قد اعتمد الانتقاء

= شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد وأقدم نقش مؤرخ معروف يذكر يوسف أسار يثأر .

(١٢) تحوي خلاصة السيرة الجامعة قدراً حسناً من الأخبار التي لا نظن أنها بعيدة عما حوته أجزاء الإكليل الضايعة . فالمعروف أن نقاط الاختلاف بين نشوان والهمداني تتعلق بتجاذب الحارث الرائش بين الصوار بن عبد شمس وبين قيس بن صيفي من حمير الأصغر ، وبما نسميه الفترة التبعية ـ الهمدانية (مقالنا الحارث الرائش ، ومختارات من النقوش كأعلاه) .

من زاوية فيها عودة إلى التركيز على الأزد لما قال من انتساب أسرته إلى تلك الأرومة[١٣] .

وهناك فيما يبدو وفيما يتوقع أعمال أخرى قد لا تكون أقل أهمية ولكنها ضائعة نلمس أثرها ولا نراها ، خاصة تلك التي تتعلق بتاريخ حضرموت قبل التبابعة[١٤] .

والظاهرة البارزة في السير اليمانية المعروفة ، شماليها وجنوبيها ، هو قيامها على تقسيم اليمن إلى سلالتين تنحدران من سبأ هما سلالتا حمير الأكبر وأخيه كهلان اللذين يوصفان أيضاً بالفرعين وبالشعبين .

(أ) حمير :

ويثير ورود اسم حمير في تلك المرتبة العالية من النسب الكثير

(١٣) يمتاز كتاب ابن رسول ـ في نظرنا ـ بأنه اطلع على أعمال الهمداني الضائعة وأعمال نشوان المعروفة ونظن أن موقفه الخاص من قضايا النسب جعله يورد معارف عن الهمداني وغيره تجاهلها نشوان أو عارضها .

(١٤) انظر على سبيل المثال تاريخ ابن خلدون المشار إليه أعلاه ص ٣٠ ـ ٣١ أخذنا في الاعتبار أن الفقرة تعرضت لتصحيف في الأسماء يمكن تقديم الكثير منها . فذو قيعان هو غالباً ذو فيفان بالفاء وذو عيل غالباً ذو عبل بالباء وبدعيل بن بدعات هو يدع إلى (يدعيل) بن يددع أب (يدعاب) . وهذه في الغالب أساطير حضرمية تشكلت حول نواة من أخبار تدعمها النقوش وحورت لتخدم أغراضاً من أغراض الخلاف بين المدارس النسبية المختلفة . ولعل ما يستحق التأمل أكثر من غيره في تلك الأساطير ، الإشارة إلى عاد .

من البلبلة وذلك لأن لفظة حمير لم تظهر في النقوش القديمة المعروفة ، ولم تكن اسماً لكيـان سيـاسي متميز أو دولـة قبـل قيـام أذوائيـة بني ذي ريدان أصحاب القصر ريدان في ظفار في وقت لا يتجاوز ـ على الأرجح ـ عـام ١١٥ ق.م . وقبـل قرن تقريبـاً من أقـدم ذكر لهم في المصادر الكلاسيكية الإغريقية التي ندين لها بالكثير من أخبـار الفترة العتيقـة ، نعني الإشـارة الواردة في مؤلف من القرن الأول للميلاد التي يقول فيها صاحبها ، وهو بليني (ت ٦٩ م) إن حمير كانت أيام الحملة الرومـانيـة على اليمن (ح ٢٤ ق.م) أكثر الأقـوام عـدداً ، وهـو مـا يـذكرنـا بمـا جـاء في الأنسـاب عن جشم ، التي منهـا حمير الأصغر (انظر جدول ٢) ، والتي يقول عنها الهمداني إن فيها العدد والثروة ، وأنها العظمى بين من حمل اسم جشم من العرب (الإكليل ٢/٤٤) .

يضـاف إلى ذلـك أن اسم (كهـلان) ، في النقـوش المعروفـة ، حديث هو الآخر ، ولا يتجاوز أواخر القرن الثالث حين وصفت سبأ مارب بأنهـا (سبـأ كهلان) ، وهو مـا يحتمل تفسيره بـأنـه لقب أضفي على تلك القبيلة العريقة في لحظة وصول بني ذي ريدان الحميريين إلى عرش مـارب والقصر سلحين ، تكريمـاً لهـا واعترافـاً بعلـو مكانتهـا وتطييباً لخاطرها(١٥) ، وكانت سبأ طيلة قرون عـديـدة قبيلـة ودولـة

(١٥) أو هو لقب قديم للقبيلة أحيته تباهياً منها وتأكيـداً لمكانتهـا في الوضع الجديـد ، =

متميزة حتى بعد ظهور حمير القبيلة أو جماع القبائل والـدولـة . وظلت كذلك حتى قرب نهاية القرن الثالث الـذي اشتـد فيـه الصراع السبئي الحميري قبل أن ينفرج نحو نهـايتـه بتراضٍ على سيـادة بني ذي ريـدان للطرفين[(١٦)] .

ولهذا فإن وجود حمير بعد سبـأ الأكبر مبـاشرة إنمـا يمثل محـاولـة مكشوفة ، ليس لها غور يسبر ، لإثبـات عراقـة حمير في الحكم وجعلهـا الوريث لسبـأ الـذي أصبح في الأنسـاب رجلاً وملكاً اختزلت فيـه كل الأمجاد السبئية بالمعنى النقشي .

وهكـذا فـإن اقتران حمير الأكبر بكهـلان يجعـل كل الأنســاب والأخبار مرتبطة في الواقع بـذلـك اللقـاء المتـأخر ولكن مع إحسـاس غامض من واضعيها أو جامعيها بالعمق التاريخي الحقيقي لدولة سبـأ التي كان حكم التبابعة امتداداً لهـا بـدلالـة الإبقـاء على اسمهـا متصـدراً

= وهي المكانة التي تتجلى أيضاً في صفة (الأسبوء) لعشائرها أو أسرهـا ذات النفوذ (انظر هامش ١٨) .

(١٦) انظر :

M.A.BAFAQIH. LUnification du Yemen Antique, 3.III

المتقدم ذكره أعلاه على أن عملية الاتحاد من خلال التراضي قد تحققت مرات أيـام سعـد شمس أسرع وذمـار علي يهر وشعر أوتر وتـأران لقب يهنعم أو لعـزم يهـانف وإل شرح يحضب وشمر يهحمد كما ثبت أخيراً من نقش الإرياني ٦٩

العناصر التي يتكون منها اللقب الملكي في أطواره المختلفة حتى عهد أبرهة (القرن السادس) .

ولا شك أن ذلك الإحساس كان وراء سلسلة الأسماء التي تتصدر النسب بين عبد شمس سبأ الأكبر وعبد شمس (الثاني) ، وكلها أسماء ملوك يفترض أنهم تعاقبوا على الحكم في خط مستقيم (انظر جدول ٢) .

ولا تمت تلك الأسماء إلى الحقيقة التاريخية بصلة من قريب ولا من بعيد (جدول ٢) ، والغريب فيها أنه لا يتكرر أي واحد منها مما يخالف طبائع الأشياء وواقع الأسماء القديمة المعروفة للملوك التي تتميز بالتكرار نتيجة لتقيد السلالة المالكة العريقة في سبأ بقائمة أسماء ملكية محدودة (انظر أدناه) .

وكما حدث انقسام وتقسيم للسلطة بعد عبد شمس الأول ، أي سبأ الأكبر ، بين حمير وفيه الملك ، وكهلان وفيه العدد وولاية الثغور ، فإنه بعد عبد شمس الثاني يظهر الصوار الذي فيه الملك وجشم الذي فيه العدد . وهو ما يكفي للدلالة على حدوث تغيير في السلالة الحاكمة . ولا ندري لماذا لم يوصف عبد شمس الثاني - فيما وصل إلينا من مصادر - بأنه سبأ الأوسط وكان حرياً به أن يكون كذلك جرياً على أسلوب صياغة الأنساب . ولكن كما حدث بعد عبد شمس الأول فإن أسماء الملوك حتى إلي شدد بن الملطاط (انظر جدول ٢) تتسم أيضاً بعدم التكرار ، ولكنها تختلف عن الأسماء السابقة في بعض

المظاهر لعل أبرزها أذوائية بعضها وهو ما لا يخلو من دلالة[١٧] .

ويمثل ملك الصوار وبنيه امتداداً لحكم السلالة العريقة ليس فيه انقطاع ، فهو يأتي في الخط الرئيسي المستمر للملوك ويفترض النساب - والهمداني منهم - أن الحكم ظل فيهم حتى مبعث الرسول عليه الصلاة والسلام (طرفة الأصحاب ص ٧١) .

هذا في حين أنه يظهر بين أبناء جشم أخي الصوار (قارن بكهلان أخي حمير الأكبر) سبأ أصغر وحمير أصغر أيضاً يرجع إليه - بإجماع النساب تقريباً - كل الأذواء . ويزيد البعض فيجعل التبابعة من نسله أيضاً وهو موضوع خلاف سنعود إليه .

والجمع بين التبابعة والأذواء في أب واحد هو حمير الأصغر بن سبأ الأصغر من نسل جشم إنما يرمز إلى تغير الحكم في مرحلة معينة هي في ظننا قيام الملك في بني الحارث الرائش المختلف في نسبه . وحميرية ذلك الجمع هي ما نصفه بحميرية الحكم الناتجة عن طغيان اسم حمير على مجمل السيرة القديمة للملوك بتأثير حكم التبابعة الذي دام قرنين من

---

(١٧) انظر (ذا يقدم) و (ذا أبين) ابن الصوار وحفيده عند الهمداني مثلاً في الإكليل ٢ ص ٤٦ ، والجدول ٢ هنا ملاحظاً أن الأسماء التي يسبقها لفظ ذو إنما تقتصر في الواقع التاريخي على الأذواء ، ومع ذلك فإنا نلمس في هذه الأسماء ذكرى تحول الملك من السلالة الملكية التقليدية في سبأ إلى الأقيال والأذواء الذين تنافسوا على وراثة الملك .

الزمان (الرابع والخامس) وامتداده العابر في القرن السادس ، مما انعكس في الشعر الجاهلي .

هذا وهناك حمير ثالث أو ثالثة تسمى أحياناً حمير الكبرى وهي من فروع جشم وإليها يعزو الهمداني دون غيرها اللكنة الحميرية (الإكليل ٢٤٦/٢) .

(ب) كهلان :

سبق أن لاحظنا اقتران اسم أو صفة كهلان بسبأ مارب ، وأن ذلك يعود إلى أواخر القرن الثالث . ففي (جام ٦٥٣) نقرأ شعبن سبأ كهلن أي الشعب سبأ كهلان ، وفي (جام ٧٣٥) يرد على صورة « شعبن سبأ كهلن عد هجرن مارب وأسررهو كهلن أسد اذهبن » أي الشعب سبأ كهلان في مدينة (المدينة) مارب وأوديتها ، كهلان رجال الأودية .

ولكن سبأ مارب أيام الهمداني وفي أعماله لا صلة لها بكهلان ، فهو يقول : « ودعوة سبأ مارب ياللقشيب حزب وحزب ياللهجر . فسألت أبا نصر عن الهجر فقال لا أعرف الهجر إلا من جهران (لعله هجران) ، وهجر يقال له ذو قسد . قال وإنما تسبأت سبأ مارب على سبأ بن لهيعة بن حمير (الأكبر) وهم من وقف عليه اسم السبائية إلى اليوم من دون بطون سبأ الأكبر ودون بطون سبأ الأصغر . قال

فسكن بعضهم قصر القشيب بن ذي حــزفر . وسكن بعضهم بــالهجر وهو سور يمنع قصوراً ، والهجر بـالحميرية القرية والقصـور الملتفة ، فدعوا بالمسكنين . وهم السبائيون أي من ولـد سبـأ بن لهيعـة بن حمير (سبأ الأوسط) . ويضيف : « وقال الأوساني : تسبؤوا على سبـأ بن وائل بن سدد بن زرعة . قـال والهجر قريـة مـارب القـديمـة . ثم بنى بعض آل حزفر بناء بعد ذلك فقيل له القشيب أي الجديد . والقشيب عند العرب كل جديـد من الأشيـاء . وقـال غيره تقشبت القشيب من قبائل شتى على القشيب بن ذي حزفر ، ولف الهجر أقباضاً من قبـائل سبأ » (الإكليل ٣١٦/٢ـ٣١٧) .

وإخراج سبـأ مـارب من صفـة الكهـلانيـة وإن كان مثيراً للاستغراب في ضوء مـا نعرفـه من النقـوش إلا أن مكانهـا المقترح في النسب ـ كما هو عنـد الهمـداني (الإكليل ٣١٦/٢) قريبـاً من البـدايـة واستقلالهـا عن الكتـل الأخرى ، وإن جعلت فرعـاً من حمير الأكبر ، دليل ، وإن كان سلبياً ، على تميزها ، وقد كانت متميزة في التاريخ إذ منحت اسمها لكبرى الممالـك العربيـة القـديمـة . وكانت حـاضرتهـا من كبريات الحواضر في عصرها . وليس مـا يقـال عن تسبئهـا أو تقشبهـا على هذا أو ذاك من الناس ، سواء كان سبأ بن لهيعـة أحـد أبنـاء حمير الأكبر أو سبــأ بن وائــل بن ســدد بن زرعــة (أي حمير الأصغر) و القشيب بن ذي حـزفر ، إلا دليــل على ذلــك التميز وحرص من

جهات ومدارس نسبية يمنية مختلفة على اجتذابها . على أن الربط بينها وبين الحزافر بالذات هو أقرب الآراء إلى حقائق التاريخ . فالحزافر هم من زعماء العشائر السبئية ممن ينطبق عليهم ، فيما نرى ، صفة الأسبؤ (أسبأن في النقوش) وهي صفة يحتل أصحابها ، في نظام الحكم السبئي ، مكانة قبل الأقيال (كما في جام ٥٦٢)[١٨] . وهم أيضاً في نظرنا من يسمون المثامنة عند الإخباريين .

وفي الإكليل العاشر المخصص « لمعارف همدان وأنسابها وعيون أخبارها » :

« أولد كهلان بن سبأ زيداً (وأولد زيد) عريباً ومالكاً وغالباً » (ص ١) وأما بنو عريب بن زيد بن كهلان فهم (ص ١ ـ ٥) :

الأشعر : وهو نبت بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب .
مذحج : وهو مالك بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب .

---

(١٨) عالجنا موضوع الأسبوء « أس ب ء ن في النقوش » في Le Yemen ودراسات لاحقة أخرى ، وتوصلنا أخيراً إلى أن الأسبوء هم نفسهم الثامنة « عند الإخباريين وأوردنا ذلك في بحث قدمناه في ندوة أقسام الآثار بالجامعات العربية المنعقدة بجامعة صنعاء ٢٦ ـ ٣١ مايو ١٩٨٦ م ، وعنوان البحث هو (الأقيال والأذواء ونظام الحكم في اليمن القديم) المنشور في مجلة اليمن الجديد ، العدد الثاني ، فبراير ١٩٨٧ م » .

طيء : وهو جلهمة بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب .

المعافر : وهو ابن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد .. إلخ .

خولان : وهو ابن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد .. إلخ .

ذو جرة : وهو ابن يكلي بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد .. إلخ .

وأما بنو مالك بن زيد بن كهلان فهم :

الأزد أراشة أنمار بجيلة خثعم شهران	وكلهم أبناء نبت بن مالك

وهذه كلها قبائل ديارها خارج الهضبة اليمنية الغربية (نجد اليمن) من ناحية الشمال تجاورت منازلها وربما تشابهت علاقاتها بسبأ في التاريخ القديم . و :

همدان } أبناء الخيار بن مالك
ألهان

وألهـان هي الواقعـة إلى الجنوب من أراضي سمعي القـديمة ، التي منها حاشد وأقيالها بنو همـدان ، وأراضي بكيل . وهي موضع تنـازع بين كهـلان وحمير . وهـو أمر لـه دلالتـه من نـاحيــة أوضــاع بكيـل القديمة ، قبل اتحادها كلها أو بعضها مع حاشد تحت ظل بني همـدان ، إذ أن هناك بكيلاً أخرى تعرف ببكيل الكبرى أو بكيل ألهان ، وهي عندنا الربع الضايع من بكيل[19] . وكانت قـد دخلت في طـاعـة حمير منذ أن اجتاح بنو ذي ريدان نصف الهضبـة حتى ضـاف جنوب نقيل يسلح[20] . ويقول الهمداني (ص ٩) إن « عقب ألهان هم أقرب قبيلة إلى همدان من غيرهم من أولاد كهلان » . هذا وقد يقسم البعض ألهـان إلى ألهانين واحدة كهلانية والأخرى حميرية .

ولنلاحـظ أن همـدان هنـا هي تلـك التي ضمت كـلاً من حـاشـد وبكيــل عبر تحـولات يبـــدو أنهـــا بـــدأت في عصر شمر يهرعش (الإرياني ١٧ وجام ٧٠٨) حين وحّـدت مقولتـا بني همـدان (أقيـال حاشد) وبني سؤران (أقيال بكيل ريدة) تحت اسم ذي همـدان وذي

---

(١٩) انظر :

Bafaqih, LUnification du Yemen Antique, 2.I.38

(٢٠) انظر على سبيل المثال : مختارات من النقوش .. (الموجز ٣ ـ ١٠) .

فيش (أو فائش) وسؤران[٢١] .

ويقرر الهمداني ، في النص كما وصل إلينا ، أنه « لم يكن الملوك القدماء من كهلان إلا من ولد مالك وعريب ابني زيد بن كهلان » (ص ٦) . ولكن غير مفهوم اعتبار أبناء عريب ملوكاً ، اللهم إلا أن يكون في ذلك ادعاء ملك قديم في خولان صرواح مثلاً ، أو أن يكون في الأمر إشارة إلى المعافر الذي ورد في بعض المصادر في عداد الملوك (جدول ١) . والشيء الثابت هو أن المعافر كانت أذوائية تابعة لحمير ، ولقد كان بنو جرة أصحاب مقولة سبئية في القديم ، وكان فيهم ملك[٢٢] في مرحلة حرجة عابرة .

على أن الذي يهمنا هنا من أمر كهلان اليمن هو أن أراضي همدان وخولان صرواح ، وربما ذي جرة أيضاً ، تشكل فيما بينها الرقعة التي كانت لمملكة سبأ أيام صراعها مع بني ذي ريدان (حمير) . فبهذه الصفة تضم كهلان من نجد اليمن أراضي :

---

(٢١) انظر :

Chr. ROBIN, les hautestevres du Nord-Yemen avant lIslam Tome, P.106 et Suit..

(٢٢) تناولنا أوضاع جرة في (Le Yemen) المتقدم ذكره أعلاه وتناولنا مجدداً في مقالتنا (بنو جرة وبنو ذراع بني سبأ وحمير في ضوء نقش جديد) وقد نشر في اليمن الجديد .

١ ـ كل شعوب اتحاد سمعي القديم وخاصة حاشد وحملان[٢٣] باستثناء يرسم ثالثة أعضاء ذلك الاتحاد والتي يبدو أنها زالت من مواقعها أيام التبابعة[٢٤] .

٢ ـ كل شعوب بكيل التي ظلت تابعة لسبأ حتى لحظة انتصار بني ذي ريدان ، وخاصة ما كان منها في البون والظاهر[٢٥] باستثناء بكيل شبام التي يبدو أنها زالت هي الأخرى من مواقعها أو تمثلتها حمير حين تمثلت أقيالها بني أقيان (كما حدث مراراً لبني معاهر أقيال ردمان وخولان) ، وذلك لقربها من المناطق التي طال العهد

---

(٢٣) حملان هي أحد أثلاث سمعي في القديم ، وكان أقيالها هم بنو بتع ، وقد ذابت في همدان وإن تخلف من ذكرها أثر طفيف أيام الهمداني . انظر صفة جزيرة العرب تحقيق الأكوع ، إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ١٩٨٣ م ، ص ١٢٥ و ٢١١ و ٢٢٤

(٢٤) يتضح هذا ـ في رأينا ـ من اعتبار يرسم من خولان صعدة ، وكان بنو سخيم أقيال يرسم الثلث من سمعي يكلفون منذ القرن الثاني للميلاد على الأقل بكبح جماح خولان هذه كلما تمردت ، ثم أصبحوا آخر الأمر أقيالها .

(٢٥) كانت أرباع بكيل تقع جميعها إلى الغرب من أثلاث سمعي ، ثم بعد أن اندمج الجانب الأكبر من بكيل في همدان حدثت تغييرات في مواقع الجماعتين وظهرت بكيل في الشرق . ونرى أنه من المحتمل أن بكيل الشرق هذه كانت امتداداً للمستوطنات السبئية في بعض أجزاء الجوف الأعلى حيث كانت تقوم مدينتا نشق ونشن .

بحميريتها ، أو لأسباب أخرى لم تتضح لنا تماماً ، وهذا ما نعتقد أنه حدث من قبل لبكيل ألهان .

٣ ـ كل المشارق ما بين صنعاء ومارب حيث تقع خولان صرواح ، شاملة شبام سخيم بعد أن زال بنو سخيم من موقعهم ومعهم يرسم ، وبلاد جرة والمناطق التي تقع بينهم وبين خولان .

وهكذا فإنه إذا أصبحت سبأ مارب ، لخفة وزنها في ميزان القوى ، موضع خلاف من ناحية النسب يتراوح بها بين سبأ الأوسط (ابن لهيعة بن حمير) وسبأ الأصغر من سلالة جشم ، وإذا عدت الأسر السبئية ذات الشأن ، من أمثال آل ذي جدن وذي عثكلان وذي حزفر وذي خليل وذي سحر وذي مقار ، وكلهم من الأسبؤ / الثامنة ، من بني حمير الأصغر تماماً كالحارث الرائش وبنيه ، فإن همدان ، بما أصبحت تمثله في الجزء الشمالي الغربي من نجد اليمن ، كانت وحدها التجمع الرئيسي الذي احتفظ بذاتيته بعد انتصار بني ذي ريدان . حتى خولان صرواح التي هي عند الهمداني من كهلان ظلت موضع تقاذف بين نسابة همدان (أي كهلان) وحمير[٢٦] .

واستقلال همدان ، وبقاؤها بمنأى عن التحمر ، الذي لا يتطرق

---

(٢٦) كأعلاه :

BAFAQIH, LUnification de Yemen Antique, 1.VII.4

إليـه الشـك أمر يمكن فهمـه في ضوء تـاريخ بني همـدان ووضع أراضي سمعي في الهضبة . فلقد ظلت همدان هذه وحـدة متماسكـة حتى ظهور الإسلام ، حتى أنه ليقال إنها أسلمت كلها دفعة واحدة على يـد علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وفي أمر همدان التي تعدُّ ديارها أمنع ديـار اليمن يقول الهمـداني : « إنـه لا تقوم لأمير إمرة في اليمن حتى يكون لـه ديـوان من همـدان » (الإكليـل ٢٢٤/٢) . وهمـدان هـذه إنمـا تعكس اتحـاد سمعي القـديم ومقاومته لحمير أيام وهب إل يحوز وخلفائه .

-٢-

إننـا نرى في القول بـأن حمير وكهـلان (شعبـا سبـأ) (الإكليـل ٩٧/١) انقسام القحطانية (ربما قبل ظهور فكرة القحطانية نفسهـا) إلى كتلتين شمالية وجنوبية ، وأن الشمالية تمثل قطاعاً كبيراً من أراضي سبأ الأصلية والجنوبيـة تمثل مـا كان تـابعـاً لبني ذي ريـدان من لـدن بلوغهم ضاف واتخاذهم لقباً ملكياً ، وذلك مع تنـازع بين الكتلتين على نسبـة بعض الجمـاعـات من نـاحيـة ، وامتـداد لكهلان نحـو الشمال من ناحية أخرى . وهذا قد يعكس تحالفات قديمـة ومتـأخرة ، بـدأت في ظل التبـابعـة وترسخت في الفترات اللاحقـة حين أدى ضعف فسقوط السلطة المركزية وفشل محاولات إحيائها إلى ازدياد أهمية التحـالفـات

القبلية[٢٧] . والحق أن احتفاظ كهلان وخاصة همدان باستقلالها عن حمير يتماشى مع الطريقة التي تمَّ بها حلّ التناقض السبئي الحميري الذي دام ما لا يقل عن ثلاثة قرون ، ويفسر ما يلمسه المرء من أن منافسة كهلانية حميرية كانت قائمة بين نسابة عرب اليمن ، وأنها ألقت بظلها ثقيلاً على قضايا النسب والسيرة معاً ، حتى أنه يتعين علينا أن نقسم المدارس المشهورة إلى مجموعتين أو مدرستين رئيستين متنافستين إحداهما كهلانية والأخرى حميرية .

وهكذا فإن ما بقي من أخبار قديمة في المصادر اليمنية الجنوبية لهو عبارة عن معارف ترسبت في الذاكرات الجماعية لمختلف الجماعات ، أو بالأحرى الأسر المتنافسة في اليمن منذ قيام بني ذي ريدان ، أو على الأقل منذ تحولهم من حالة الأذوائية إلى حالة الملك . وهي معارف فيها الكثير من الحقائق حتى لو كانت الأهواء قد لوت أعناق بعضها وصبغت وجوهها بأصباغ مصطنعة ، فتلك الأصباغ لا تكاد تتجاوز السطح ويسهل على الدارس المتعمق النفاذ إلى ما ورائها من حقائق هي خير عون لنا على تفسير الكثير من معميات النقوش وملء العديد من الثغرات التي ما زالت تتخلل التوثيق النقشي . هذا كما أن معطيات النقوش كثيراً ما تساعد على استجلاء غوامض الأخبار في

(٢٧) من هذا النوع من التحالفات عندنا تحالف همدان والأبناء في مواجهة زحف مذحج على الجوف .

السير والأنساب وتصلح مضطربها وتملأ ما قد يكون فيها من ثغرات كما سنرى . فالأخبار والنقوش مصدران يكمل بعضهما البعض .

لهذا كله فإن دراسة سيرة التبابعة بالذات ، وبصفة خاصة أشهرهم وأكبرهم وهو أبو كرب أسعد وما أحيط به من أساطير في المصادر الإخبارية ذات المنحى الملحمي لا تتأتى ولا تستقيم دون فرز لتلك المصادر وإرجاع ما تداخل منها إلى مجموعاته الأصلية ومعرفة ما تمثله على أكبر قدر ممكن من الدقة ، وذلك من خلال مقارنتها بما في النقوش .

(أ) الهمداني :

وفي هذا الصدد تبرز أهمية أعمال الهمداني الذي نذر نفسه لتصحيح المفاهيم عن التاريخ القديم قدر طاقته فحفظ لنا من خلال محاولات التمحيص الكثير من الأخبار حتى تلك التي لم تكن لتتفق مع اتجاهه واقتناعه ومنهجه .

لقد كان الهمداني عالماً موسوعي الاهتمام ، لم يكد يدع شيئاً من علوم عصره وفنونه الأدبية إلا وطرقه . ومن المعلوم أن العصر الذي ولد فيه الهمداني وعاش قد اتسم بقلق شديد تمثل في تصارع المذاهب السياسية المختلفة على أرض اليمن . وواضح من لغة الهمداني وأسلوبه هو نفسه ، وما حفظه لنا في الصفة من نماذج أدب الرسائل في

صنعاء ، أن اليمن كان منذ حين مركزاً من مراكز الثقافة العربية والإسلامية[28] ، يضارع في بعض النواحي المراكز الأخرى في الشمال رغم بعده عن حاضرة الدولة الإسلامية .

ومن الهمداني نتعلم أيضاً أنه كانت في اليمن - عندما يتعلق الأمر بالأنساب والأخبار - مدارس عريقة متعددة منها صنعاء وخيوان وصعدة ونجران ... إلخ (الإكليل ٨٩/١ - ٩١) .

ويتميز إسهام الهمداني في مجال السيرة ، وهو المجال الذي يعنينا أكثر من غيره في هذه الدراسة التاريخية ، بأنه قام بمحاولة تمحيص وعرض ما كان موجوداً لدى المدارس المختلفة وفق منهج حدده في مطلع الجزء الأول من سفره الجليل الإكليل ووضح في الوقت نفسه دوافعه للإقدام على ذلك العمل الكبير .

يحدثنا الهمداني عن كلفه بالبحث « عن الأنساب والفحص عن صحيحها والوقوف على سقيمها والتصفح لما أتى به النساب » .

وذلك إلى جانب اهتمامه (بأنباء العصور) .. وتتبعه (للمعروف من الأخبار وأيام الناس) وتنقيبه (عن غامضها) وتتبعه (لملتبسها) . وقد أوصله ذلك إلى أن وجد « أكثر الناس يخبط خبط عشواء » حتى أن « الخبر الواحد ترويه الجماعة في وجوه مختلفة من

(٢٨) انظر كتاب : د . وداد القاضي « بشر بن أبي كبار البلوي » بيروت ١٩٨٥ م .

زيادة ونقصان وتقديم وتأخير » . ويعلل ذلك بأن علم الأخبار علم « غير مقصور بنظام ولا محصور بقياس » . كما أنه فيما يتعلق بالأنساب وجد « ناسب كل قبيلة متقناً لأنساب من قاربه وعاشره وساكنه وخالطه ، راجماً فيمن نأى بالغيب ، فجمع من سيرهم الحقير ومن أنسابهم اليسير ومن علمهم وحكمهم النزر من الكثير ويزل عنه الجمع الغفير » . (٨٣/١ ـ ٨٤) .

ولا شك أن هذا الخلل الذي يتحدث عنه الهمداني هو الذي دفعه إلى الاضطلاع بذلك العمل الكبير ـ الإكليل ـ جامعاً في سفر واحد بين الأنساب والأخبار ، وهما علمان مرتبطان ببعضهما ارتباطاً وثيقاً . وإن لم يكن كل من تناول أحدهما تناول بالضرورة الآخر ، فمن النساب من اكتفى بحفظ المشجرات ، ومن الإخباريين أو المؤرخين الذين تلقوا عنهم من يبدو أنه لم يتبين تلك الصلة الوثيقة بين العلمين . ولقد كان الهمداني من بين أولئك الذين جمعوا بين العلمين أو الفرعين ، ولعله قد اقتفى في ذلك أثر من سبقوه من علماء المدرسة أو المدارس اليمنية الجنوبية وخاصة أستاذه أبي نصر اليهري الذي يظهر من وصف الهمداني أنه كان مثله موسوعي الاهتمام .

وقد خصص الهمداني الجزء الأكبر من الجزء الأول لنسب خولان بن عمرو (بن الحاف بن قضاعة) ، بعد أن ذكر قبائل قضاعة الأخرى ذكراً مجملاً « لشهرتها عند الناس » على حدِّ قوله : « ووقوف

العـامــة عليهــا واستعمالهم لهــا ، وعمران قلـوبهم بهــا وأسماعهم سـوى خـولان » . ومن ثم رأى أن يشبـع « القـول عنهـا لتلحـق في التشجير والتعريف بباقي إخوتها من قضاعة » (الإكليل ٢٧٤/١) .

وبعـد أن فرغ من أمر خولان هـذه في جزء واحـد هـو الأول ، انتقل في الجزء الثـاني إلى نسب ولـد الهميسـع بن حمير الـذي سبـق أن قـال بشـأن أنسـابهم أنـه رأى « نسـاب تلـك النـواحي لا سيما الكلبيين استقصوا في أنساب ولد مـالـك بن حمير ، لمـا كان منهم بمرأى ومسمع ، وأتـوا من نسب أخيــه الهميسـع بن حمير بمثــل أثر في عفر ، لا دارس فيعفو ولا بيِّن فيبـدو ، لمـا قلت رحلتهم إلى من قطن منهم بـاليمن ولم يلقـوا بنهـوجهم من ذوي معرفتهم غير أعقــاب من ظعن ... » إلى أن قال : « وكذلـك غيرهم من النسـاب حتى أن محمـد بن إسحـاق أتى فيما سمعنا بنسب ولد الهميسع في خمسة أسطر (ص ٨٤ ـ ٨٥) .

وهـذا إن دلَّ على أن الهمـداني كان يتـوجـه بعملــه نحـو جمهـور ـ عريض لم يتجاوز اليمن ويشمل كل دار الإسلام ، فـإنـه لم يمنعـه من الوقوع بوعي أو غير وعي في محذور الانحياز إلى وجهات نظر المدرسة الكهلانية المحلية وخلفائها من حمير من بني الصوار في مواجهة المـدرسـة الحميرية الصرفة (أو حمير اليمن حسب تعبيره) كما سنرى .

وحتى في معالجته لأنساب همـدان (من كهلان) التي خصص لهـا

الجزء العاشر ، بعد أن فرغ في الأجزاء الثمانية السابقة (٢ ـ ٩) من أمر حمير نسبها وسيرتها وحكمها وآثارها .. إلخ ، فإنه كان أيضاً يصدر في بعض الأحيان عن رغبة في تصحيح أخطاء نساب العراق . فهو يقول تعليقاً على ما يقوله المرانيون بالعراق عن نسب المرانيين وآل المشعار :

« قال أبو محمد : وقد قصروا عدة آباء . وكذلك سبيل نساب العراق والشام يقصرون في أنساب كهلان ومالك بن حمير ليضاهوا بها عدد الآباء من ولد إسماعيل عليه السلام . وامتنعت عليهم أنساب ولد الهميسع ، إذ كانت مزبورة في خزائن حمير . وكذلك أنساب الملوك من ولد عمرو بن همدان فأهملوها كي لا يقاس بها أنساب باقي همدان » (ص ١٠) .

ولقد حدد الهمداني بعناية المراجع التي استند إليها في تقييده للأنساب .

فأما بالنسبة إلى خولان (صعدة) فقد حدد بطونها « على ما روى خولان وحمير بصعدة » التي لم تنتشر أخبارها كما انتشرت أخبار صنعاء لأنها (أي صعدة) لم تكن « في القديم من البلدان التي رحل إليها أصحاب الحديث » ، وقال : « وقد سكنت بها عشرين سنة فأطللت على أخبار خولان وأنسابها ورجالها كما أطللت على بطن

راحتي وقرأت بها سجل محمد بن أبان الخنفري المتوارث من الجاهلية » (الإكليل ٢٧٥/١) .

وفيما يختص بنسب ولد الهميسع فقد طلبه على شيخ حمير وناسبها وعلامتها وحامل سفرها ووارث ماادخرته ملوك حمير في خزائنها من مكنون علمها وقارئ مساندها والمحيط بلغاتها : أبي نصر الذي أغناه « نهلة دون علله » والذي « كان بحاثة قد لقي رجالاً وقرأ زبر حمير القديمة ومساندها الدهرية » فمنه أخذ ماأثبته في كتابه (أي الإكليل) من « أنساب بني الهميسع بن حمير وعدة الأذواء وبعض ما يتبع ذلك من أمثال حمير وحكمها » (٨٥/١ و ٨٩) .

والحق أن الهمداني في الجزء الثاني ، ولعله كان كذلك في الأجزاء المتصلة التالية له والمرتبطة به أو بعضها ، كان بمثابة التلميذ والمريد لأبي نصر حتى أنه ليمكن القول بأنه كان عالة عليه حيث يتعلق الأمر بأنساب بني الهميسع وأخبارهم ، وهو عندما يذكر الرأي المخالف كثيراً ما يرجح قول أبي نصر قائلاً : « أنه أعلم » من جراء احترامه وتقديره له تحسب في بعض مواقع خلافه معه فعمد إلى إيراد الرأيين المتعارضين جنباً إلى جنب كما في نسب آل ذي سحر أسرة بلقيس مثلاً ، ولكن هذا لم يمنعه من الاختلاف مع أستاذه في مواضع قليلة ، ولعله فعل ذلك عن اقتناع وإن شابه أحياناً شيء من الهوى ربما دون أن يدري .

على أنا إذا جئنا إلى الجزء العاشر والأخير الذي يتناول أنساب كهلان بالإجمال وهمدان بالتفصيل فإنا لا نجد أثراً لأبي نصر كما لم يكن له أثر في أنساب خولان (الجزء الأول) ، ففي هذين الجزأين يظهر عمل الهمداني واستقصاؤه المباشر ، ولعله في أنساب همدان أظهر .

هنا تأتي الرواية سهلة سلسة نادراً ما تتخللها الجمل الاعتراضية . وإذا استشهد بأحد فإنما يستشهد برجال من البطون نفسها التي يتناولها ـ رجال تحدث إليهم وأخذ عنهم واطّلع على سجلاتهم ، وذلك إلى جانب ما تلقاه هو عن الآباء والأسلاف كما يصرح به في عدة مواقع .

ففي نسب المرانيين الذي سبقت الإشارة إليه نراه يقول :

« والمرانيون باليمن ينكرون هذا التدريج (الذي يقول به إخوتهم في الشام والعراق) ويعملون على ما قيده آباؤهم من نسبهم وحفظوه كابراً عن كابر ، ورأيته عندهم بخط أبي علكم المراني ، وكان علامة اليمن في عصره . وكان في خلافة هارون » (الإكليل ١٠/٣٠) .

ومثل ذلك ما جاء عند الحديث عن آل ذي لعوة حيث يقول :

« وهذه نسبة اللعويين مقيدة الأصول محروسة الفروع ، أخذتها عنهم رواية عن زبور قديم بخط أحمد بن موسى بن أبي حنيفة المعروف بالديدبان عالم أهل البون في عصره » (الإكليل ١٠/١١٠) .

هذا وقد خصص الهمداني ، كما جاء في صدر الإكليل الثامن ثلاثة أجزاء للسيرة ، كلها مفقودة ، وهي الأجزاء ٤ و ٥ و ٦ . والرابع هو الذي تناول فيه ماأسماه بالسيرة القديمة إلى عهد تبع أبي كرب جاعلاً من عهد ذلك الملك نقطة فاصلة في التاريخ اليمني ولقد كان كذلك .

ولا شك أن الحديث عن مفهوم أو تصور الهمداني للسيرة القديمة يبدو في غياب ذلك الجزء من الإكليل مستحيلاً بالضرورة ، ولكنه مع ذلك لا يحول دون تلمسنا ملامح ذلك التصور من خلال كتبه المعروفة خاصة الأجزاء المخصصة للأنساب في الإكليل (.جـ١ و٢ و١٠) .

فالأنساب هي العمود الفقري ، إن لم نقل هي الهيكل العظمي ، للسيرة التي هي سيرة حياة أولئك الأشخاص الحقيقيين أو الأسطوريين والذين هم بين بين والذين تتكون منهم سلاسل النسب وخاصة الملوك .

ولعله من أجل ذلك تأتي إحالات الهمداني إلى السيرة في بعض المواقع من الأجزاء المخصصة للنسب . مثال ذلك (الإكليل ٥٢/٢) عن الحارث الرائش و (الإكليل ٥٣/٢) عن أفريقس و (الإكليل ٥٨/٢) عن أبي كرب أسعد .

ومن القبيل نفسه ـ كما نتصور ـ كل الاستطرادات التي حفلت بها

أجزاء الإكليل في النسب والتي يورد فيها بعض ما يمكن وصفه بعيون الأخبار أي البارز منها في عهود من تناول أنسابهم من ملوك أو قادة (هم من الأذواء والأقيال) . وهي وإن كانت نتفاً إلا أنها ـ فيما نرى ـ تنم عما يمكن أن تكون عليه صورة السيرة في الكتب الضائعة ، كما تؤكد الصلة التي أشرنا إليها بين الأنساب والسير .

في (الإكليل ٢/٥١ ـ ٥٢) يقول الهمداني (كما جاء في النسخة المطبوعة) :

« وأولد ذو أبين بن ذي يقدم عمرواً ، كذا أطلقه لنا أبو نصر عمرو بن ذي أبين وفي مشجرته عمر بن ذي أبين (؟) فأقره وقال قد قيل ذا و ذا . وهو في السيرة عمرو بن ذي أبين وهو أوكد لأن خبره فيها غير خبر ذي أبين » .

وهي عبارة بادية الاضطراب تدخل فيها النساخ على ما نعتقد ولعل أولها يقول « وأولد ذو يقدم عمرواً (ذا أبين) ، وهكذا أطلقه أبو نصر ، عمرو ذو أبين » .

هذا ومن الواضح أن السيرة عند الهمداني إنما هي جزء من كل في ذلك العمل الكبير الذي رتبت موضوعاته ترتيباً يدل على خطة مدروسة تأتي فيها السيرة (ج ٤ ـ ٦) بعد أنساب حمير (ج ١ و ٢) وفضائلهم (ج ٣) ويأتي تمحيص الأخبار (ج ٧) بعد السيرة وهو

موضعـه الطبيعي . ثم يلحـق بهـا بعض المعـارف الأخرى ذات الصلـة أو على حد تعبير الهمداني « ما يتبع ذلك من أمثـال حمير وحكمهـا » ، أي آدابها (ج ٩) يتخلل ذلك الجزء الهام ، الثـامن ، المخصص للآثـار والقبوريات ، وكل ذلك قبل أن ينتقل إلى الجزء العـاشر والأخير عن أنساب همدان قومه جاعلاً منها مسك الختام .

ولقد أشـار الهمـداني إلى ابن شريـه في مواقع متنـاثرة في الإكليل الثامن ، كما وصل إلينا ، وبصفة أخص في القسم المتعلق بـالقبوريـات منه . كما نقل عن وهب بن منبـه وهشـام بن الكلبي في مواقع كثيرة ، فذكر منها خبر رجل عاش أكثر من ست مئة سنـة ، وقـد علق عليـه بقوله :

« قال الحسن الهمداني : هذا حديث فيه حيف إذ لا يمكث رجل مملّك بامرأة مثلي سني الهجرة إلى هذا العهد . وقد ذكرنا مثلـه في الجزء السـابع (الإكليل ١٤٧/٨) من خبر الإكليل » وهو الجزء الـذي يمحص الأخبار الباطلة . (الإكليل ١٧٠/٨) .

وقال في موضع آخر دون أن يشير إلى الجزء السابع :

« أنني لأرى (في المطبوع لا أرى) في هذه الأشيـاء المستنكرة في الزبر القبوريـة أنهـا تكون من الـذين يكتبـونهـا فيزيـدون في الشيء ما ليس فيه لتعظيم ذلك عند من يسمعونهم فيزهدوا في الـدنيـا ويعلموا

أنهم دون من سبقوهم » . ومثل هذا ما جاء في (الإكليل ٢٣/٨ ـ ٢٦) حول « بناء الجن لقصور اليمن » .

وفي كل هذا إشارة إلى ما يمكن أن يكون عليه ذلك الجزء الهام والضايع من الإكليل الذي بدونه لا نستطيع الحكم على مواقف الهمداني من المبالغات التي حفلت بها مصادر الأخبار والسير السابقة على عهده والتي كانت من بين مراجعه .

وعلينا أن لا ننسى أيضاً أن ما يبدو من تناقض ظاهر بين المنهج الذي يقول الهمداني إنه اعتمده في الإكليل وبين إيراده لبعض المستحيلات خاصة في الإكليل الثامن دون تعليق إنما يرجع بعضه على الأقل إلى عمل الناقلين الذين يحرفون النصوص بالتدخل والإضافة والحذف[٢٩] ، هذا مع التسليم بأن الهمداني لم يبرأ من قبول وترويج بعض الأخبار التي لا تصمد للتمحيص .

وتقابل السيرة القديمة عند الهمداني فترتين رئيسيتين عند معظم المشتغلين بالدراسات اليمنية حديثاً :

أولاهما هي التي توصف بالفترة العتيقة التي تنتهي حسب الرأي السائد ، حوالي بداية عصر الميلاد أو قبله بقليل . وهي فترة ، على

(٢٩) انظر ما يقوله محمد بن نشوان في الإكليل الأول ، ص ٨١ ، وكذلك تدخله في ص ٢٨

صفة الإجمال ، وإن كنا نجهل ما نتوقع أنها مشتملة عليه من فترات ناهيك من مراحل .

وثانيهما هي التي تبدأ بنهاية الأولى التي نعرف أنها تشتمل على مرحلتين رئيسيتين وفقاً لتطور اللقب الملكي في سبأ : من (ملك سبأ) اللقب القديم في الفترة العتيقة إلى (ملك سبأ وذي ريدان) ثم (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة) ، وهذه الأخيرة تمثل نصف عهد التبابعة (القرنان الرابع والخامس) .

وأول ما يجب تأكيده في شأن القسم الأول من السيرة القديمة الذي يقابل الفترة العتيقة عندنا هو ما لاحظناه سلفاً من أنه لا توجد أية نقاط التقاء بين الأسماء التي تتصدر قائمة النسب (وفيهم وفي مقدمتهم أوائل الملوك) ، وبين الأسماء المعهودة في الفترة العتيقة كما تظهر في النقوش ، وهي الفترة التي كان الملوك فيها يتخذون أسماء مختارة من قائمة محدودة حتى الاسم الواحد يتكرر مرات من جيل إلى جيل وهي : كرب إل ، ويثع أمر ، وسمه علي ، ويدع إل ، وذمار علي .

حقاً إنه جاء في مطلع الجزء الثاني الذي يعالج أنساب أبناء الهميسع ، قول الهمداني :

« وأولـد أيمن بن الهميسع (بن حمير الأكبر) أربعـة نفراً زهيراً وكرباً وهو كرب إل أيفع كما يقول عبد الله الرفيع ... إلخ » .

ولكن إذا كان كرب إل من الأسماء المعتمـــدة للملـوك في الفترة العتيقة ، بل والقاصرة عليهم ، فإن أيفع لم يكن بين الألقـاب المعتمـدة للملـوك تلـك الفترة ، والتي كانت ألقـاباً محـدودة هي : وتر ، وذرح ، وبين ، وينف (ينوف) .

ومـع أن كرب إل أيفـع الـذي ذكره الهمـداني لم يكن إلا بطنـاً حسب قـولـه ، أي أنـه لم يكن ملكاً ولا يرد في الخـط الـذي يصـور تناسل الملوك ، فإن كرب إل هو أحد اسمين عرفا في المراحل اللاحقـة من أسماء قـدامى الملـوك ، فهنـاك في الجـانب السبئي ، بعـد سقـوط الأسرة التقليدية المالكة ، كرب إل وتر يهنعم ملـك سبـأ بن وهب إل يحـوز ملـك سبـأ .كما أن هنـاك العـديـد من الملـوك الحميريين (بني ذي ريـدان) ممن حملوا الاسم المـذكور واحـدهم جمع بين الاسم واللقب كما ذكره الهمـداني ، أي كرب إل أيفـع ، وقـد عـاش في القرن الثـالث (إرياني ٢٨ مثلاً) والاسم الآخر هو ذمار علي .

ويعدُّ لقب (أيفع) من الألقاب الأثيرة عند الريدانيين حتى بعد أن أصبحوا تبابعة مما يدل على أن له مكانة خاصة عندهم .

ولعل في ذلـك كلـه دلالتـه الخـاصـة فيما يتعلـق بمـا تمثلـه السيرة

مقارنة بالتاريخ كما نعرفه من النقوش ، وخاصة طغيان اسم حمير على مجمل السيرة كما عرفها الإخباريون . وهو ما يُفسر عادة بقرب العهد بالملوك الحميريين الذين حكموا اليمن في المراحل الأخيرة القريبة من الإسلام .

ولكن هل يكفي هذا ؟

إن الفترة العتيقة على ضآلة ما نعرفه عنها من النقوش نسبياً ورغم الخلافات القائمة حول الكثير من قضاياها إنما هي الفترة التي شهدت الكثير من الإنجازات العمرانية وفي مقدمتها بناء العرم (سد مارب) . وهي التي شهدت ذلك الازدهار الذي انعكس في الكتابات الكلاسيكية الإغريقية ـ الرومانية وأثار شهية الفاتحين وآخرهم الرومان الذين أقدموا على غزوتهم الفاشلة حوالي عام ٢٤ ق.م .

ويحدثنا الهمداني في مواضع عدة من الإكليل عن المساند الدهرية وعن قرائها من معاصريه . ويستشهد بها في بعض الأحيان لترجيح بعض وجهات النظر قائلاً : « والمسند أصح » (الإكليل ٢٠٣/٢ مثلاً) أو « كذلك هو في مسند بناعط » (الإكليل ٨٦/٢ مثلاً) .

ومع ذلك فإن الهمداني نفسه حين وقف أمام نص مسند معين من ناعط (الإكليل ١٨/١) ورد فيه اسم سمعي محرفاً (على ما يبدو) أو ناقصاً لم يفعل أكثر من محاولة شرح النص كما وصل إليه على علاته

دون أن يلتفت إلى الأخطاء والعيوب الصارخة ومنها ما يتعلق بالترتيب . يقول النص كما أورده الهمداني :

« أوسله رفشان وبنوه بنو همدان حي عثتر يطاع ويارم (أقوال) شعبين سمعي سلبان ذحاشدم وبأبيهم تالب ريام »
ويشرحه (كما وصل إلينا الشرح) بقوله :

« أي ملكو بأبيهم تالب بن بتع (!) الملك شعبين مختلفين من حمير وهمدان دع حاشد » . ويعلق على الشرح بقوله : « والتسلبي التجمع والمسلبي المجمع بلغة حمير (!) أي قالوا على الجمع كنف حاشد » .

هذا بينما نستطيع اليوم إعادة تركيب النص وترتيبه ، وهو ما فعله كنسديل مثلاً ، ملاحظين كما لاحظ أن شعبين سمعي إنما هي شعبن أو شعبان سمعي أو الشعب السمعي في عربيتنا : وسلبان ذحاشد إنما هي شلثن أو ثلثان ذحشدم أو ذي حاشد (م) ، أي الثلث الحاشدي من سمعي .

ولسنا نحاول بهذا أن نحكم على مدى مقدرة الهمداني على قراءة المساند وفهمها . فنحن نعرف من الإكليل الثامن أنه على دراية ، لا ريب فيها ، بحروف المسند . ولكنا نتساءل هل اطّلع الهمداني على ذلك النص في مكانه على الحجر أم أنه قرأه منسوخاً مصحفاً وربما

معلقاً عليه أيضاً ؟ بل إن لنا أن نتساءل عما إذا لم تكن الفقرة كلها دخيلة على النص !

ولقد كانت في (سمعي) مملكة قديمة إلى جوار سبأ (C.37) ، ظل اسمها كقبيلة يتكرر في المساند حتى وقت متأخر نسبياً من الفترة التي تدخل في (السيرة القديمة) نفسها عند الهمداني نفسه ، وكانت أرضها في قلب ما أصبح يعرف ببلاد همدان . ولهذا فإن غياب اسمها من الأنساب لمن أقوى الأدلة على ضياع أخبار الفترة العتيقة بكاملها لا مجرد طغيان اسم حمير على التاريخ .

(ب) الأعقاب والأنساب :

ولا غرابة في ذلك فإن الأنساب ـ كما نعرفها ـ إنما هي أنساب القبائل والجماعات التي بقي لها أعقاب ذات شأن في الإسلام عمدت إلى قيدها عندما نشأت الحاجة إلى التقييد ، ومعلوم أن السلالة الحاكمة التقليدية في سبأ سقط حكمها في نهاية القرن الأول الميلادي أو نحو ذلك ، واختفت من المسرح واختفت معها بعض أسمائها الأثيرة (يدع إل ، ويثع أمر ، وسمه علي) . وبقي ما كان يشاركهم فيه بنو ذي ريدان من أسماء (كرب إل كما تقدم وذمار علي) ، ولم يبق للفترة أثر مباشر .

ومع أن وجود الاسمين الأخيرين المذكورين في بني ذي ريدان

من البداية يشي باحتمال وجود رابطة قديمة بين أولئك الأذواء والأسرة الحاكمة السبئية التقليدية أو عشيرتها فإن وصول بني ريدان إلى مرتبة الملك منذ أواخر القرن الأول أو مطلع القرن الثاني إنما حدث على أنقاض الأسرة الحاكمة في مارب وبعد فترة من تعاصر تلك الأسر السبئية ملوكاً والأسرة الريدانية أذواءً تابعين لهم بصورة من الصور . ولم يعن أحد ـ بما فيهم أعقاب بني ذي ريدان ـ بحفظ أخبار الملوك الأول الذين ظلت مساندهم ماثلة للعيان في مواضعها في السد وغيره من المنشآت ، بل وفي المعابد ، وإن كانت هذه الأخيرة أهملت منذ أواخر القرن الرابع مع ظهور عقيدة التوحيد أيام ملكي كرب يأمن أو يؤمن .

فهل سفت الرمال محرم المقه بعل أوام قبل أن تظهر العناية بالأنساب والأخبار في صورتها التي وصلت علينا إلينا ؟ وهل يكفي ذلك لتفسير اختفاء تلك الأسماء بل الأخبار الهامة ؟ لا نظن .. وإنما نرى أن الأمر يتصل بزمن ودوافع وطريقة قيد الأنساب أكثر من أي شيء آخر .. وهو ما نرجو أن نكون قد وضعنا الأصبع على بعض جوانبه هنا .

جدول رقم (٢)

الجيل	فرع كهلان	فرع حمير الأكبر	الجيل
١	عبد شمس (سبأ الأكبر)		١
٢	كهلان	حمير الأكبر	٢
٣	زيد	لهيعة — مالك — الهميسع	٣
٤	مالك	سبأ (مارب) — قضاعة — أيمن	٤
٥	الخيار	عريب(١)	٥
٦	أوسله	قطن	٦
٧	زيد	حيدان	٧
٨	مالك	عريب — الغوث	٨
٩	أوسلة (همدان)	زنجع بهيل رينع يكالم يكهل الكبرى — وائل	٩
١٠	نوف — عمرو	عبد شمس — ردمان	١٠
١١	زيد	جشم العظمى ينكف ذو مناخ الصهيب الصوار	١١
١٢	بتع (الملك)	معاوية — ذو يقدم — الى شرح	١٢
١٣		قيس — ذو أبين — وتار	١٣
١٤		عمرو — عمرو	١٤
١٥		زيد الجمهور — الملطاط	١٥
١٦		سهل — الى شدد	١٦
١٧		شرعب كعب بريم (ذو رعين) مالك — الحارث الرائش(٢)	١٧
١٨		سبأ الأصغر	١٨
١٩		حضرموت زرعه (حمير الأصغر)	١٩
٢٠		شدد أسلف صيفي أقيان الفياص	٢٠
٢١		أبو عمرو(معاوية) قيس	٢١
٢٢		شدد(٣)	٢٢
٢٣		(الحارث الرائش)(٤)	٢٣

أنساب ولد سبأ الأكبر حتى الحارث الرائش على رواية الهمداني في الإكليل مع الإشارة إلى موضع الرائش في أبناء حمير الأصغر على رأي نشوان .

تعليقات

(١) عند نشوان : عريب بن زهير بن أيمن .

(٢) هنـا يفترق كل من نشـوان والهمـداني عن الآخر . فـالهمـداني يحصر الملـك في بني الصوار حتى النهاية . وأما نشوان فيشير إلى حدوث تحول بعد الملطـاط . فيجعل شدداً والد الحارث الرائش من حمير الأصغر .

(٣) « سدد هذا كما يرد عند الهمداني هو نفسه » شدد عند نشوان والمدرسـة التي يمثلهـا وإليـه ينتقل الملـك بعـد الملطـاط . وللهمـداني رأي في اختـلاف الاسم بين سـدد وشدد .

(٤) بعد الحارث الرائش يتفق نشوان مع الهمـداني في المجرى العـام لتسلسل الملوك من أبرهة ذي المنار بن الحارث الرائش حتى تبع الأصغر (عمرو بن حسان بن أسعـد الكامل) . ولكن التجاذب بين الصوار وبين حمير الأصغر يظل قائمـاً في أحوال ، مثل نسب بلقيس .

٩

الشعر الجاهلي واليمن

ربطنا في دراسات سابقة لنا بين توسيع الحميريين لجيش الأعراب اليمني منذ القرن الرابع الميلادي وما أولاه ملوكهم التبابعة من اهتمام للمناطق العربية الشمالية ، وبين ما أدى إليه ذلك بالضرورة من تقارب بين اللهجات من جهة ، ومن بلوغ حركة الشعر العربي الجاهلي مرحلة النضج في القرن السادس الميلادي من جهة أخرى ، وهو القرن الذي يعود إليه كل فحول الشعراء المعروفين ، ملاحظين أن (القصيدة) ، « وهي الشكل الذي وتّده الشعراء في نحو نهاية القرن الخامس ودولة التبابعة آخذة في التداعي فالانهيار » إنما كانت مرحلة متقدمة بعيدة كل البعد عن أوليات الشعر العربي التي لا نكاد نعرف عنها شيئاً ، وإن كنا نفترض أنها قديمة « أسوة بما حدث في الأمم الأخرى » ، كما نفترض أن الشعر العربي « كان في نشأته شعر لهجات »[1] .

---

(١) محمد عبد القادر بافقيه : (أ) في العربية السعيدة ، صنعاء ١٩٨٧ م ص ١٧٠ـ١٧٥ و ١٨١ و (ب) وآخرون : مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، تونس ١٩٨٥ ، الفصل الأول ٨ـ٣

وسنحاول في هذه العجالة أن نتتبع قدر الإمكان انعكاسات الدور اليمني في حياة الجزيرة على الشعر الجاهلي في القرن السادس الميلادي من خلال ما ورد فيه من إشارات إلى اليمن واليمانيين وبعض نواحي الحياة اليمانية .

١ - يمن ويمنة :

وفي سبيل ذلك فإن أول ما ينبغي علينا تناوله هنا هو مفهوم (يمن) . فاللفظة ، كغيرها من الألفاظ في اللغة لها تاريخها في رحلتها عبر الزمان والمكان .

وأول ما نلاحظه بهذا الصدد هو أن اللفظة بصورتها هذه (يمن) لم تعرف في النقوش اليمنية حتى أحدثها الذي يعود إلى فترة ازدهار الشعر الجاهلي أي القرن السادس[٢] . وإنما عرفت محلها وبانتظام لفظة أخرى من الجذر نفسه هي (يمنت) ، التي ينطقها البعض يمانة

---

(٢) قد يرى البعض أن عبارة (زيمن) في نقش أبرهة (C 541) العائد إلى عام ٥٤٣ ميلادية إنما تعني (ذي يمن) أي الذي يمن غير معروفة ، ولكن هذا يفتقد إلى ما يؤيده . وهناك مخربش من وسط الجزيرة زل عنا مرجعه يذكر صاحبه فيه أنه « هدى عيراً يمنية وشامية » ولكنه هو الآخر لا يعني شيئاً فيما نحن بصدده . على أنه وصل إلينا نقش جديدمن نقوش قتبان جاءت فيه لفظتا : يمن وشأم بصورة توحي بأن المقصود بها هو المقصود ذاته من لفظتي يمنة وشامة ، أي جنوب وشمال ، والنقش قيد الدراسة ولم ننشره بعد .

ويمنات على غير قياس يعتد به ، والتي ذهبنا إلى أنها قد تكون (يمنة) بفتح الياء أو ضمها وتسكين الميم أو فتحها . فيمنة عند عرب الجنوب هي المقابل ليمن عند عرب الشمال ، وكلاهما يعني في الأصل شيئاً واحداً هو (الجنوب) لا أكثر ولا أقل[٣] . ومن هنا فإن الركن الجنوبي من أركان الكعبة المشرفة يعرف بالركن اليماني وله مكانة خاصة .. كما أن باب مدينة صنعاء المؤدي إلى الجنوب هو باب اليمن .. بل إنه جاء في بعض الكتب المتأخرة نسبياً عبارة (يمن الدار) بمعنى جزئها الجنوبي[٤] .

وهناك نقش معين قديم (R.3022) يتحدث عن حرب بين (ذي يمنة وذي شامة) في سياقه يذكر غارات وحروب متتالية دارت في اليمن وخارجه ، وتهددت بالخطر مصالح أصحاب النقش وقوافلهم المنتشرة في أرجاء المنطقة بين اليمن ومصر والعراق .. فأما الغارات فمنها ما كانت تشنه جماعات من سبأ وخولان على قوافل أهل النقش فيما بين الجوف ونجران . وأما الحروب فمنها ما كانت مصر طرفاً فيه ، ولكن الدارسين لم يتفقوا على هوية الطرف الآخر ، ومن ثم لم

---

(٣) محمد عبد القادر بافقيه : في العربية السعيدة كأعلاه ص ٤٨ـ٥٥ .

(٤) M. A. BAFAQIH, le Yemen àla periode des vois de Sabà et du Raydan, thèse de doctorat d'état, la Sorbonne-Paris IV, 1983, ch. 2, VO. 4. A et no 81.

يتوصلوا إلى اتفاق على تحديد وقت تلك الحرب . على أن الذي يعنينا هنا ويحيرنا في الوقت نفسه هو حرب أخرى يقول النقش إنها قامت بين (ذي يمنة وذي شامة) أي بين أهل اليمن وأهل الشام . هل هي حرب بين أطراف عربية جنوبية (أي يمنية بالمفهوم السائد الآن ومنذ حين) ، وبين أطراف عربية شمالية شامية على أساس جغرافي محض ؟ الله وحده العالم ..

وحتى لو ثبت أن الطرفين عربيان فإن عبارة (ذي يمنة) أو (يمني) و (ذي شامة) أو (شامي) تظل نسبية . فقد يكون الطرفان كلاهما داخل اليمن .. أوليست خولان صعدة تسمى خولان الشام أيضاً وخولان صرواح تسمى خولان اليمن ؟ تماماً كما سميت بقعتان في أرض هذيل ، وهي عدنانية بلا خلاف ، بنخلة الشامية ونخلة اليمانية .

وفي عهد إليشرح يحضب الثاني أواخر القرن الثالث وصف ملوك كندة ومذحج ونزار وغسان معاً بأنهم ملوك (أشعب شامة) أي قبائل الشام (عنان ٧٥ و J.2110) بمعنى الشمال . ألا يعني هذا أنه حتى ذلك الحين لم يتخذ مفهوم يمن ما اتخذه بعد ذلك في الشعر الجاهلي كما سنأتي إليه ؟

٢ ـ أعراب كندة ومذحج :

ومع ذلك فإنه في أوائل القرن الرابع وبعد شمر يهرعش مباشرة ، إن لم يكن في أيامه ، قام جيش الأعراب الحميري الكبير ووضع على رأسه أحد الأذواء من آل ذي جدن السبئي الأصل واتخذت نشق في الجوف مركزاً لقيادته (الإرياني ٣٢) ، وقد ضم ذلك الجيش أعراباً من خارج مناطق الممالك اليمنية القديمة يأتي على رأسهم أعراب كندة ومذحج الذين كانوا من قبل وفي القرن الثالث بالذات تابعين لملوك كندة وقحطان (J.2110-7-10) ، والذين كانوا يدعمون مقاومة ملوك حضرموت لشمر يهرعش (BR-M.Bayhan 5) . فما الذي حدث حتى انخرطت تلك القبائل وغيرها في جيش الأعراب الحميري ، وشاركت بقوة في إدخال حضرموت ضمن دولة التبابعة ؟

في أواخر القرن الثالث (٢٧٢ م) سقطت تدمر فريسة للرومان بعد استفحل أمرها ، وكادت تهدد روما في عقر دارها . وأحدث سقوطها ذاك فراغاً هائلاً في المنطقة لعل من آثاره قيام امرئ القيس بن عمرو اللخمي باجتياح ممالك معد ونزار وبلوغه في زحفه أحباط نجران (مدينة شمر) مطارداً في طريقه مذحج كما جاء في (نقش النمارة) الذي خلد تلك الحادثة .

فهل من علاقة بين الحادثتين .. هجمة اللخمي ودخول أعراب كندة ومذحج في الجيش الحميري ؟

المهم في الأمر هو أن أولئك الأعراب أصبحوا يدينون بالولاء لملوك حمير حتى لو لم تخضع مناطقهم الأصلية رسمياً للتبابعة .

وقبل منتصف القرن الرابع اجتاحت قوة من (أعراب حضرموت) بقيادة الأقيال اليزنيين ، ملشان وبنيه ، أراضي نزار وعاثت في أنحاء العروض (اليمامة والبحرين) قتلاً وسبياً وغنماً (تقش عبدان الكبير) . وكان ذلك في تقديرنا هو الرد الحميري المتأخر على ما فعله امرؤ القيس اللخمي وهم مشغولون بترتيب البيت اليمني[٥] .

وهكذا لم يلبث أبو كرب أسعد ، أشهر التبابعة أن اتخذ في مطلع القرن الخامس الإضافة الأخيرة إلى اللقب الملكي الحميري الذي لم يكف عن التطور منذ القرن الأول الميلادي على الأقل ، وهذه الإضافة الأخيرة هي : (وأعرابهم طوداً وتهامة) التي نعتقد أنها تعني أعراب السراة والأغوار المحاذية لها . وكان البعض من أولئك الأعراب مشاغباً للمالك اليمنية إبان اضطراب العلاقات بينها في حرب الثلاث مئة عام ، حرب توحيد سبأ وحمير[٦] ، بل وفي أيام التبابعة[٧] .

ثم لم يلبث أن قام حكم أسرة آكل المرار الملوك من كندة في معد »

---

(٥) محمد عبد القادر بافقيه : في العربية السعيدة كأعلاه ص ٨٨ـ٨٩ و ١١٠ ، جـ ١

(٦) BAFAQIH, le Yemen... op. cit, Troisième Partie.

(٧) في العربية السعيدة أعلاه ص ٦٠ ، جـ ١

بـدعم من التبـابعـة ، أو ربمـا بـدفع منهم أيضـاً . فكانوا بمثـابـة ذراع للحميريين ممتـدة في تلـك البقـاع من نجـد قريبـاً من منـاطق النفوذ الفارسية والرومانية التي يظهر من نقش من أيـام شمر يهرعش (شرف الدين ٣١) أنها كانت موضع اهتمام التبابعة إن لم يكن أسلافهم أيضاً ، خاصة في الجانب السبئي .

٣ - يوم خزاز والسلاّن :

ومهما يكن من أمر دولة كندة الثانية هذه ، والتي غرست قريبـاً من منطقة ما يعرف بـالـدول العـازلـةُ عنـد المؤرخين ، فـإن كل شيء يـدل على أن قلب شبـه الجـزيرة كلـه أصبـح مجـالاً حيـويـاً لـدولـة التبابعة ، فيه يتجول ملوكهم فـارضين سلامهم على طرق التجـارة إلى أن دبت في كيـان دولتهم عـوامـل الفســاد وآذنت شمسهم بمغيب قرب نهاية القرن الخامس . بعد قرنين كاملين من الهيمنة الحميرية التي تركت آثارها على الذاكرة العربية مما نطق بـه الشعراء في القرن السـادس كما سنرى . (انظر : ٧ . يمان ويمانية) .

ولعل يوم خزاز والسلان - رغم اختلاف الإخبـاريين في شـأنـه - من بين أوائل حركات انتفاض القبائل المعـديـة النجـديـة على الهيمنـة التبعيـة إن لم يكن أولهـا على الإطـلاق[٨] . وفي وصف أحـداث ذلـك

(٨) انظر مثلا : الدكتور عفيف عبد الرحمن : الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي ، بيروت ١٩٨٤ ص ١١٥

اليوم ونتائجها لدينا عدد من المقطوعات الشعرية المكرسة للحادث ، وإشارات عابرة إليه في قصائد أخرى مطولة .

ففي شعر منسوب إلى كليب بن ربيعة الذي تقول بعض المصادر إنه قاد جموع نزار لحرب اليمن في ذلك اليوم نراه يقول :

لقد عرفت قحطان صبري ونجدتي	غداة خزاز والحقوق دوان
غداة شفيت النفس من ذل حمير	وأورثتها ذلاً بصدق طعاني
دلفت إليهم بالصفحائح والقنا	على كل ليث من بني غطفان
ووائل قد جذت مقادم يعرب	فصدقها في صحوها الثقلان

ومما يلفت النظر في هذه المقطوعة استخدامها صفة (قحطان) لجموع اليمن . وقحطان اسم قبيلة معروفة في أنحاء وادي الدواسر أقامت مملكة كان ملوكها في معظم المراحل ، إن لم يكن كلها ، من كندة[٩] أصحاب قرية ذات كاهل كما تقول النقوش السبئية والتي يعرف موقعها اليوم باسم (قرية الفاو) .

---

(٩) عثرت البعثة الأثرية لجامعة الملك سعود بقيادة الدكتور الأنصاري أثناء الحفر في قرية الفاو على شاهد قبر ملك اسمه معاوية بين ربيعة يصفه بأنه قحطاني وأنه ملك لقحطان . هذا في حين أنه الملك شعر أوتر كان يدعى من قبل السبئيين على الأقل ، ربيعة ذي آل ثور ملك كندة وقحطان (J 635, 25 - 28) ، وفي عهد إيل شرح يحضب الثاني كان الملك يدعى مالك نبن بد ملك كندة ومذحج وبعض الأعراب (J 2110, 7 - 10) .

وفي مقطوعة أخرى منسوبة إليه أيضاً يقول كليب :

دعـاني داعيـا مضر جميعـاً	وأنفسهم تـبـدانت لاختنـاق
فكانت دعـوة جمعت نـزاراً	ولَمَّت شعثهـا بعـد الفراق
أجبنـا داعيـا مضر وسرنـا	إلى الأمـلاك بـالقب العتـاق
عليهـا كل أبيض من نـزار	يساقي المـوت كرهـاً من يسـاقي
أمـامهم عقـاب المـوت يهوي	هـوي الـدلـو أسلمهـا العراقي
فـأردينـا الملـوك بكل عضب	وطـار هـز يمهم حـذر اللحـاق
كأنهم النعـام غـداة خـافـوا	بذي السلان قـارعـة التلاقي
فكم ملـك أذقنـاه المنـايـا	وآخر قـد جلبنـا في الـوثـاق

وإذا كانت المقطوعة الأولى تحدثت عن شفاء نفسه من (ذل حمير) ، ويعني غالباً التبابعة وقومهم ، في يوم خزاز ، فالمقطوعة الثانية هذه تركز على اجتماع (نزار) وقتلها (الأملاك)[10] بذي السلان . والسؤال هو هل نحن أمام يومين انتصرت فيهما (نزار) على اليمن ، أم هو يوم واحد ؟

---

(١٠) جاء في موسوعة الشعر العربي المجلد ٣ ، اختيار وشرح مطاع صفدي وإيليا حاوي ، بيروت ١٩٧٤ ص ٥٦ هـ ٣ و ٤ : « الأملاك: أقيال اليمن » ولا ندري لماذا يكون الأمر كذلك حتى لو كان القتلى من الأقيال . فأملاك هي غالباً (أملك) في النقوش كما في (J 2110, 7) مثلاً المستشهد به أعلاه بالنسبة للوء شامه ، وهي جمع ملك لاأكثر ولا أقل . ومعلوم أنه لم يقتل ملك حميري معروف

الإخباريون مختلفون حول ذلك ، ولكن رأياً أورده ياقوت في معجم البلدان (مادة السلان) يجعل من المحتمل أننا أمام يوم واحد ، وهو ما نرجحه ، فهو يقول :

« السلان فيه ماء وحلفاء ، وكان فيه يوم بين حمير ومذحج وهمدان ، وبين ربيعة ومضر . وكانت هذه القبائل من اليمن بالسلان وكانت نزار على خزاز وهو جبل بإزاء السلان وهو فيما بين الحجاز واليمن والله أعلم » .

وقد ذكر خزاز والسلان في أشعار منسوبة إلى شعراء آخرين منهم السفاح الثعلبي وزهير بن جناب ممن قيل إنهم اشتركوا في المعركة كقادة . وإذا كان هناك من يشك في صحة ذلك الشعر فإن شعر

= في وسط الجزيرة ، ولكن ماذا يمنع من أن يبالغ الشاعر أو يخطئ في استخدام مصطلح ما علماً بأن لقب ملك قديم عند العرب ويعود إلى الألف الأول قبل الميلاد على الأقل ، كما أن لقب قيل معروف أيضاً واستخدم في الشعر . وفي شعر منسوب إلى الأعشى نراه يستخدم لقب قيل للأمراء من الفرس تماماً كما فعلت نقوش يمنية بالنسبة إلى الأمراء من الأحباش فهو يقول :

فجاء القيل هامرزا عليهم يقسم القسما

كما يقول :

قتلنا القيل هامرزا وروينا الكثيب دما

(ديوان الأعشى ، بيروت بلا تاريخ ص ١٩٤) وفي قصيدة في ديوان أوس بن حجر (بيروت ١٩٦٧) جاء قوله :

« أم من يكون خطيب القوم إن حفلوا لدى ملوك أو في كيدٍ وأقوال »

المهلهل ، أخي كليب ، الذي تعرض فيه لخزاز له جرس يشي بالصدق . ففي إحدى بكائياته المطولة على المهلهل يقول :

إلى رئيس الناس والمرتجى لعقدة الشد ورتق الفتوق
من عرفت يوم خزازي له عليا معد عند أخذ الحقوق
إذ أقبلت حمير في جمعها ومذحج كالعارض المستحيق
وجمع همدان له لجة وراية تهوي هوي الأنوق
تلمع لمع الطير في راياته على أواذي لجّ بحر عميق
فاحتل أوزارهمو أزره برأي محمود عليهم شفيق
وقد علتهم للقنا هبوة ذات هياج كلهيب الحريق
فقلد الأمر بنو هاجر منهم رئيساً كالحسام البريق
مضطلعاً بالأمر يسمو له في يوم لا ينساغ حلق بريق
ذاك وقد عن لهم عارض كجنح ليل في سماء بروق
فانفرجت عن وجهه مسفراً منبلجاً مثل انبلاج الشروق
فذاك لا يوفي به غيره وليس يلقى مثله في فريق

ونفهم من هذه الأبيات التي تشع صدقاً أن قوات اليمن يوم (خزاز) أو (خزازى) كانت مكونة من جمع حمير ومن مذحج وجمع همدان . ونفهم من إضافة (جمع) بالنسبة إلى حمير وهمدان أن الجماعتين تتكون من شعوب أو قبائل متعددة[11] . وهذا يتماشى مع

(١١) مع افتراض وجود قبيلة اسمها حمير كسبأ وحضرموت وقتبان مثلاً وأنها منحت =

ما نعرفه من النقوش عن أوضاعهما ، وعن قوات التبابعة حين تتحرك في أنحاء شبه الجزيرة .

هذا ولما كان يوم خزاز من مفاخر التغلبيين كغيرهم من معد لم ينس عمرو بن كلثوم أن يذكره في معلقته بإيجاز اقتضاه المقام الذي كان يعدد فيه أمجاد قومه وأبطالهم ، فقد اكتفى بقوله :

ونحن غداة أوقد في خزازي رفدنا فوق رفد الرافدينا

رابطاً بين إيقاد النار في جبل خزاز ورفد قومه إلى جانب رفد الآخرين دون أن يحدد من هم الآخرون ، وهم لا شك من معد أو نزار . والبيت في حد ذاته لا يربط المعركة بخزاز الذي أوقدت عليه النار كما تقول الروايات لدعوة نزار إلى الحرب مما قد يزكّي الرأي القائل بأن خزاز والسلاّن موقعان متصلان بمعركة واحدة ، ربما كان مسرحها السلان وحده ، ومن ثم قولنا يوم خزاز والسلان .

٤ ـ يوم حُجر :

ولا شك أن هزيمة اليمن في خزاز والسلان أواخر القرن الخامس

= اسمها لقبائل ولدينا من النقوش عبارة (شعوب حمير) للقبائل المحاربة تحت راية ملوك حمير مثلاً .

أما همدان فاسم أسرة الأقيال في حاشد وقد أخذ نفوذهم يشمل قبائل أخرى ابتداء من أواخر القرن الثالث . وفي أيام أبرهة على الأقل ظهرت عبارة (شعوب ذي همدان) أي القبائل التابعة للأقيال بني أو أذواء همدان .

للميلاد غالباً كانت فاتحة هزائم أخرى لهم ، أو لأنصارهم في وسط الجزيرة ، وذلك بعد أن اضطربت الأحوال في دولة التبابعة الحميرية ، وأدت الصراعات الداخلية بعد عام ٥١٥ م إلى قيام ثورة عارمة شارك فيها بقوة ملحوظة اليزنيون ، الذين استفحل أمرهم منذ عام ٥١٠ م على الأقل[١٢] . وكانت الثورة تحت قيادة يوسف أسأر يثأر المتلقب بملك كل الشعوب والمعروف عند الإخباريين بذي نواس . ورغم استعراض القوة الذي مارسه الملك وأنصاره في الشمال إلى ما وراء نجران عامي ٥١٦ و ٥١٧ م[١٣] إلا أن تهديد الأحباش لهم في عقر دارهم شل أيديهم عن المناطق الشمالية ، فكان على الجيل الثالث من أسرة حجر آكل المرار ، أيام حفيده الحارث بن عمرو المتوفى حوالي عام ٥٤٠ م أن تواجه مصيرها دون دعم يذكر من حمير ، وخاصة بعد أن أسفرت فتن اليمن الداخلية عن غزوة حبشية ناجحة عام ٥٢٥ م أفضت إلى مقتل ذي نواس ووضعت على العرش صنيعة يزنية

---

(١٢) انظر على سبيل المثال :

M.A. BAFAQIH, New Light on the Yazanite Dynasty in PSAS, 1979 vol. 9. p. 5 - 9.

وفي العربية السعيدة كأعلاه ص ٩٢-٩٣ ، جـ ١

(١٣) محمد عبد القادر بافقيه : (اليزنيون الجدنيون من القيالة إلى الملك) في هذا الكتاب .

للأحباش هو سميفع أشوع الذي لم يطل به المقام في الحكم بل ذهب ضحية انقلاب قصر قاده أبرهة بدعم من أقيال يمنيين(١٤) .

في هذه الفترة اتبع ملوك كندة سياسة جديدة فرضتها الظروف ، وصاحبتها تقديرات خاطئة من الحارث بن عمرو إذ اختار الاعتماد على قباذ ملك الفرس ونصير المزدكية في بلاده ، فوصل بذلك ـ كما يقال ـ إلى عرش الحيرة التي رفض ملكها المنذر الثالث (٥٠٦ ـ ٥٥٤ م) مسايرة قباذ . ولكن وصول أنوشروان المعارض لحركة مزدك إلى عرش فارس أدى إلى استعادة المنذر لعرشه . وبدأت بعدها مطاردة طويلة لبني آكل المرار كادت أن تفنيهم .

وكان الحارث في أوج انتصاراته أيام قباذ قد توصل إلى تفريق أولاده ملوكاً على قبائل عدة .

- فحجر ، والد امرئ القيس ، أصبح ملكاً على أسد وغطفان .
- وشرحبيل تولى الملك في بكر بن وائل بأسرها وبني حنظلة والرباب .
- ومعدي كرب على قيس عيلان بأسرها .
- وسلمة على تغلب والنمر بن قاسط .

ولكن بموت الحارث أو قتله ، على اختلاف الروايات ، عام

---

(١٤) كأعلاه .

٥٤٠ م تقريباً دبَّ الخلاف بين بنيه فتساقطوا بأيديهم وأيدي أعدائهم وعلى رأسهم المنذر الثالث ملك الحيرة .

وكان آخرهم هو حجر ملك بني أسد الذي فتك به أتباعه ، ورويت في مقتله حوالي عام ٥٤٨ م روايات رجح الدكتور الطاهر أحمد مكي إحداها ، وهي رواية الهيثم بن عدي ، وذلك في ضوء شعر امرئ القيس ، وشعر عبيد بن الأبرص شاعر بني أسد[١٥] .

٥ ـ أبو يكسوم :

وفيما كانت الأحداث تتفاعل بتلك الصورة في الشمال كان أبرهة قد أمسك بزمام الموقف في اليمن منذ ماقبل عام ٥٤٣ على الأقل[١٦] . وسرعان ماتطلع إلى استعادة زمام المبادرة في الشمال . وقد حفظت لنا النقوش يؤيدها نص شعري فريد خبر غزوة شمالية له عام ٥٤٧ م .

فالنقش (ريكمانز ٥٠٦) يصف حملة على معد حين تمرد كل بني عامر (بن صعصعة) فسار إليهم أبرهة بقوات من كندة (الأعراب) وسعد وقبائل أخرى ألحقت ببني عامر مقتلة وأصابت منهم غنائم

---

(١٥) الدكتور الطاهر أحمد مكي : « امرؤ القيس حياته وشعره » القاهرة ط ٣ ١٩٧٤ ص ٤٦ ـ ٤٩

(١٦) انظر بافقيه : أبرهة تبعاً في هذا الكتاب .

كثيرة . ثم قاد أبرهة بنفسه حملة على حلبان استسلمت إثرها معد وقدمت الرهائن[17] .

وجاء شعر للمخبل السعدي مصدقاً لما جاء في النقش المذكور فهو يقول :

ويوم أبي يكسوم والناس حضر   على حلبان إذ تقضى محامله
طوينا لهم باب الحصين ودونه   عزيز يمشي بالحراب مقاوله

وقد اشتهر أبرهة عند العرب بكنيته (أبو يكسوم) نسبة إلى ابنه الأكبر الذي جاء اسمه في النقوش على صورة أكسوم بالألف تماماً كاسم المملكة الحبشية المعروفة واسم القبيلة صاحبة المملكة واسم حاضرتها في أريتريا .

ولا غرابة فاليكسوم في مقابل أكسوم قد تكرر في الشعر الجاهلي مرات ، وكان يقصد به في إحداها اسم القبيلة (انظر ٦ يوم باقي الحديث) .

أما أكسوم ، أو يكسوم بن أبرهة فشخصية تاريخية معروفة . وكان أيام أبيه قيلاً على ردمان بلقب (ذي معاهر) لقب الأقيال في تلك المقولة الهامة التي شهدت في تاريخها تقلبات كثيرة منذ لحظة قيام نظام سبأ وذي ريدان على الأقل .

---

(١٧) كأعلاه.

ومن الشواهد الشعرية الجاهلية على استخدام عبارة (أبي يكسوم) كناية عن أبرهة قول لبيد :

لو كان حي في الحياة مخلداً   في الدهر ألفاه أبو يكسوم

ولكن هناك أيضاً حالة أخرى استخدم فيها اسم (يكسوم) مجرداً وكان يقصد به فيما يبدو الابن الذي حكم بعد أبيه ، وإن كان الجزم بذلك صعباً لغموض في المحتوى . يقول لبيد :

إنَّ أبانَ كان جلواً بشْرا
ملِّئ عمراً وأرِبَّ عَمْرا
ونال من يكسوم يوماً صهرا
وردّ إذا كان النَّواصي غُبْرا

وعلاوة على كل ما تقدم فإن الهمداني ، الذي يذكر الكثير من الأبارهة واليكاسيم ، يذكر لنا أكسوماً هو أكسوم بن الأسود بن ياسر المناخي ، ويقول إن هناك غيره[١٨] .

٦ - يوم باقي الحديث :

وباختفاء أبرهة جاء الانهيار الأخير فلم يكن أبناؤه في مستوى الظروف التي كانت تحيط بهم وبالبلاد . ثم أن جانباً كبيراً من اليمن

---

(١٨) الإكليل ٢ تحقيق القاضي محمد بن الأكوع ، طبعة ١٩٦٧ ، ص ١٥٧

كان زاهداً في حكمهم قالياً لهم يود الخلاص منهم بأي ثمن .. وكان الثمن باهظاً ، ولم يكن إلا استبدال الفرس بالأحباش .

ولدينا من الشعر الجاهلي مقطوعة حية رائعة تصور زحف الكتائب الفارسية وهي تقترب من صنعاء هابطة إليها من المنقل (أي النقيل بلغة النقوش) ، ولعله (عصر) إن لم يكن (يسلح) ، يراها الأقوال أي الأقيال فرحين وقد تعالت الأصوات تنادي بمطاردة الأحباش الذين يصفهم الشاعر بآل بربر - ويقصد الأحباش الأتباع وهم العنصر الإفريقي ، واليكسوم وهم العنصر السامي ذي الأصول العربية من بينهم - يطاردونهم خشية أن يفلتوا هرباً .

أما صاحب المقطوعة فشاعر عربي من أقاصي الشمال هو عدي بن زيد من بني العباد يوصف بأنه « أول من كتب بالعربية في ديوان الأكاسرة »[19] . ويظهر من وصفه كما لو أنه حضر الواقعة .

تقول المقطوعة بعد مقدمة تمهيدية من أربعة أبيات لا تعنينا كثيراً :

ما بعد صنعاء كان يعمرها ولاة ملك جزل مواهبها
رفعها من بنى لدى قزع المزن وتندى مسكاً محاربها
محفوفة بالجبال دون عرى الكائد ما ترقى غواربها

(١٩) موسوعة الشعر العربي كاعلاه جـ ٤ ، ص ٤٣٧

ينافس فيها صوت النهام إذا جاوبها بالعشي قاصبها
ساقت إليها الأسباب جند بني الأحرار فرسانها مواكبها
وفوّزت بالبغال توسق بالحتف يسعى به توالبها
حتى رآها الأقوال من طرف المنقل مخضرة كتائبها
يوم ينادون آل بربر واليكسوم لا يفلتن هاربها
فكان يوم باقي الحديث وزالت أمة ثابت مراتبها
وبدل الفتح بالزرافة والأيام جون جم عجائبها

٧ - يمان ويمانية :

كثيرون هم الشعراء الجاهليون الذين ذكروا أموراً متصلة باليمن في أشعارهم من قبائل ومرابع ومنتوجات ، بل وريحاً تهب من جانب اليمن تدعى ريحاً يمانية كما في قول الحبيب بن عبد الله الهذلي ، وهو غالب الظن من متصغلكة هذيل ، يصف فرسه التي هرب بها من الأعداء فيقول :

كأن جناحه خفقان ريح يمانية بريط غير بال

والريط جمر ريطة وهي « الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ، وقيل كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسيج واحد ، وقيل هو كل ثوب لين رقيق » (اللسان) ، وهو الأقرب إلى الواقع ، فيما قال الأزهري « لا تكون الريطة إلا بيضاء » (اللسان أيضاً) . والريح في هذا

التشبيه يمانية ولكن الشاعر لم يقل إن الريط يمان وهو ما قاله أوس بن حجر في مقارنة ربطت بين العرض والريط وذلك حين قال :

فإنا وجدنا العرض أحوج ساعة إلى الصون من ريط يمان مسهَّمِ

ونلاحظ أن الريط اليماني هنا مسهم أي مخطط ، مما يجعل الريطة ملاءة لا أكثر ولا أقل ، قد تكون بيضاء وقد تكون مسهمة ، وذلك على خلاف ما ذهب إليه الأزهري . أما أوس الشاعر فمن فحول الشعراء ، ويكفيه أنه كان بمثابة الأستاذ لزهير بن أبي سلمى الذي نشأ في كنف أوس ، هذا وقد حوى شعره إشارات أخرى إلى اليمن سنأتي إليها .

على أننا إذا أردنا استقصاء كل ما نسب إلى اليمن من أشياء في الشعر الجاهلي وعد يمانياً فلن يتسع له مجال هذا المقال . وهو يكثر في وصف أنواع الأسلحة وأدوات الحرب كما في قول عمرو بن كلثوم ، على سبيل المثال حيث وصف اليلب (نسيج يلبس تحت الخوذة) :

علينا البيض واليلب اليماني وأسياف يقمن وينحنينا

ولا ندري هل كانت الأسياف المذكورة يمانية أيضاً فالسيوف اليمانية مشهورة ، وكان سيف الشنفرى ، صاحب لامية العرب منها ، فهو يقول :

وإنك لو تدرين أن رب مشرب مخوف كداء البطن أو هو أخوف
وردت بمأثور يمان وضالة تخيرتها مما أريش وأرصف

وإذ نحن في حديث السلاح فلا ضير في أن نقول بأن الدروع وصفت أحياناً بأنها تبَّعية ، وأنه قيل عن بعض القنا أو نصالها إنها يزنية ويزأنية . فهذا هو النابغة الذبياني ، وما أدراك ما النابغة الذبياني ، يقول مادحاً وواصفاً جملة عتاد الحارث الغساني :

وكل صموت نثلة تبَّعية ونسج سُليم كل قضّاء ذائل

وهما هنا على ما يبدو نوعان من الدروع . صموت (قيل في شرحها إنها لينة) ونثلة (أي سابغة) . وهذه هي الدرع التبَّعية . أما الأخرى فمنسوبة إلى سليمان النبي (سُلَيم مرخماً) ، وهي محكمة صلبة (قضاء) طويلة (ذائل) . ومثل ذلك قول المزرد بن ضرار الذبياني أيضاً :

ومسفوحة فضفاضة تبّعية وآها القتير تجتويها المعابل
دلاص كظهر النون لا يستطيعها سنان ولا تلك الحظاء الدواخل
موشحة بيضاء دان حبيكها لها حلق بعد الأنامل فاضل
مشهَّرة تحنى الأصابع نحوها إذا جمعت يوم الحفاظ القبائل[٢٠]

---

(٢٠) انظر المفضليات تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام محمد هارون القاهرة ، ط ٥ بلا تاريخ القصيدة ٣٨/١٧ _ ٤١

وقوله يصف نسيجاً من حلق يلبس تحت البيضة :

وتسبغة في تركة حميرية ولامصة ترفض عنها الجنادل
كأن شعاع الشمس في حجراتها مصابيح رهبان زهتها القنادل

وغير واضح لنا سبب التفريق هنا بين تبَّعية وحميرية فالتبابعة حميريون[٢١] ، ولكن لعل شاعرنا أراد التنويع وحسب ، فهو من عصر قريب عهد بالتبابعة وآخرهم كما قلنا أبرهة على الأقل[٢٢] . على أن اسم تبع لم يرد في النقوش المعروفة ، ولكن وروده في القرآن الكريم يؤكد صحة ما جاء في الشعر الجاهلي متواتراً . وقد ربط الشعراء بين الدروع وتبَّع كما ربطوا بينها وبين سليمان النبي ـ الملك وأبيه داود ـ فهذا هو أبو ذؤيب الهذلي يقول :

وعليهما ماذيتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع

ولقد روي عن الرسول ﷺ أنه قال : « ولا تسبوا تبعاً ـ ويقصد تبع الذي ذكر بلقبه في القرآن ـ فإنه أول من كسا الكعبة » . وهو ما يذكرنا بقول قيس بن الخطيم (من الأوس) :

والله ذي المسجد الحرام وما جلل من يمنة لها خنف

(٢١) انظر محمد عبد القادر بافقيه : (الحارث الرائش ونسبه المختلف فيه) في هذا الكتاب . (مختارات من النقوش اليمنية القديمة) كأعلاه الموجز فقرات ٦ ـ ٢ و ٣ و ١٠٧

(٢٢) انظر بافقيه (أبرهة تبعاً) كأعلاه .

واليمنة ضرب من برود اليمن ، وأما الخنف فحواشٍ كحواشي السباعيات[٢٣] .

وإذا عدنا إلى أبي ذؤيب فسنجد عنده إحدى الإشارات إلى القناة اليزنية حيث يقول :

وكلاهما في كفه يزنية فيها سنان كالمنارة أصلع

(المفضليات ٦٢/١٢٦)

وقد جاءت يزنية هنا مخففة كما تعودنا عليها ، ولكن عدي بن وداع من شعراء الأزد[٢٤] أوردها كما نعهدها في النقوش في ألقاب الأقيال ، أي يزأن ، التي تكون النسبة إليها يزأنياً وذلك في قوله :

فأرخيت القناة ويزأنياً على الأكفال بالطعن المعاق

مفرقاً بين القناة وسنانها ، فاليزني أو اليزأني الذي يشير إليه الشعراء هو ، أغلب الظن ، السنان الذي يركب في القناة ، وهو منسوب إلى اليزنيين الأقيال ، فالملوك فالأقيال . أما القناة فعود نبتة

---

(٢٣) محمد عبد القادر بافقيه : (يمنة الحلقة المفقودة في سلسلة اللقب الملكي الحميري) في كتاب مهدى إلى العالمة ماريا هوفنر بعنوان (الهدهد) جرار ١٩٨٠ م . وكذلك في العربية السعيدة كأعلاه ص ٥٢ وهامش ٤

(٢٤) كأعلاه ص ١٣٣ وما بعدها ، د . يحي الجبوري : (قصائد نادرة) بيروت ١٩٨٢ ص ٦٣ (٢٩) .

قـد يُثقَّف وقـد لا يحتـاج إلى كثير تثقيف ، وهـو صنعـة الله . ومن ثم قول المتنبي :

كلمـــا أنبت الـــزمـــان قنـــاة ركَّب المرء في القنـــاة سنـــانـــا

هذا وقد وصف الشعراء كثيراً من رجالات اليمن من الشخصيـات التاريخيـة المعروفـة بـأنهم يمـانيون . ومن ذلـك مـا جـاء عنـد المتلمس متحـدثـاً عن قيس بن معـدي كرب أبي الأشعث بن قيس الكنـدي حيث يقول :

إذا بلغت قيس اليماني نـــاقتي فـأي خليـل بعـد قيس تلمس ؟

وفي مقطوعة أخرى له من الروي نفسه تروى منفصلة عن أختهـا هـذه ولعلهما كانتـا متصلتين جـاء تعريضـه بعجـز أحـد التبـابعـة عن إسقاط حصن في اليمامة اسمه (الجون) . وذلك في قوله :

ألم تر أن الجـون أصبـح راسيـاً تطيف بـه الأيـام مـا يتـأيس
عصى تبعـاً أيـام أهلكت القرى يطان على صم الصفيح ويكلس [٢٥]

وقد أطلق وصف اليماني على أبرهة الذي اعتلى عرش التبابعة بدعم

---

(٢٥) أقدم غارات التبابعة في تلـك الأنحـاء هي التي وردت في (نقش عبـدان الكبير) قبيـل منتصف القرن الرابـع . وفي الأخبـار روايـات عن تبـع متـأخر غـزا تلـك الأنحاء .

يمني[٢٦] ، وكان من أشهر ملوك القرن السادس . ففي الجزء الثاني من الإكليل أورد الهمداني بيتاً من الشعر نسبه إلى قيس بن الخطيم ، ولكنه اعتبر المقصود بالشعر قيلاً من أقيال اليمن اسمه (أبرهة) ولم يقل إنه الملك المعروف[٢٧] . والبيت هو :

فإن نلحق بأبرهة اليماني   أو النعمان يوجهنا وعمرو

على أن قيساً اليماني والد الأشعث المتقدم ذكره حظي لكرمه بعناية الشعراء ، وقد تذكره عبد يغوث بن وقاص الحارثي في محنته حين أسر في يوم الكلاب الثاني وتقرر قتله فقال في رائعته التي أنشدها وهو يموت :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا   ومالكما في اللوم خير ولا ليا
ألم تعلما أن الملامة نفعها   قليل وما لومي أخي من شماليا
فيا راكباً إما عرضت فبلغن   نداماي من نجران أن لا تلاقيا
أبا كرب والأيهمين كليهما   وقيساً بأعلى حضرموت اليمانيا

وأبو كرب والأيهمان ، كما يقول الشراح ، من سادات نجران ، وأحد الأيهمين هو عبد المسيح بن الأبيض الملقب بالعاقب (عن ابن الأثير عن المفضليات) ، والثاني لعله الملقب بالسيد ، وقيس هو

---

(٢٦) انظر (في العربية السعيدة) كأعلاه ص ١٠٠ وما بعدها ، جـ ١

(٢٧) الإكليل ٢ كأعلاه ص ١٥٨ ـ ١٥٩

صاحبنا ، وقد صرح الشاعر بأنه بأعلى حضرموت ، وأعلى حضرموت الوادي . يقع في غربه وفيه ديار كندة التي انكفأت إليها من الشمال .

ولقد حظيت نجران ، تلك المدينة التجارية التاريخية المتفردة موقعاً ، وأحياناً موقفاً ، والمحافظة دوماً على انتعاشها الاقتصادي عبر الأزمنة ، حظيت بعناية الشعر الجاهلي ، ربما لوقوعها على الطريق إلى قلب اليمن . وممن ذكرها طرفة بن العبد ، وقد قرنها بتثليث . وكانت ديار مذحج في ذلك العصر تقع بين تثليث ونجران . يقول طرفة :

أتعرف رسم الدار قفر منازله كجفن اليماني زخرف الوشي ماثله
بتثليث أو نجران أو حيث تلتقي من النجد في قيعان جأش مسائله

وجفن اليماني هو غمد سيفه . وكان اليمانيون كثيري المتاع مما يلفت النظر كما سنرى .

وإذا عدنا إلى قيس بن معدي كرب فسنجد الأعشى قد أولع بمدحه . ومن ذلك ما جاء في قصيدته النونية التي بدأها بالشكوى من طول الزمان :

لعمرك ما طول هذا الزمن على المرء إلا عناءٌ معن

وذكر (ذا يزن) من جملة الذين أزالهم الزمن :

أزال أذينـــة عن ملكــــه   وأخرج من حصنـــه ذا يــزن

ثم خلص إلى ممدوحه :

تيممت قيســـاً وكم دونـــه   من الأرض من مهمـه ذي شزن

ليقول بعد استطراد :

ولكن ربي كفـــــا غربتي   بحمـــد الإلـــه فقـــد بلَّغن
أخـــا ثقـــةٍ عـــاليـــاً كعبــه   جــزيــل العطـــاء كريم المنن
كريمـــاً شمائلـــه من بني   معـــاويـــة الأكرمين السنن

وفي كرمه :

هــو الــواهب المئــة المصطفــا   ة كالنخــل زينهــا بــالرَّجن
وكل كميت كجـــذع الخصـــا   ب يرنــو القِنــاء إذا مــا صفن

ومن شمائله أنه :

هــو الــواهب المسمعــات الشرو   ب بين الحرير وبين الكتن

والقصيدة كما يعرضها ناشر ديوان الأعشى المجهول (طبعة صادر ببيروت) تتكون من جزأين بينهما فاصل لم يكلف الناشر المذكور نفسه عناء تفسيره . ولكن بيتاً في الجزء الأخير يبدو قلقاً إذ يقول الأعشى :

ونبئت قيســـــاً ، ولم أبْلُــــهُ كما زعمــــوا خير أهــــل اليمن

إذ لا يستقيم ذلك البيت في موضعه الذي نشر فيـه مع مـا سبقـه من مـدح . فهـل كان الجـزء الأخير من قصيـدة مستقلـة أم ترى أن موضع البيت هو المشكلة ؟

في كل الأحـوال فـإن القصيـدة أو القصيـدتين ترجعــان ، أغلب الظن إلى فترة اتصال الأعشى بقيس لأول مرة .

وهنـاك قصيـدة أخرى (حسب ترتيب القصـائـد في الـديـوان المذكور) وهي من نفس الروي جاء فيها بعد مقدمة طويلة :

عــــدِّ هــــذا في قريضٍ غيره واذكرنْ في الشعر دهقــان اليمنْ
بــــأبي الأشعث قيس إنـــــه يشتري الحمــــد بمنفــوس الثمن
جئتــه يـومـــاً فـــأدنى مجلسي وحبـــــاني بلجــوج في السُّنن
وثمـــــانين عشـــــارٌ كلهــــا آركات في بريم وحضن[28]
وغـلام قـــائم ذي عــــدوة وذلـول جسرة مثـل الفـــدن

---

(٢٨) عن يريم وحضن قال الشارح كعادة الشراح إنها موضعان مفسراً الشيء بالشيء ذاته . ولا نعرف موضعاً بأي من هذين الاسمين في وادي حضرموت ، ولكن هناك في النقوش (برم) اسم الجزء الأسفل من بيحان فهل هو المقصود وهل كان ينطق (بريم) ، و (حضن) تذكرنا (بحضنم) في (نقش النصر) لكرب إيل وتربن ذمار علي وهي غالباً المنطقة التي تعرف بالحاضنة التي تقع فيها عتق أغلب الظن .

ولم تكن نونية أو نونيات الأعشى كل ما قاله في قيس ، ولكنها قد تكون أطولها وأفضلها .

وتلفت نظرنا مقطوعة أخرى صغيرة في الديوان جاء فيها قوله :

و يا حبذا وادي النجير وحبذا قيس الفعال

ووادي النجير هذا لا بد أن يكون في الغرب من وادي حضرموت حيث منازل كندة آنذاك . وفيه كان أغلب الظن حصن النجير الذي احتمت به كندة حين ارتدت[٢٩] ، فالنجير التي في الشرق إنما تقع في ديار حضرموت القبيلة وسيدها آنذاك مسروق بن وائل الذي مدحه الأعشى في قصيدة مطلعها كما جاء في الديوان :

قالت سميّة من مدحت فقلت مسروق بن وائلْ

ثم قال إن سيلا أطنب في وصفه ليس :

يوماً بأجود نائلاً مِلْحضرميٍّ أخي الفواضلْ [٣٠]

وذكر تريم حيث قال :

---

(٢٩) انظر ما يقوله صالح بن علي الحامد في تاريخ حضرموت جدة بلا تاريخ جـ١ ص ١٥٥

(٣٠) ملحضرمي أي من الحضرمي .

طـــال الثـواء لـــدى تريم وقـــد نـــأت بكر بن وائـــلْ

ولكن ترتيب أبيات هذه اللامية محير جاءت كما اتفق ولم يبذل ناشرها أقل جهد في عرضها . وهناك لامية أخرى يقول الناشر إنها في مدح قيس ولكن الذي نراه فيها (ملك بشبوة) كما جاء في مطلعها :

هـــل أنت يـــا مصـــلات مبتكر غـــداة غـــد فراحـــل
إنـــا لـــدى ملـــك بشبـــوة مـــا تغب لـــه النـــوافـــل

ومهما يكن من أمر فإن الديوان به قصائد مدح في حكام آخرين من العرب منهم سلامة ذو فائش من الحميريين . وفيه قال بعد غزل ومجون ووصف طويل للطريق والراحلة :

تـــؤم ســـلامـــة ذا فـــائش هـــو اليـــوم حمٌّ لميعـــادهـــا
وكم دون بيتـــك من صفصف ودكـــداك رمـــل وأعقـــادهـــا
ويهماء بـــالليـــل غطشى الفـــلا ة يـــؤنسني صـــوت قيـــادهـــا
ووضـــع سقـــاءٍ وإحقـــابـــه وحـــلِّ حلـــوسٍ وإغمـــادهـــا
فـــإنْ حميرٌ أصلحت أمرهـــا وملت تســـاقيَ أولادِهـــا
وُجـــدْتَ إذا اصطلحـــوا خيرهم وزنـــدك أثقب أزنـــادهـــا

وكل هذا الشعر الحافل بذكر مواضع في اليمن ـ إذا صح[٣١] ـ فإنما

(٣١) نقول هذا من قبيل الحذر إذ أننا لم نقم بتحقيق النصوص كما ينبغي فهذا عمل يحتاج إلى وقت .

يصور ما قاله الأعشى عن ترحاله في طلب المال فقد نسب إليه قوله :

وقــد طفت للمــال آفــاقــه عُمان فحمص فــــأوريشلمْ

بل :

وقد طفت ما بين بانيقيا إلى عـدن وطال في العجم ترحالي وتسياري

فهل بلغ حقاً (منتهى اليمن) ـ عدن ؟

إن شعر المديح عرضة لأن يـدس فيـه كلام منحول إن لم ينتحل كله من الأساس .

ومع ذلـك فليس هـذا هو الـذكر الوحيـد لعـدن في شعر جـاهلي فهناك ، على الأقل ، قول أفنون التغلبي على ما فيه :

سألت قومي وقد سدت أبـاعرهم ما بين رحبة ذات العيص والعـدن

حيث أراد بـالعـدن (مـدينــة عــدن) أدخـل عليهـا حرف التعريف ، كما نص عليه ياقوت ، ولم ينص عليـه في المعـاجم على حـدِّ قول الشارح في المفضليات (القاهرة ، ط ٥ ، ص ٢٦٢) ، أمـا رحبـة ذات العيص فلعلها حقاً رحبة صنعاء (انظر الديوان) .

هذا وقد أورد الهمداني شعراً كثيراً منسوباً إلى الأعشى مما جـاء في الديوان المذكور أو لم يجئ ، وأهمه ما جاء في سلامـة ذي فـائش الـذي هو عنـده ذو فـايش الأصغر (الإكليل ٢ ط ١٩٦٧ ص ١٩٥) ، وذكر

من المواضع التابعه له ريمان الذي ذكر في شعر شعراء آخرين وإرباب في رأس جبل أدم من يحصب العلو وهو رأس صبر كما يقول الهمداني ، وصبر هو المعروف اليوم بسمارة .

ويبدو ريمان في شعر لأوس بن حجر مكاناً منيعاً فهو يقول :

ولو كنت في ريمان تحرس بابه أراجيل أحبوش وأغضف آلف
إذن لاتقني حيث كنت منيتي يخب بها هاد لإثري قائف

وهو المعنى نفسه الذي أورده بأسلوب آخر الشمر بن عمرو الحنفي :

لو كنت في ريمان لست ببارح أبداً ، وسد حضاضه بالطين
لي في ذراه مآكل ومشارب جاءت إليَّ منيتي تبغيني

وهذا التوارد إنما يؤكد لنا صحة ذيوع سمعة هذا المكان المنيع ويدل على أنه كان حصناً .

ولكن ماذا عن أجمل المدن العربية القديمة ، مارب[٣٢] ، حتى

---

(٣٢) عبارة (أجمل المدن العربية) جاءت عند كاتب كلاسيكي كان بطريارك القسطنطينية ما بين ٨٥٧ و ٨٨٦ م . انظر ترجمة إنجليزية لذلك في كتب :

N.Groom, Frankincense and Myrh, London, 1981,71

وإن كان قــد قفى أو عفى على آثــارهــا انهــدام العرم كما يقــول الأعشى[٣٣] .

ولدينا من قصيدة لسلامة بن جندل قوله :

ألا هل أتت أنباؤنـا أهل مـارب كما قد أتت أهل الـديـار والخورنق
بـأنـا منعنـا بـالفروق نســاءنـا وأنـا قتلنــا من أتــانـا بمــأزق

وآن لنا وقد طال تطوافنا في مغـاني الشعر أن نفضَّ ختـام حقـة حميرية يكون عطرها مسك ختام الكلام . وأين ترانا نجد ذلـك إن لم يكن عند من يقول :

وريح سناً في حقـةٍ حميريـة[٣٤] تخص بمفروك من المســك أذفرا
وبـانـاً وألويّـاً من الهنـد ذاكيـاً ورنــداً ولبنى والكبــاءَ المقترا

إنـه امرؤ القيس بن حجر ، الملـك الضليـل وأمير الشعراء ، وفي

(٣٣) جاء هذا في قصيدة الحيرة التي ذكر فيها أوريشلم في أبياتها الأخيرة :

ففي ذاك للمــؤتسي أســوة ومــأرب قفـا عليهــا العرم

(٣٤) يقول شارح الديوان (ديوان امرئ القيس) الذي حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة من غير تاريخ ٥٩ هامش ١٢ : « وخص الحقة الحميرية إلا أن أكثر ملوك العرب من حمير فحقتهم تخص بـأطيب الطيب » . وهـو شرح لا يفيـد علماً إن لم يُضل فـالحقـة الحميريـة ليست بـالضرورة حقـة الملوك ، وفي المتـاحف أنـواع من الأوعية التي استخدمت للطيوب . وكان قدماء اليمنيين يعنون باختيار مادة الحقة بحيث تحفظ أريج المادة من التبخر وهذا ما عناه الشاعر .

هذين البيتين قـائمـة بـأنواع الطيوب التي صنعهـا اليمانيون أو تـاجروا فيها وعرفوا بهـا في كل ديـارهم من عـدن (مقـط التراب) حتى ديـار كنـدة الأصليـة في أرض قحطـان ، وحيث كانت قريتهم قريــة ذات كاهل إحدى المراكز الرئيسة على طريق البخور .

وفي بيته الثاني نجد الرند واللبنى اللذين يذكراننا بـالمقـاطر ، أي المباخر الأثرية في متحف عـدن ، والتي حفرت عليهـا ألفـاظ بـالخـط المسند هي :

رند 𐩧𐩬𐩵

لبنى 𐩡𐩨𐩬𐩺

ألم نقل إنها أمة واحدة ولغة واحدة وتاريخ واحد ؟

واسألوا المستشرقين إن كنتم مستغربين !

لقد عـاش امرؤ القيس في عصر كان فيـه جـانب من قـومـه قـد استقروا في حضرمـوت[٣٥] ، ومنهم ، أغلب الظن ، خـالـه ابن كبشـة الذي ذكره هو في شعره حيث قال :

---

(٣٥) لا نستبعد أصولاً حضرمية لكندة وهي أسرة الملوك في قرية (الفاو) التي تنتسب إلى جد أعلى اسمه ثور كما يقول علماء الأنساب ، وكما يلمس من نقش ذكر الملك ربيعة ملك كنـدة وقحطـان إذ جعلـه من آل ثور وهو ملـك معـاصر لشعر أوتر الهمداني ـ السبئي كما تقـدمت الإشارة (هـامش ٩ أعلاه) . لا نستبعـد ذلـك إذ

خالي ابن كبشة قد عرفت مكانه وأبو يزيد ورهطه أعمامي

والذي يرى البعض أنه يزيد بن كبشة عامل أبرهة في العبر . (C.541) .

وهو ما قد يفسر قول امرئ القيس :

كأني لم ألـه بـدمون مرة ولم أشهد الغارات يوماً بعندل

وإذا كنا لا نعرف شيئاً عن تلك الغارات فنحن لا نستبعدها في عصر ترددت فيه الأحوال . وهذا ما يذكرنا بما زعمه الشاعر الصعلوك السليك بن السلكة من أنه كان يغير في عمق اليمن كما يظهر من قوله :

وأذعر كلاباً يقود كلابه ومرخة لما أقتبسها بقنب[٣٦]

وكنا قد تحدثنا عما آل إليه حال حجر والد امرئ القيس وأعمامه . ولقد بكى شاعرنا الأعمام والأهل ، ولكنه سعى إلى الأخذ

= ثبت وجود جالية حضرمية قديما في قرية . وإذا صح ذلك أو لم يصح فإن كندة التي وجدت في حضرموت ربما منذ القرن الرابع وبصفة مؤكدة في القرن السادس إنما هي من الملوك وأتباعهم الذين ينطبق عليهم وصف أعراب كندة كما هو حال (أشعب ذي همدان) ، وهم أساسا القبائل التابعة للأقيال بني همدان .

(٣٦) هذا تصحيح منا لمرجة (اللسان مادة مرج) إذ نرى أنها تصحيف مرخه وينبغي أن تكون في مادة مرخ .

بثأر أبيه حتى مات . وقد ذكر مسعاه ذاك في رائيته التي استشهدنا آنفاً ببيتين منها فقد جاء فيها :

عليها فتى لم تحمل الأرض مثله — أبر بميثاق وأوفى وأصبرا
هو المنزل الآلاف من جوِّ ناعطٍ — بني أسدٍ حزناً من الأرض أوعرا
ولو شاء كان الغزو من أرض حمير — ولكنه عمداً إلى الروم أنفرا

وهو القائل في مناسبة أخرى ، وبالروي نفسه متذكراً أمجاد أبيه :

ويغزو بأعراب اليمانين كلهم — له أمرهم حتى يحل المشقَّرا

ولأعراب اليمانيين هذه دلالة كبيرة فهي تعني أن القبائل البدوية التي كانت تقاتل إلى جانب الملوك وتتكون منهم أحياناً قوات شبه رسمية في جيوش الممالك اليمنية القديمة وجيش الأعراب الحميري الكبير إنما هي من اليمن ، ولهذا نرى في قوله (أعراب اليمانين) هذا الرد الذي طالما بحثنا عنه لإقناع الذين يزعمون أن الأعراب الذين ذكروا في النقوش اليمنية أعراب قادمون من المناطق العدنانية ، باحثين في ذلك عن حجة لا وجود لها يدعمون بها زعماً غريباً يقصر العروبة والعربية على العدنانيين .

هذا ولعل قمة اعتزازه بيمانيته أبياته التي تقول :

تطـــاول الليـل على دمـون دمـون إنـا معشر يمـانـون
وإننا لأهلها محبون

ولا يطعن في صدق نسبة هذا الشعر إلى شاعرنا أننا لا ندري أي دمون يعني[٣٧] ؟ فنحن نعرف أن ما يذكره من مواقع في اليمن إنما يذكره عن خبرة . ولعله قد ارتاد ديار همدان التي ذكر منها ناعط وديار حمير ومنها هكر التي وردت في تشبيهاته كما في قوله :

هما نعجتان من نعاج تبالة لدى جؤذرين أو كبعض دمى هكر

وهكر مدينة ذكرت في حروب إيل شرح يحضب الثاني وكرب إيل أيفع في نقوش سبئية وحميرية عبرت عن وجهتي نظر الجانبين في حروبهما قبل اتحادهما الأخير في القرن الثالث .

وفي القصيدة ذاتها نراه يقول :

لعمرك ما إن ضرني وسط حمير وأقيالها إلا المخيلة والسكر
وغير الشقاء المستبين فليتني أجرُّ لساني يوم ذلكم مجر

وهو ضرب من نقد الذات لا يعرفه إلا الأقوياء . وقد قال الشراح إنه أراد أن يفسر بذلك خذلان حمير له[٣٨] . ولكننا نرى فيه

(٣٧) ينطبق على دمون ما ينطبق على النجير (انظر هامش ٢٩ أعلاه) .
(٣٨) انظر الديوان كأعلاه .

أيضاً دليلاً على مخالطته لهم ، وهو ما قد يفسر تشبيهاته من مثل :

ومـاذا عليـه إن ذكرت أوانســاً	كغزلان رملٍ في محاريب أقيـال

وهي عندنا تماثيل غزلانٍ وليست غزلاناً يربيها الأقيال أو حتى الملوك[39] . تماثيل من نوع التماثيل والدمى التي تزين القاعات في القصور[40] .

وأخيراً لنتأمل تتبعه لنشوء المطر وتجمع السيل وتدفقه حتى ساح في صحراء الغبيط إذ لم يجد ما يشبّه انتشاره ذاك مع ما جره في طريقه من أشياء إلاّ نزول التاجر اليماني يحيط به الأتباع ويتناثر حولهم أنواع المتاع :

أحــارِ ترى برقــاً كأن وميضــه	كلمـع اليـدين في حبيٍّ مكلَّــلِ
يضيء سناه أو مصابيح راهب	أهان السليط في الذبال المفتل
قعدت لـه وصحبتي بين حـامر	وبين إكام بعــد مــا متــأملي
وأضحى يسح الماء عن كل فيقة	يكب على الأذقان دوح الكنهبل

---

(٣٩) الشراح يخلطون بين قيل وملك وينسون أو يجهلون أن القيالة مرتبة دون الملك ، انظر ١٧ Le YEMEN ، أو (مختارات من النقوش اليمنية القديمة) الموجز ٣ ـ ٥

(٤٠) انظر محمد عبد القادر بافقيه : (لمحات من أعمال الصيانة والترميم في اليمن القديم) في دراسات يمنية ، عدد ٣٦ ، صنعاء أبريل ـ يونيو ١٩٨٩ م ، ص ٥٦ ـ ٥٨

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا أطماً إلا مشيداً بجندل
كأن طميَّة المجيمر غدوة من السيل والغثَّاء فلكة مغزل
كأن أباناً في أفانين ودقه كبير أناس في بجادٍ مزمل
وألقى بصحراء الغبيط بعاعه نزول اليماني ذي العياب المخول[41]

هذا إذن هو بعض ما حفظه لنا الرواة من ذكر اليمن في الشعر الجاهلي . وهو - كما هو واضح - لا يكاد يخرج عن نطاق القرن السادس الميلادي . فأقدمه كما يبدو متصل ببداية ارتخاء قبضة التبابعة على القبائل النزارية المعدية ، وأحدثه قريب من صدر الإسلام أو معاصر له وخاصة شعر الأعشى . والقرن السادس بعد الميلاد هو الفترة التي شهدت بلورة شكل القصيدة العربية وليدة نهضة الشعر الجاهلي وعلامتها البارزة بعمودها المعروف الذي ارتكز عليه بناؤها الفني .

والسؤال الذي لا مفرَّ منه هو ماذا عن شعر القرن الخامس وما قبل الخامس ؟

والجواب هو أنه ضاع فيما ضاع من تراث العرب الفكري والأدبي أو لم يكتشف بعد .

---

(٤١) انظر الديوان كأعلاه .

على أنه لدينا من المصادر الأجنبية إشارة لطيفة إلى الشعر العربي في القرن الرابع الميلادي ، ففي مؤلف من النصف الأول من القرن الخامس عن (تاريخ الكنيسة) جاء ذكر يوم من أيام القرن الرابع ظل ذكره باقياً في الأذهان حتى وقت كتابة ذلك المؤلف الذي جاء فيه : « أن العرب قالت فيه الأشعار »[٤٢] ، أي أنها قالت أشعاراً في ذلك اليوم أو المعركة . وهي بلا شك أشعار قديمة سابقة على عصر نهضة الشعر الجاهلي ، وقد تعود إلى الفترة نفسها التي اجتاح فيها جيش أعراب حضرموت اليماني بقيادة بني ملشان اليزنيين أرض نزار وبلغت أطراف أرض غسان على الأقل (نقش عبدان الكبير) . فهل سكت الشعراء عن ذلك اليوم من أيام اليمن ونزار ؟

---

(٤٢) انظر : نينا فكتورڤنا بيغوليفسكانا ، « العرب على حدود بيزنطة وإيران » من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، الكويت ١٩٨٥ ، ص ٢٤ ، عن المؤلف سوزومينوس ، وص ٥٤ ـ ٥٥ عن المعركة والإشارة إلى أشعار العرب .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٩
١ ـ الحارث الرائش	
ونسبه المختلف فيه	١٣
٢ ـ الرحبة وصنعاء	
في استراتيجية الدولة السبئية	٥١
٣ ـ الأقيال والأذواء	
ونظام الحكم في اليمن القديم	٧٤
٤ ـ عودة إلى نقوش العقلة	٩٥
٥ ـ بحلف سبأ وحمير وحضرموت	
أو خاتم التبابعة	١٢٠
٦ ـ اليزنيون والجدنيون	
من القيالة إلى الملك	١٣٧
٧ ـ أبرهة تبعاً	
تأملات في عهده في ضوء نقشه الكبير	١٧٨
٨ ـ الأنساب اليمانية	
عناصرها ومصادرها	٢١٥
٩ ـ الشعر الجاهلي واليمن	٢٦٩

هذا الكتاب

من هو (الحارث الرائش) الذي أقام نشوان الحميري الدنيا من أجله ولم تقعد بعد ؟

- متى ولماذا وكيف قامت صنعاء ، ومن هو الذي أمر باختطاطها ؟

- ما هي العلاقة بين القيل والملك في نظام الحكم في اليمن القديم ؟

- مم يتكون خاتم التبابعة وإلام يرمز ؟

- من هم أسلاف سيف بن ذي يزن ، وكيف وصلوا إلى العرش ؟

- أبرهة المكنى في الشعر بأبي يكسوم ، هل كان تبعاً ؟